

أعداد ١١ الجزء الخامس  
محرر د. سيد باصل  
إعداد



الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية  
زمن الأيوبيين

رسالة :

ياشرف : الاستاذ الدكتور السيد الباز العريني

مقدمة من : الطالبة زهيدة محمد عطا

للحصول على درجة الماجستير في الآداب قسم التاريخ فرع المصور الوسطى



\*\*\*\*\*

١٩٦٨

١٢٩

1112.1

1/4

الموضوع	الصفحة
---------	--------

..... مقدمة

## الفصل الأول ١ - ٢٧

### مصادر البحث

- المصادر العربية المباشرة •
- المصادر العربية اللاحقة •
- المصادر الأوروبية •

## ٢٨ - ٧٠ الفصل الثاني

### العلاقات بين بيزنطة والشرق الاسلامي حتى ظهور صلاح الدين

- بيزنطة والشرق الاسلامي الى ظهور السلاجقة - موقعة مانزكرت واثرها -
- استنجد الكيخسرو بالبابوية - ضعف السلاجقة وانقسام العالم الاسلامي -
- موقف بيزنطة من الحركة الصليبية - مشكلة انطاكية - سياسة اللاتين تجاه
- بيزنطة - الدولة المباسية والبيزنطيون - السلاجقة والبيزنطيون في آسيا
- الصغرى - العلاقة بين البيزنطيين والزنكيين - موقف البيزنطيين من
- السلاجقة والحملة الصليبية الثانية - النزاع حول انطاكية - موقف المسلمين •

(ب)

الصفحة

الموضوع

٧٢ - ١١١

### الفصل الثالث

صلاح الدين والبيزنطيون

١١٢٤ - ١١٨٠ م

الدولة البيزنطية والصراع الاسلامي الصليبي حول مصر - تجديد التحالف  
الصليبي البيزنطي - نور الدين والسلاجقة والبيزنطيون - سقوط  
الخلافة الفاطمية - الاوضاع في الممالك العربية بعد وفاة نور الدين  
وبلدهن - بيزنطة والسلاجقة - بيزنطة وصلاح الدين \*

١١٢ - ١٤٣

### الفصل الرابع

التحالف الايوبي البيزنطي في عهد صلاح الدين

١١٨١ - ١١٩٣ م

تعرض صلاح الدين والبيزنطيون لتهديد عدو مشترك - سفارة اندرونيكس  
الى صلاح الدين ( ١١٨٥ م ) - ترحيب اسحق انجيليوس بمحالفته  
صلاح الدين - سفارة صلاح الدين الى اسحق - المفاوضات بين الايوبيين  
والبيزنطيين بشأن الحملة الصليبية الثالثة المرتقبة - اهتمام صلاح الدين  
باقامة الشماخر الدينية بمسجد القسطنطينية - العلاقات بين البيزنطيين

(ج)

الصفحة

الموضوع

وحملة فردريك ببروسه - مفاوضات اسحق الى صلاح الدين بشأن حملة  
فردريك - رفض صلاح الدين لطلبات البيزنطيين \*

١٤٤ - ١٩٦

الفصل الخامس

بيزنطيه وخلفاء صلاح الدين

١١٩٣ - ١٢٥٠ م

الدولة الايوبية بعد صلاح الدين - العلاقة بين بيزنطة وخلفاء صلاح الدين  
الحملة الصليبية الرابعة وتحولها الى القسطنطينية - سقوط القسطنطينية -  
انقسام الامبراطورية البيزنطية - امبراطورية نيقية البيزنطية -  
امبراطور - طرابيزون البيزنطية والسلاجقة - الامبراطورية  
اللاتينية بالقسطنطينية - سياسة الايوبيين مع السلاجقة - الايوبيون  
والحملة الصليبية السابعة \*

١٩٧ - ٢٤٤

الفصل السادس

العلاقات الحضارية

العلاقات الاجتماعية - تبادل الزيارات - التسامح الديني - التأثير  
الحضارى المتبادل بين العرب وبيزنطة - اثر الحروب الصليبية على



الايوبيين والبيزنطيين - اثر الصوب وبيزنطة في الحضارة  
الايطالية - التجارة - الاجراءات الجمركية •

ملاحق الرسالة ٢٤٥ - ٢٦٦

- (١) جدول بأسماء حكام الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية  
(١٠٨١ - ١٢٦٠ م) • • • • •
- (٢) رسالة صالح الدين الى الخليفة العباسي يحدد ماله  
من فضائل في قتال الفرنج وبيزنطة • • • • •
- (٣) وصف القاضي الفاضل لبعض رسائل الامبراطور البيزنطي  
الى صالح الدين • • • • •
- (٤) رسالة الكايخكان الى صالح الدين • • • • •
- (٥) مدينة القسطنطينية في رحلة القاضي الهروي • • • • •
- (٦) وصف مدينة القسطنطينية لابن الاثير • • • • •

٢٦٧ - ٢٨٧

المراجع

- أولا : المصادر العربية المخطوطة والمصورة •  
ثانيا : المصادر العربية المطبوعة •

( هـ )

المفصلة

الموضوع

ثالثا : المراجع العربية الحديثة •

رابعا : المراجع الاوربية •

فهرست الخرائط

( ١ ) مصر في القرن الثاني عشر •

( ٢ ) الامبراطورية البيزنطية في عهد آل كومنين •

( ٣ ) الشرق الادنى في النصف الاول من القرن الثاني عشر •

( ٤ ) الدولة البيزنطية بعد سنة ١٢٠٤ م •

=====

## فهرست الصور

المقدمة

الموضوع

١ - مدینه انتاکیه

٢ - القسطنطینیہ من الشاطیء الاسوی

٣ - قبر صلاح الدین بدمشقی

٤ - کنیسه ایا صوفیہ

## " مقدمة "

العلاقات بين بيزنطة والشرق الاسلامي علاقات بعيدة المدى ،  
 فهي ترجع بأصولها الى ظهور الاسلام واستيلاء المسلمين على أغنى الاقاليم  
 الشرقية للدولة البيزنطية ، فأصبحت الدولة الاسلامية ندا ومنافسا للدولة  
 البيزنطية .

واتخذت العلاقات الاسلامية البيزنطية مراحل تاريخية :-  
 تبدأ المرحلة الاولى بظهور الاسلام الى بداية الحروب الصليبية أو آخر القرن  
 الحادي عشر الميلادي وتميزت هذه الفترة بالصراع الدائم بين كلا الجانبين ،  
 بل سعت الجيوش الاسلامية الى الاستيلاء على القسطنطينية ، واستمرت  
 الدولتان تتبوان مكانة عظيمة في تاريخ العصور الوسطى الى أن ظهرت  
 عناصر في تاريخ تلك المنطقة غيرت من طبيعة تلك العلاقات .

من هذه العناصر السالفة الذين اخترقوا حدود بيزنطة ، وانتزعوا  
 من البيزنطيين آسيا الصغرى ~~منه~~ ايضا الحركة الصليبية  
 التي اتامت في العالم الاسلامي في بلاد الشام امارات استمرت زمنا طويلا ،  
 ولقد لعب هذان العنصران دورا هاما في العلاقات الاسلامية البيزنطية  
 نظرا لما لبيزنطة من سياسة مزدوجة ، مع العالم الاسلامي في الشرق  
 والعالم المسيحي في الغرب ، ومن الجدير دراسة تلك الفترة الا بالتصريف

( ز )

الى تأثير السلاجقة والصليبيين في منطقة الشرق الأوسط في كل مايجسرى  
وقت ذاك من صراع أو اتفاق اسلامى بيزنطى سياسى أو حربى .

أما المرحلة الثانية ، فانها تتمثل في محور بيزنطة على المحاطة  
على ما تبقى لها من نفوذ في الشرق الأوسط بعد قيام الامارات اللاتينية ،  
ومن هنا كان لهذا البحث أهميته فهو يلقى الضوء على فترة من تاريخ  
العلاقات بين الشرق الاسلامى والبيزنطيين لم يتطرق لها الباحثون كثيرا ،  
بل ان المراجع العربية لم تتطرق لهذه العلاقات في بعض مراحلها ، الا نادرا  
وفي اشارات غامضة ، بل اعتبر بعض المؤرخين أن العلاقات بين الشرق  
الاسلامى وبيزنطة تنتهى بظهور السلاجقة وقيام الحركة الصليبية ، رغم  
أن هذه الفترة عاصرت سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الأيوبيين بدور المدافع  
عن الاسلام ، كما شاهدت ضعف الخلافة المماليكية ثم سقوطها على يد  
المغول وانتهاء بيزنطة وانقسامها الى ممالك ، ولكن ما حدث فعلا  
هو انتهاء لحقبة تاريخية امتازت بخصائص معينة ، وبداية لفترة جديدة  
في العلاقات ، وأد تعتبر فترة حكم صلاح الدين من أهم فترات العلاقات  
البيزنطية العربية ، عرضت في فصلين من الرسالة ، لتلك الفترة ، وأصبحت  
من الوثائق والرسائل التى لم تنشر من قبل ، يضاف الى ذلك ما كان للعلاقات  
السلمية من أهمية ضد المسلمين والبيزنطيين ، وتأثيرها بوضع الامارات اللاتينية  
فضلا عن التسابق بين المدن الإيطالية التجارية على توطيد مركزها الاقتصادى

والسياسي في الشرق الأوسط .

ولقد قسمت البحث الى ست فصول . الفصل الاول يتعلق بمصادر البحث

ثم الفصول ٤ من الثاني الى الخامس تناولت فيها العلاقات السياسية . ثم الفصل

السادس عرضت فيه للعلاقات السلمية .

فالفصل الاول ذكرت المراجع العربية المعاصرة لفترة البحث ثم المراجع

اللاحقة ثم المراجع الاوربية وذكرت أهمية كل كتاب فيها ومميزاته ومدى افادته منه .

أما الفصل الثاني فخصصته للعلاقات بين بيزنطة والشرق الاسلامي من

ممركة ما تزكرت الى ظهور صلاح الدين . ويرجع أهمية هذا الموضع الى السلاجقة

والصليبيين أسهموا في تطور العلاقات البيزنطية العربية فالسلاجقة باستقرارهم

في الدولة البيزنطية وبوصفهم عنصر اسلامي قويا في الشرق الاسلامي ، لعبوا

دورا هاما نظرا لاحتكاكهم المستمر بالدولة البيزنطية فأضحوا طوال تلك الفترة

يتحكمون في مقدراتها السياسية . ولقى هذا الفصل الضوء على أسباب التحالف

الصليبي البيزنطي ضد مصر وصلاح الدين ، اذ تحالفت بيزنطة والصليبيون أملا في

استعادة الاملاك البيزنطية في الشام واسترداد ما كان للكنيسة الارثوذكسية من نفوذ

على كنائس الشرق الأوسط ، واستمر هذا الهدف هو محور التحالف ، طالما راود بيزنطة

الامل في السيطرة على الامارات الصليبية في الشام ، ولذا تناهت مع الصليبيين في

حملاتهم على بلاد الشام ثم على مصر وبعد أن تأكدت ألا أمل لها في ذلك السعى ،

وأن الصليبيين لا يكون لها الا الكراهية تغير اتجاهها ، بأن اقامت علاقات صداقة

مع الايوبيين وهذا هو موضوع الفصل الثالث ، ولذلك كان الترابط وثيقا بين الفصلين

الثاني والثالث .

( ظ )

والفصل الخامس وهو يمتد من ١١٩٣ - ١٢٥٠ وينقسم لفترتين  
من ١١٩٣ - ١٢٠٤ هذه الفترة استمرار للعلاقات الودية بين بيزنطة  
والجانب الاسلامي فضلا عن ظهور عامل هام لعب دورا كبيرا في مصير  
كلا الدولتين الايوبية والبيزنطية وهذا العامل يمثل ظهور البندقية وأهميتها  
من الناحية الاقتصادية في حوض البحر المتوسط يضاف الى ذلك كراهية  
الغرب لبيزنطة التي أدت الى تحول الحملة الصليبية الرابعة الى بيزنطة  
بدلا من مصر ، وهذا دخلت العلاقات الاسلامية البيزنطية في طور جديد  
أما الفترة التالية ١٢٠٤ - ١٢٥٠ فتلى سقوط بيزنطة على يد اللاتين  
وانقسامها لممالك عدة شغلت بالصراع فيما بينها واتصرت علاقاتها بالشرق  
الاسلامي على السلاجقة بغيراتها القدامى فتحالف السلاجقة مع بعضهم  
ودخل في صراع مع البعض الآخر كما عو الخال مع ملكة طرابزون التي دانت  
لها بالولاء ، الى أن ظهرت قوة الممولى وقضت على دولة السلاجقة ، وتنتهى  
دراستى للموضوع بسقوط الدولة الايوبية وتوحيد بيزنطة وقيام آل باليولوحوس .  
أما الفصل السادس فعالج تأثير كن من الجانبين على الآخر ففى  
النواحي السلمية ، ثم تناول مظاهر هذا التأثير المتبادل ، وتأثير الحروب  
الصليبية الحضارى على كلا الجانبين وعلى الحضارة الاوربية ، ورغم  
كثرة الحروب التي دارت بين الطرفين فقد كان هناك فترات طويلة سادها

(ع)

العالم نشطت فيها حركة التجارة ، كما ظهرت بعض آثار هذا النشاط  
في النواحي الاجتماعية مثل وجود بعض المزارات الاسلامية .

والحق بالبحث عدد من الخرائط خريطة للعالم الاسلامي الى نهاية  
القرن الثاني عشر وخريطة لمصر زمن صلاح الدين ثم خريطة للدولمة  
البيزنطية في عهد آل كومنين وانجيلوس توضحان التغيرات التي طرأت على  
الحدود البيزنطية الاسلامية .

والملاحق تشمل أولاً شيئاً باسم : حكام الشرق الاسلامي والقوى  
السيطرة عليه آنذاك سواء فاطمية أو عباسية ثم ايوبية وكذلك حكام السلجقة  
ثم حكام بيزنطة .

وملاحق أخرى تتناول نصوص هامة كالملاحق الخاص برسالة صلاح الدين  
الى الخليفة المباسي يحدد فضائله في قتال الفرنج وبيزنطة .

والملاحق الخاص بوصف القاضي الفاضل لبعض رسائل الامبراطور  
البيزنطي لصلاح الدين بشأن انقاذ خطيب وغير ومؤذنين للجامع المقام  
بالقسطنطينية .

ثم رسالة الكيكافوس الى صلاح الدين يذكر فيها جهود بيزنطة  
لمعركة سير حملة فردريك الصليبية .



( ى )

وفى الفصل الثالث ، ونظرا لأهمية فترة حكم صلاح الدين اتخذت العلاقات الإسلامية البيزنطية مرحلتين امتدت المرحلة الاولى من ١١٦٧ الى ١١٨١ ، وفى هذه الفترة بلغ التحالف البيزنطى الصليبي ذروته فى مناهضة مصر وصلاح الدين . فقد رأى الجانبان الصليبي والبيزنطى أن يبدأ بالقضاء على القوة الحقيقية المتمثلة فى مصر ، فوجها اليها خلال تلك الفترة حملات صليبية بيزنطية عديدة تالتى توجت سنة ١١٦٩ فحاصرت دمياط ، واذ حاق بالحملة الفشل حمل كلا الطرفين الآخر جورة ماحدث ، لهذا دب الشقاق بينهما الذى انتهى بمذبحة القسطنطينية لللاتين واتجه بيزنطة الى الايوبيين التماسا لمخالفتهم .

والفصل الرابع بمالح ماحدث من تغيير سياسة بيزنطة من النقيض للنقيض يمد فشلها فى تحقيق هدفها من التحالف ، فسعت الى التحالف مع صلاح الدين ضد الصليبيين فى فترة حكم آل انجيلوس ، تبادل فيهما الفريقان سفارات الصداقة والود ونعما كلا الجانبين بالتسامح الدينى ، وعقدوا الاتفاقات ضد الحملات الصليبية التى قامت بيزنطة بحرقلة سيرها ، وان كانت هذه السياسة لم تمن بيزنطة من ورائها الا ازدياد الكراهية للرومان سواء من جانب اللاتين فى الشام أو دول أوروبا أو البابوية .

( غ )

ثم نصوص من كتابات الرحالة التي توضح أوصاف مدينة

بيزنطة والمزارات الإسلامية الهامة والتماثيل الدينية الذي نتم به

المسلمون \*

=====

## " مصادر البحث "

### أولا : المصادر العربية المعاصرة :

المؤلفات الأصلية هي التي كتبها مؤلفون عاشوا في مصر الأيوبي وأرخو للفترة التي عاصروها وكانوا شهود عيان لكثير من أحداثها ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن العديم ، وابن شداد ، وابن العماد ، وابن الأثير ، وابن واصل ، والهروي ، والأدرسي ، ونيامين التطيلي . (١)

أنج بعض هؤلاء المؤرخين لتلك الفترة ، وزار بعضهم مصر وبيزنطة ، وأوردوا وصفا دقيقا لها ، وحالتها الاقتصادية ، وأشاروا الى العلاقات بين بيزنطة والاسلام .

ونلاحظ ظاهرة عامة فقد رحل معظم أولئك الكتاب الى مصر في أوقات مختلفة طلبا للعلم والمعرفة ، فذهب اليها ابوشامه ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م - واجتمع بشيخ الفسطاط والقاهرة ودماط والاسكندرية واشتغل بالتدريس بها سبع سنين وحل ابن جبير بالقاهرة في ذي الحجة ٥٢٨ هـ / ١١٨٤ م في طريقه الى الحج ، واجتازها الهروي في رحلته الشهيرة ، التي زار فيها القسطنطينية ، قام ابن العديم بزيارة القاهرة مبسوئا من لدن أمير حلب وظل مقيما بها الى أن توفي (٢) كذلك قدم الى مصر الأدرسي في سنة ٥٤٨ هـ .

(١) الصيرني : ( السيد الباز ) مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٢

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ١ ص ١٠

وانعكست هذه الزيارات فيما أوردوه في مصنفاتهم عن مظاهر الحضارة والممران  
والأداة الحكومية •

ومض المؤرخين ألف لفترة معينة من التاريخ كآبى شامة نسي كتاب  
"الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية" واهتم البعض كابن خلكان  
بالتراجم ، جعل ابن جبير رحلته حسب الشهور والسنين •

والملحوظ أن هؤلاء المؤرخين اشتغلوا بجانب التصنيف بأعمال التدريس  
والقضاء ، والفن ، فاشتغل بالتدريس ابن شداد ، وابوشامة  
وابن واصل والهروى •

وفيما يلي عرض للمصادر العربية التي تناولت النواحي التاريخية  
والسياسية والجغرافية •

ومن أهم هؤلاء المؤرخين ابن القلانسي • ومعتبر كتابه المؤلف الوحيد  
الذى وصلنا كاملاً عن الفترة الواقعة بين الغزو السلجوقي لبلاد الشام  
وبين صلاح الدين <sup>(١)</sup> وكتابه ذيل تاريخ دمشق يعتبر ذيلاً لكتاب هلال  
الصايغ صاحب تاريخ الوزراء • وكان ابن القلانسي رئيساً لدمشق مرتين ،  
ونقل من كتاب هلال الصايغ ما يختص بتاريخ دمشق <sup>(٢)</sup> ، ولم يقصره على تاريخ

(١) زبدان جورجى : تاريخ اداب اللغة العربية ج ٣ ص ٧٢ •

(٢) Cahen : La syrie Nord al Epoque des croisades p.39

دمشق بل توسع في اختيار الدولة الاسلامية في الفترة ٤٤٨ - ٥٥٥ هـ بالمادة مستمدة من المحفوظات التي وقف عليها المؤلف بحكم مهنته ، واعتمد عليه كل من ابن الاثير وابوشامة وابن الجوزي وهو مصدر بالغ الأهمية في العلاقات بين نورالدين والبيزنطيين والفترة السابقة على حكم صلاح الدين .

ابن شداد : ولد بالموصل سنة وتلقى تعليمه يؤهله للتدريس والقضاء ، فقام بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ثم انغذه لأمر الموصل في سفارته لصلاح الدين في سنة ١١٨١ - ١١٨٢ حينما تطور النزاع بينهما ثم دخل في خدمة صلاح الدين بناء على رغبته (١) وظل مقربا لأمير حلب الظاهر غازي ثم ابنه العزيز . ولكن حين بلغ العزيز سن الرشيد التف حوله جماعة من المفسدين فلزم ابن شداد داره وتخذل عن مجلس العزيز وتوفي سنة ٦٣٢ هـ بجلب (٢) ، ولكتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أهمية خاصة فاز افاد من اتصاله بالعلماء والفقهائها وملازمته لصلاح الدين على أن جز فيه هو الذي عاصره ومتاز كتابه

(١) المصنف : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٩

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٢٠

بالادراك السليم والامانة ولقد اعتمد في الفترة السابقة على المؤرخين السابقين له ، بينما حوى الشطر الآخر من الكتاب وصف ما شهدته من الوقائع واثبات الاحداث التي جرت في عهد صلاح الدين ولذا أشار الى ما كان من علاقات دبلوماسية بين صلاح الدين وباطرة بيزنطة (١) .

ابن الاثير : من اشهر مؤرخي تلك الفترة وهو واحد من ثلاثة اخوة مشهورين والمقصود هنا هو عز الدين بن الاثير الذي ولد في جزيرة ابن عمر ورحل الى الموصل ثم الى الشام والقدس وذهب الى بغداد مزارت عديدة رسولا من صاحب الموصل ، وبعد انهيار الدولة الاتابية عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعا الى العلم والدراسة وتوافرت له مادة تاريخية (٢) ، على أن أخاه ضياء الدين اتصل بصلاح الدين ثم بابنائيه من بعده . وكان ابن الاثير يحيل الى الزنكيين بالموصل فألف كتابا في الدولة الشامية ، وهذا يفسر تحيزه وتحامله على صلاح الدين في تاريخه لبعض الاحداث . ولقد بدأ تاريخه من أول الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة أي قبل وفاة الكامل بست سنوات . وكان ابن الاثير

(١) الصرخي : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٦٨

(٢) ابن شاعر الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٨

على عادة الجغرافيين الى اقسام سبعة (١) .

ابوشامة : - مقدس الاصل نشأ في دمشق وتعلم فيها وفي الاسكندرية  
ودرس الفقه وسمع في العربية وكتب في كثير من العلوم وتوفي في ٦٦٥ هـ . ألف  
كتاب الروضتين ، وكتاب الذيل على الروضتين وكتاب الروضتين يشمل تفاصيل  
كثيرة عن الحروب الصليبية وشمل سيرة نور الدين صلاح الدين . وكان اهتمامه  
بصلاح الدين يفوق نور الدين (٢) . اعتمد على كتاب ابي القاسم الدمشقي وابن  
الاثير والقاضي ابن شداد والعماد الكاتب ، وحذف الاسجاع وكل تمقيس  
فامتازت كتابته بالصراحة ، وأورد كل الرسائل التي كتبها القاضي الفاضل لصلاح  
الدين مما القى الضوء على مراسلات صلاح الدين مع بيزنطة كرسالته الى صاحب  
القسطنطينية وحديثه عن البيزنطة واهل جنوة . واستشهد الاخبار التي لا أهمية  
لها ، والرسائل التي لا تضيف جديد الى جانب مقارنة تلك الاخبار ببعضها  
سمعه من افراد ثقات عاصروا تلك الفترة (٣) .

(١) ابن الاثير تحفة المجائب وطرفة الفرائب - مخطوطة بدار الكتب  
المصرية رقم ٤٩٩ جغرافية .

(٢) ابن شاکر الكتب : فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥

(٣) ابوشامة : مقدمة كتاب الروضتين ج ١ ص ٤

دقيقا فيما ينقل فاعتمد على الموازنة بين الاقاليم وما يقع فيها من احداث .  
 وقد افادته دراسته بانساب العرب وآياهم ، وقد افاد من المصادر  
 وابن القائسي ، وابن الاثير شديد الاهتمام والتثبت فيما يكتب ومحمد أحيانا  
 الى نقد المصادر التي يستقى منها الاخبار ، وأحيانا يعمد الى تلخيص  
 الحوادث الماضية عند تدوين حادثة جديدة . وعاصر الكاتب اكتساح  
 جنكيز خان والقره لباد الاسلام واطلع ابن الاثير على مكاتبات صلاح الدين  
 مع ملوك البلاد المجاورة . وهذا الكتاب من الكتب الاساسية في كل دراسة  
 عن الايوبيين والبيزنطيين وعلاقاتهم الحربية والسلمية والمعاهدات ودور  
 الصليبيين في الصراع (١) .

وليس هذا الكتاب الوحيد الذي يوضح اوضاع الايوبيين وبيزنطسهم ،  
 بل له كتاب آخر يلقي الضوء على النواحي الاجتماعية والاقتصادية وهو كتاب  
 " تحفة المجائب وطرفة الفرائب " . استقى مادته من عدد من المؤلفات  
 الرحالة والجغرافيين مثل المناهج والمباهج للروافق والمجائب للقزويني  
 والمالك والمالك الشرقية للجهاني والمجائب للسهروردي . مازال هيكلا  
 الكتاب مخطوطا . وتحدث فيه عن اسواق بيزنطة ومنازلها وعن بعض الاشعار  
 الاسلامية أو المزارات وعرض صورة عن تشييماتها الادارية وقد قسم العالم

( ١ ) سحداوى : نظير حسان : خمسة من معاصري صلاح الدين ص ١٠

( ٢ ) الصريني : مؤرخو الحروب الصليبية ٢٠٤ / ٢٠٨



ابن المديم : كان الدين ابن المديم ولد بـ حلب سنة ٥٧٦ هـ وهو من أسرة كبيرة \* سمع عن أبيه وعن جماعة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والمراق \* وكان ابن المديم مؤرخاً وفقهياً \* ألف عدة كتب منها بغية الطالب في تاريخ حلب الذي اختصره في كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب والمستزاد الكتاب الترتيب الزمني حسب المصنفين \* واعتمد ابن المديم على مصادر التاريخ والكتب المؤلفة قبله \* واختار منها نصوصاً نقلها إلى تاريخه (١) وجعلها على حروف المعجم في تراجم الرجال كما فعل ابن عساكر \* وذكر فيها الكتب التي نقل عنها وأسماء مؤلفيها \* ولما أراد أن يلخص كتابه الكبير عاد إلى بغية الطالب فنقل بعض النصوص وحذف منها أسماء الرواة والمؤلفين واكتفى برواية واحدة وأحدة تحمل ما في المصادر المختلفة من عبارات وإشارات وروايات في أسلوب موجز ومقتضب \* وأرخ ابن المديم في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب لفترة مهمة وعاصر الحكم الأيوبي \* وعاصر سقوط خلافة بغداد \* يعتبر ابن المديم أفضل من كتبوا في تاريخ الشام \* لأن تاريخ حلب ناقص جداً كتبه العصور الأولى للشام وينتهي عند منتصف القرن السابع للهجرة قبل وفاته بعشرين سنة وقد سجل تاريخ الشام العام لعصره وخلافة بلدته بسنة \* وهو أقرب المؤرخين إلى مؤرخي العالم العربي من حيث اعتماده على المسكوكات والمجلات والأثار الباقية والرسائل وقد ركز على حلب وأنطاكية \*

(١) ابن المديم زبدة الحلب في تاريخ حلب تحقيق سامي الدهان ج ١ ص ١٢

والجزء الثاني بالذات من الكتاب الذى حققه ونشره سامى الدهان ويشمل  
 الفترة من ٤٥٧ هـ الى ٥٦٩ هـ التى شهدت الحروب بين الدولات الاسلامية  
 وانهيار الفاطميين ، وسيطرة صلاح الدين على مصر وحروب الفرنج وصراع  
 بيزنطة وتحالفها مع الصليبيين ضد المسلمين ، وتغلب الاساليب السياسية  
 على القتال . وقد قام المحقق سامى الدهان بتبويب الكتاب على هيئة  
 أقسام وجعل الاقسام على مناطق وعناوين صغيرة وكبيرة وهو اهم مرجع لمسيرة  
 الشمالية بجمالها وقراءتها ومدنها .

ابن واصل : جمال الدين ابن واصل ولد سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٨ م بحمص  
 وكان عالما بالفقه والفلسفة والرياضيات والتاريخ ورحل الى القاهرة سنة  
 ٦٤١ هـ ١٢٤٦ (١) وارسله الظاهر بيبرس سفيرا الى منفرد فردريك صاحب  
 صقلية . ولما عاد عينه الظاهر بيبرس قاضى القضاء فى حماه وتوفى سنة  
 ٦٩٧ هـ ١٢٩٨ م وكتابه فى الشروب فى اخبار بنى ايوب من اهم الكتب  
 التى تحدثت عن الدولة الايوبية واحداثها . ان أرخ للدولة الايوبية  
 وصدر دولة المماليك . ونعرا لأنه لم يحاصر الجزء الاول من الدولة الايوبية  
 اعتمد على من سبقه من المؤرخين امثال ابن شداد والعماد الاصفهاني وعزالدين  
 ابن الاثير وضياء الدين ابن الاثير وابوشامة . وكان اكثر اعتماده فى هذه

( ١ ) ابن واصل : فى الشروب فى اخبار بنى ايوب تحقيق جمال الدين الشيال  
 المقدمة ص ٧

الفترة على ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ وكتاب الدولة الشاهيكية ، ورجع ابن واصل إلى رسائل ضياء الدين ابن الأثير (١) . وكان يملق على الحوادث لمجرد الموعظة وهو لا ينقل من المصادق نقلا حرفيا ، بل ينحصر الحقائق التاريخية يوجز ، ويصوب بعض الروايات الشفهية التي سمعها من معاصريه وينتقى عن مصدرها وينقد الآراء ، وأتى بالرأى الذى يعتقده انه الصواب وهو يورد وثائق رسمية عديدة ليؤكد حقائقه التاريخية ، ولأهمية ذلك اعتمد عليه كثير من المؤرخين في الفترة التالية امثال ابى الفدا والمقريزى وابن تيمية برى (٢) . والجزء الثانى من الكتاب اعظم أهمية في الحوادث التى يروىها عن مشاهدته حينما وعن مشاركة أحيانا . ولقد ذكر رسائل صلاح الدين إلى الخليفة العباسى ومراسلات صلاح الدين مع الروم ، وموقف العادل والبنادقة وحطة خنابرين وعلاقتهم بالسلاجقة .

ابن الصبرى : هو غفر بن هارون ولد ١٢٢٦ م في مدينة تليقية قاعدة ارمينية الصغرى . ودرس اليونانية والعربية والفلسفة ، وذهب إلى انطاكية سنة ١٢٤٣ م واصبح اسقف ملطية واتصل بهولاكو وتوفى ١٢٩٦ م . ولقد ألف تاريخ مختصر الدول أولا بالسرانية ، ثم ترجمه إلى العربية

( ١ ) هي مجموعة من الرسائل موجهة إلى صلاح الدين ومجموعة من الاعيان وكبار الشخصيات - ابن الأثير : رسائل ابن الأثير تحقيق انيس المقدسى

( ٢ ) ليسن واصل ٧ في الكروب ج ١ ص ٩

فى اواخر ايامه ولكنه اختصر فى الفتوح وتوسع فيما يختص بدولة الاسلام (١)  
والكتاب يبدأ من أول الخليفة ومقسم عشر دول والجزء المأثور تعدت عشرين  
الدولة الايوبية وفتوحات المماليك واليونان وما لفتهم بالصلاحفة . (٢)

**أما الرحائل التي قام بها جغرافيون معاصرون لتلك الفترة فقصده**  
افادت فى عرض صورة واضحة عن الممارقات التجارية والتعاضد الدينى والآثار .  
ولقد أبدى جميع الرحالة اعجابهم بشراء كل من مصر والقسطنطينية ووصفوا  
أوجه الحياة والآثار وصفا دقيقا ومنهم :

الادريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي ولد  
بسنه عام ٤٩٣ هـ ١١٠٠ م وطاف البلاد وزار مصر والقسطنطينية واستقر  
زما طويلا فى بلاط الملك النورماندى روجر الثانى فى بالرمو ولذلك لقب  
بالمقل وقد اتم فى بالرمو قبل وفاة الملك وضع كتاب فى صفة الكرة الارضية  
المشهور باسم الكتاب الروجارى أو نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (٣) ونشر  
فيه احدى وسبعين خريطة وقد أورد وصفا تفصيليا لبيزنطة وآثارها والمسزارات

- 
- (١) دائرة المعارف الاسلامية - الجزء الاول مادة ابن المديم .
  - (٢) ابن الصبى تاريخ مختصر الدول ( المقدمة ) ص ٥
  - (٣) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ مادة الادريسي .

## الاسلامية •

ابن جبير : أتدلسي الأصل ، راہتم بالادب والشعر قام بثلاث رحلات بدأت سنة ٥٧٨ هـ زار مصر والشام والعجاز والحراق وصقلية • رحلة جبير من المصادر المهمة التي تعطينا صورة واضحة عن الحالة التجارية وطرق معاملة التجار والاجراءات الجمركية في عهد صالح الدين • ورغم انه لم يصر القسطنطينية فانه سمح بأمر هام أوردہ لم يرد عند غيره من المؤرخين وهو ذكر القصة التفصيلية عن الصراع في بيزنطة وسدائقة اندرونيكي للفرج ومهاجمته القسطنطينية • والحروب مع السلاجقة (١) •

الهروى : وهو أبو بكر الهروى ولد في الموصل وطاق البلاد ولقد درس السيرة وكان مقربا لدى الملك الناصر ابن صالح الدين ، واقام عنده وكان كثير الرعاية له وبني له مدرسة بظاهر حلب ، ولقد تحدث عن مصر وامور اهلها ومناراتها ، وتحدث عن القسطنطينية ، وعن التسامح الديني الذي نصح به المسلمون وتجارهم ، ويصير من اهم المراجع عن الصلات بين بيزنطة والايوبيين في تلك الفترة وله كتاب آخر اسمه عجائب مذكوره كثيرا في كتابه \* الاشارات<sup>(٢)</sup>

(١) ابن جبير : الاستبصار في عجائب الاثمار ص ٣٢١

(٢) الهروى : الاشارات الى معرفة الزيارات مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٧٤٧٤ جغرافيا •

الى مصرفة الزيارات \* وذكر انه سيورد بالتفصيل ما أورده باختصار  
في الاشارات ولكن هذا الكتاب لا يوجد في اى مكتبة بل ان كثير من الكتب  
والمراجع القديمة لم تذكر عنه شئ \* مثل كتب الوفيات لابن خلكان •

ياقوت الحموى : توفي في الموحل سنة ٦٢٦ هـ وكتابه معجم البلدان  
معجم جغرافى بأسماء البلاد جمع بين التاريخ والجغرافية فبعد ذكر أى اقليم  
يذكر جزء من تاريخه ومن اشتهر فيه ونسب اليه من الادياء والشجره وهو  
مرتب ترتيبا هجائيا (١) •

ابن سعيد المغربي : المؤرخ المشهور ولد في غرناطة سنة ٦٠٠ هـ رحل  
الى مصر والعراق والشام واهتم بالادب والتاريخ وشهرته كمؤرخ اكثر من  
جغرافى ففي كتابه بسط الارض في طولها والعرض تحدث عن مظاهر  
الحياة الاقتصادية والآثار البيزنطية وكذلك عن اواخر الدولة الايوبية (٢) •

Encyclopedia of Islam. Vol. part 2 (١)  
p. 1153

(٢) ابن سعيد المغربي : كتاب بسط الارض في الطول والعرض تحقيق  
خوان قزوينى : ص ٢

### المصادر اللاحقة لفترة البحث :

للمصادر اللاحقة لهذه الفترة أهمية كبيرة إذ نجد في بعضها  
وثائق هامة لا توجد في الكتب المعاصرة رغم اعتماد أكثرها على الكتب المعاصرة  
لفترة الأيوبيين فالمقريزي مثلاً في كتابه السلوك لمصرفة دول الملوك ، أنج -  
لدولتي الأيوبيين والمماليك وأورد في الجزء الأول ، رسالة أرسلها  
الإمبراطور البيزنطي إلى مصر لم ترد عند أحد من المؤرخين . (١) وكان هذا  
المصر عصر نهضة علمية وتنافس بين المؤرخين ، فهذا العصر شاهدت  
المدن الإسلامية وكثرة أصحاب السيادة فيها (٢) ، مما أدى إلى كثرة  
ظهور الموسوعات والتراجم ، ومن مؤرخي تلك الفترة ابن خلدون المقريزي  
وابو الفدا وابن تيمية يردى وابن خلكان وابن شاذان النخعي .

• ابن خلكان : هو قاضي القضاء شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم  
من بيت كبير في العراق وانتسب إلى البرامكة ولد في أربل وتولى قضاء  
الشام ودرس في عدة مدارس ورحل إلى الإسكندرية ومصر ثم عاد إلى  
الشام وظل يداً مشق لوفاته . واشتهر بموسوعته الكبرى وهي " وفيات

(١) المقريزي : السلوك لمصرفة دول الملوك ج ١ ص ١٢٩

(٢) كانت مصر والشام في حوزة السلاطين المماليك وهم أتراك شركسة . وكانت  
آسيا الصغرى في حوزة السلاجقة ثم أخذها التتاريون وكانت العراق  
وفارس في سلطة الدولة الأتابكية وهي مغولية وانحصرت سيادة العرب  
في اليمن والمغرب ، وانتقلت مراكز العلم إلى مدائن مصر والشام .  
زيدان جورجي : تاريخ أديان اللغة العربية ص ١١٠

الاعيان وانبياء الزمان " وقد فرغ من تأليفه واورد بعض معلوماته  
عن الحريق النفل ، والسماع والمشاهدات ، والكتاب ذخيرة علم وادب وتاريخ  
وانتم بالاضيق والتحقيق والتدقيق ، وقد رتب الكتاب على حروف المعجم  
وزيد عدد التراجم عن ثمانية ، وان كان يذكر الاسماء التي لم يشتهروا  
بها لصالح الدين الايوبى يذكره تحت حرف الياء (١) . ولم يذكر من  
التحابة ولا التابعين الا جماعة قليلة . وكذلك الخلفاء لم يذكر احدا منهم  
اكثافا بالصفات الكبيرة وترجم ما خلا ذلك من العلماء والملوك والامراء .

ابن خلدون : هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون اصله  
من اسرة ~~مطليحة~~ بالاندلس ولد في تونس ٧٣٦ هـ ١٣٣٠ م وتفق بالعلوم  
المعروفة وعصر وتنقل بين بلاد الاندلس والمغرب ، وعاصر في بلاط سلاطينها  
المسلمين ، وتقلب في خدمتهم واورثهم . وسفر لاحد اولئك السلاطين ،  
وهو محمد الخامس سلطان غرناطة . ولقد شاهد بنفسه احوال كثير من  
الدول عن كثب ولمس بيده عوامل التدهور النابذة اظفارها بين المسلمين  
ما جعل لكتابه " المبر وديوان المبتدأ والخبر قيمة تاريخية ~~في~~ (٢)  
قدم لمصر ١٣٨٢ م وتولى منصب قاضي القضاة المالكية

- (١) ~~في~~ : تاريخ اداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٥٩٤  
(٢) زيادة : محمد مصطفى امور ون في مصر في القرن الخامس عشر  
الميلادي ص ٤  
(٣) دائرة المعارف الاسلامي ~~في~~ ون



واتصل بكثير من المؤرخين في مصر والشام وظل بمصر حتى وفاته ٨٠٨ هـ —  
 ١٤٠٦ م ومعتبر كتابه من أهم وأشمل الكتب التاريخية وخاصة لمنهج النقد •  
 المقرئ : أبو العباس تقي الدين بن علاء الدين ولد بالقاهرة ٨٤٥ هـ —  
 ١٣٦٤ م وأصل أسرته من بعلبك <sup>(١)</sup> • وكان جده من كبار المحدثين  
 في بعلبك • درس المقرئ الفقه والتحق بديوان القضاء بالقاهرة ثم أصبح  
 قاضيا وأماما لجميع الحاكم ومدرسا • ولقد أراد رعية السلطان في بن بوقوق  
 أن يولييه نائبها للحكم بدمشق ولكنه رفض واشتغل بالتدريس في المدرسة  
 الأشرفية ولكن ما لبث أن عاد للقاهرة وانقطع للمعلم إلى وفاته ٨٤٥ هـ —  
 ١٤٤٢ م <sup>(٢)</sup> • والى العديد من الكتب منها المواعظ والاعتبار بذكر  
 الخطط والآثار ومصر بخطط المقرئ ذكر فيه مجمل أقاليم مصر • كتابه  
 والمقفى الكبير • دور العقود القديمة في تراجم الأعيان المعنية • واتحاط

Encyclopaedia of Islam vol 3 part I p. 175

( ١ ) زيادة : المؤرخون في مصر ص ٨

( ٢ )

واعطاء الحنفا باخبار الائمة الخلفاء وتاريخ الدولة الفاطمية ، السـدور  
 المضيئة في تاريخ الدولة الاسلامية ومن مقل عثمان الى المستنصر ، وغيرها  
 ثم كتابه السهام السلوك في معرفة دول الملوك وهو تاريخ مصر من ٥٧٧ هـ -  
 ٨٤٤ م والكتاب مؤلف على السنين يذكر حوادث السنة ثم يترجم من مات  
 فيها من الاعيان ترجمه مختصره ، وطويل في الاحداث . ولقد استطعت بالمقريزى  
 في الفترة التى تلت حكم صلاح الدين .

ابوالمحاسن : ابوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى يحتل مركز  
 الصدارة بين المؤرخين بعد وفاة المقريزى والعينى اواسط القرن الخامس عشر  
 وتوفى فى القاهرة ٨٣ هـ - ١٤١١ م ابو ملوك يونانى للسلطان الظاهر  
 بروق توفى والده وهو طفل تولى رعاية زنى اخته كان ابوالمحاسن مقربا من  
 السلطان يرسباى ثم عند السلطان خشقدم وعاشلا وائل سلطنة قايتباى (١)  
 الف اثنا عشر كتاب لم يبق منها الا سبعة ، اشهرها كتابه فى تاريخ مصر  
 من الفتح الاسلامى ٨٥٧ هـ الى - ١٤٦٧ م اسمه النجوم الزاهرة فى ملوك  
 مصر والقاهرة ( فى سبع مجلدات والفق من اجل السلطان المرحوم محمد  
 بن جقمق الذى توفى ١٤٤٣ م قبل ان يتحقق رجائه والكتاب مرتب حسب  
 السنين . وفى آخر كل سنة تراجم من مات فيها وزيادة النيل ونقصانه . (٢)

(١) زيادة : المؤرخون فى مصر ص ٢٨

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ مادة ابوالمحاسن .

وتماز كتابته بالتدقيق والتحري وأميناً فيما يذكره وهو من الكتب الهامة التي استمنت بها ومن كتبه الآخر المذهل السابق والمستوفى بمدة الواقعي وهو حافل بالتراجم ، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، والبحر الآخر في علم الأوائل .

أبو الفداء : السلطان الملك المظفر صاحب حماه اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور كان أميراً لدمشق وخدم الملك الناصر وهو في الكرك وبالغ في ذلك فوعده لحماه وبالفعل جعله سلطاناً لها ، وكان أبو الفداء متمكناً من الفقه والطب والفلسفة وتاريخه ( المختصر في أخبار البشر ) <sup>(١)</sup> قسمين الأول في الجاهلية والثاني في الإسلام إلى ٧٢٩ هـ . وتحدث عن تواريخ الأنبياء ، والفرس والعرب في الجاهلية والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والدولة الأموية في الأندلس والفاطميين والايوبيين ، ولقد اعتمد على كتب عديدة أهمها ابن الأثير . ورتب كتابه على نهجه وفق السنين ، وتضمن أخبار أدبية وعلمية واجتماعية ، وله كتاب في الجغرافيا وهو تقويم البلدان . وقد قام ابن الوردي بكتابته تاريخ هو تفصيل لكتاب المختصر لابن الفداء انتهى به إلى سنة ٧٤٩ هـ واسمه تنقيح المختصر في أخبار البشر <sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) دائرة المعارف الإسلامية مادة أبو الفداء .

( ٢ ) دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن الوردي .

## المصادر الأولية :

وليم الصوري : ١١٣٠م - ١١٨٤م .

يحتل كتاب وليم الصوري مكانة غريدة بين الكتب التي أرخت لهذه الفترة حتى اتخذها الكتاب الآخرون أساسا لما أوردوه من الأحداث المتأخرة .  
فالمعروف أن وليم الصوري شمس منصب رقيم اساقفة صور من سنة ١١٧٥ الى سنة ١١٨٤ . وظل مستشارا لمملكة بيت المقدس<sup>(١)</sup> حتى وفاته ١١٧٤ ، كان وليم من سكان مملكة بيت المقدس ، حيث ولد حوالي ١١٣٠م والراجح أن أبوه نزح من الغرب . وكان يجيد العربية والفرنسية واليونانية والعبرية والفارسية الى جانب ايجاده اللغة اللاتينية وتعلم على يد بطرس البرشلونى كبير القسس بكنيسة القيامة ورسم نما ولما اشتهر به آمورى من الميول الى الدراسة تاريخيه ، ادرك ان فتح مصر والاستيلاء عليها من يمسد المسلمين انما يلى فى الاحمية ما حدث من قبل من فتح بيت المقدس فقرر امورى ان يلتزم مؤرخا ليسجل ما يحرزه من الانتصارات فعين وليم رئيسا للشمامسة بكنيسة صور تمهيدا لاتخاذ مؤرخا ملج من ثقة الملك به .  
ان ارسله ملك بيت المقدس ليحصل على توقيع الامبراطور البيزنطى على المعاهدة ولكنه عاد بعد ذهاب الحملة . واستمر وليم على

(١) Grousset : Histoire des Croissades II  
p. 1

(٢) العربى : مؤرخوا الحروب الصليبية ص ١٠٧

صداقته بالملك حتى ان الملك طلب منه الاشراف على تربية اكبر ابناءه وهو  
بلدوين ولقد ائتمن عليه وليم كتابة تاريخ المملكة ولقد بدأ في كتابته  
ابتداءً من سنة ١٠٩٤ وهو التاريخ الذي شاع ان بطرس القاسك ادى فيه  
الحج ولكن ما شهدته الملك امورى

في مصر من عنارة حثه على ان يطلب منه كتابة تاريخ لامراء الشرق أمسده  
الملك امور بطائفة من التواريخ المصرية حصل عليها من مكتبة اسمائه  
من منقذ التي صادفها وليم بعد ان حاصت سفينة قرب عكا ، واستعان  
بكتاب سعيد بن بطريق واتخذ الكتاب اسم

ولكن لم يلبث ان توفي امورى وتولى العرش تلميذه الميرض

فصرف وليم عن كتابة التاريخ فترة ، وعين وليم مستشارا للملك ، ثم عين  
رئيسا لاساقفة صور سنة ١١٧٥ وزار القسطنطينية ثانية ١١٧٨ (١) ، وفشل  
١١٨٠ م في الحصول على منصب بطريرك بيت المقدس ، فتفج لاعداده  
قراءة تاريخه ولكن ما لبث ان توفي ١١٨٥ م ، ولذلك كسان لمؤلفاته اهمية  
عظيمة بحكم كونه معاصرا ومشاركاً في الاحداث التي كان مؤرخا لها ولقد  
ضاع كتابه تاريخ امراء والشرق ، ولا توجد منه الا فقرات في كتابات وليم  
الطرابلسي (٢) والكتاب الوحيد الذي لا زال مصروفا هو المشهور

(١) الصيرفي : مؤرخوا الحروب الصليبية ص ١٢٥

(٢) Runicman : History of the Crusaders II (٢)  
p 425

باسم " A History of Deeds Done beyond the Sea "

وقام على ترجمة Krey , Babcock ونشرته جامعة

كولمبيا سنة ١٩٤٣م في عزمين والكتاب يبدأ من ضياع بيت المقدس من يد المسيحيين وأراد أن ينتهي في ١١٨٢ ولم يبلغ به الانتهاء سنة ١١٧٩ أو

أواخر ١١٨٠ . **قسم الكتاب** الى فصول . (١) واعتمد في الجزء الاول من

كتابه وخاصة فيما يتعلق بالحرب الصليبية الاولى على كتاب اعمال الفرنجة ، ومؤلفات ريموند اجيل ووالتر ، وفولشر قسيس شارتر ، والبرت الاختي ، وكان (٢)

ما يصل اليه من نتائج ، انما يستخلصها بعد مقارنه بمصادر عديدة ، فاذا

حدث بينها تعارض فاما ان يأخذ بحكمه وروايه ، واما ان يورد الروايات

المختلفة . ويحدث احيانا ان يرفض من الروايات ما تنطوي على مبالغة

ظاهرة ، واعتد ولهم احيانا على الروايات الشفوية ، وبين ماورد من روايات

عند مؤرخي الحرب الصليبية الاولى . غير انه لم يشر الى اسم واحد منهم ،

انما اعتبرهم جميعا مصدر لرواية لا بد من تقديرها ونحسها ، لانه يفوقهم

في الالمام بجغرافية وآثار المنطقة ، وكان يهتم بتتبع موضوعا معيناً منذ بداية

الى نهاية دوان يحفل بالزمن الطويل الذي يستغرقه الحادث ، وامتدت

(١) اعان اليه فيما بعد اجداث السنوات الى ١٨٤ م

الصيني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٢٨

(٢) William of Tyre: A history of Deeds done beyond the Sea. XII, P 21

مصادر بحثه الى كل الجهات فحصر على ان يختار مصادر بحثه من كل الجهات  
وحصر على ان يختار لكل حقيقة مستقلة ما يتعلق بها من مصادر اصلية ، مثال  
ذلك انه لجأ الى هيجو امير قيساريه ليمده بالتفاصيل الخاصة بسفارته للخلفاء  
الفاطميين بمصر ومفاوضاته مع شريكه عم صلاح الدين . والراجع انه امده  
ببعض الملاحظات التي جرى عقدها مع صلاح الدين . ولما فشلت حملة  
امريك على مصر ، طلب من كل البارونات ومن الملك امريك نفسه  
ان يشرحوا له اسباب الفشل (١) ، وهذه الامثلة تدل على ماتهما لوليم  
الصوري من المصادر التي استقر منها معلوماته سواء كانت من ملاحظاته  
وتجاربه الشخصية ، او الروايات المستمدة من شهود العيان . فاذا حصل  
على روايتين ، اورد هما دون تمييز وجرى على هذا في كل كتابه (٢) ،  
ولقد افاد ولیم من المصادر العربية ولكنه لم يذكر الا كتاب واحد هو سعيد  
بن بطريق ، ولقد استمد بعض معلوماته من التاريخ الاسلامي من الروايات  
الشفوية ومن نقوش مدونه على العمائر ، وحين يؤخر للفترة التي عاشها  
فهو يسهب في التفصيل . ففي اخباره عن اموري ، اسهب في وصف

William of Tyre, op. Cit. Vol XX p 20 (١)

(٢) المصنف : مؤرخ الحروب الصليبية ص ١٣٠

احوال مصر ان اورد تفاصيل كثيرة عن موسى بابليون وتاريخها ، وعن اصل الخلفاء الفاطميين ، وعن التجارة التي تجتاز برزخ السويس ، وهو يتلمس الدعوة لما يرويه من حقائق ، وتطلع الى الربط المنطقي والتماسك التاريخي . وافضل اجزاء الكتاب هي التي كتبها بعد ١١٨٠ فتمتاز بالنضج والعلم السديد الناجم عن رسوخه في العلم ، واشتهر ولیم الصوري بالفزاهة والانصاف حتى ان فتحلوله لاسباب تمرد اليونانيين في القسطنطينية سنة ١١٨٢ ، وانتصار صلاح الدين لم يتطلب من العلماء المحدثين الا - اضافات وتوضيحات ضئيلة ، ولم يشتهر ولیم الصوري بالتعصب ضد العنصر او الدين او نظام الطبقات . فلم يكن اللاتين وحدهم ، هم الذين يستطيعون ان يؤدوا أعمالا مجيدة ، بل يشاركهم في ذلك اليونانيون والارمن والسوريون والعرب والترك ، بل انه اقر للمسلمين ايضا بالمستويات رفيعة من الاخلاق والعبادة ، ولذلك اهتم بالحياة الاجتماعية . ولقد اعرن ولیم من مفاير ومقاييس الدراسة التاريخية الحديثة ولكن ولیم افترقا احيانا الى اتساح الادراك فانه اتفق من بعض الامور بما يتعلق



بالوطن الذي يعيش فيه الى جانب عدم استطاعته التخلص من صفة الكنيست  
 كذلك مدد في بعض الاحيان الى تغيير تاريخ بعض الحوادث (١) وامتسح  
 له ولهم من المشكلات نشأ حينما اورد في تاريخه احداثا متفرقة لا رابطة  
 بينها ، وقد اعتبر وليم الصوري المصدر الوحيد عن السنوات الواقعة بين  
 سنتي ١١٤٤ ، ١١٨٤ واعتبر المصدر الاصلى لكل ما وقع في زمنه من احداث .  
 كما ان الذي ظهر في سنة ١٩٣٨ كتابه الشامل عن  
 الحروب الصليبية ، لم يقبل صراحه فحسب ما وضعه وليم الصوري من خطه  
 لكتابه ، بل قبل ايضا معظم عباراته ، كل ذلك يعتبر دليلا على ان وليم  
 اقام مقياسا لكتابه تاريخ الحروب الصليبية وبذلك كان لكتابه اهمية كبيرة  
 لبحثى اذ عاصر جزءا كبيرا من عهد صلاح الدين وكان مندوبا لملك بيت  
 المقدس في بيزنطة لمقعد الاتفاقات الحربية ضد مصر .

روبرت كلاري :-

أحمد الفرمان الذين اشتركوا في الحملة التي سقطت فيها بيزنطة  
 في ايدي اللاتين ومعتبر مؤلفه احد ثلاث اسفار تناولت الغزو العربي  
 للامبراطورية البيزنطية وهي - مذكرات فلها ودوان ، تاريخ القسطنطينية

(١) روبرت كلاري : فتح القسطنطينية ترجمة حسن حبشي ص ٢٣

(٢) Willam of Tyre op. cit. Vol XII P 20, 21

### لجوتتر ، مذكرات روبرت كلاوى (١) .

روبرت كلاوى كان من الطبقة المعيبة وذلك ببرر الندرة فى المعلومات الخاصة به ، وكان محاربا تحت لواء بطرس داجيان وشارك فى القتال الذى جرى عند اسوار القسطنطينية ١٢٠٣م وكان اياه فضلا اقطاء ليدارس الديمانى ، ولم تكن نصيلته بالتي ترقى به الى الحانة الكبرى . والكتاب مكتوب اصلا بفرنسية العصور الوسطى ، ولا توجد نسخة اصلية من هذه المذكرات التى املأها روبرت كلاوى وفى ١٢٠٠ عهد دير كورسى لاحد النساخ بنسخ بعض المخطوطات القديمة المحفوظة به فجمع النساخ خمس كتب فى مجلد . كان المخطوط منها فى ١٨٧٢م قام كارل هوف بنشر المذكرات ، ثم قام كونست ريان بنشرها سنة ١٨٦٨م وفى ١٩٢٤م قام فيليب لاور بنشرها ثم ترجمها بالانجليزية ادجار هولمز ١٩٣٦م وترجمه الى العربية حسن حبشى ١٩٦٤م وهى النسخة التى استعملت بها . ويمتاز اسلوبه بكثرة التكرار لعبارات معينة بسبب قلة محصوله فى اللغة واهمية مذكراته انه عاصر وكان شاهدا على ما كان لحوادث الحملة منذ البداية حتى تخريب مدينة ادرينوبوليس ١٢٠٥م على يد

جماعات الكومان وهي الواقعة التي سقط فيها الامبراطور يلدوين اسيرا (١) .  
 وهذه الفترة تشغل اغلب صفحات الكتاب فيما عدا صفحات قلائل تكلم فيها  
 عن المدة ١٢٥٠-١٢١٦ ، واغلب الظن انه لم يكن في القسطنطينية في الفترة  
 الاخيرة ، وان ما دونه بناء على ما سمعه من عادوا من الشرق . ولقسيد  
 استندت بالكتاب في الفقرات الخاصة باستيالات الفرنجة على القسطنطينية  
 والتدمير الذي حل بالمدينة على يد اللاتين .

جوانفيل : ١٢٢٤ - ١٣١٢

من المؤرخين ذوي المكانة اللاعقين لوليم الصوري بنان دي جوانفيل  
 وكان والده ، سيد جوانفيل صنجيسل شمانيا واسهم في الحملات الصليبية  
 موجها الى الشرق . ثم صار جان صنجيسلا بعد وفاة والده .  
 وفي تلك الاثناء تزوي لوليم التاسع من مارجريت اميرة بروفانس ، ووقع فيرسيه  
 من خطير ١٢٤٤ . وفي لحظة من اللحظات الحرجة اتخذ لوليم الصليب (٢) ،

(١) روبرت كلوي : فتح القسطنطينية ص ٢٧

(٢) Joinville : History of Saint Louis . Trans.

(٣) السيني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٥٥ . Evans P. XIV.

واحتداه إخوته ، ورجان بلاطه ونبار السادة ، ومن الطبيعي ان يسميهم  
جوانفيل في الحروب الصليبية فاتخذ الصليب واتجه لمرسيليا ، وفي اثنا  
الحملة التي استمرت ١٢٤٨ حتى ١٢٥٤ ، دخل جوانفيل في خدمة  
الملك لويس التاسع ، ولما عاد الملك لويس من الحملة ، جعل لجوانفيل  
الذي صار من اتباعه بعض الالتزامات .

وحيث عاد جوانفيل الى فرنسا وكان قد بلغ وقتذاك الثلاثين من عمره وكان فارسا  
لامعا وبعد وفاة لويس ١٢٢٧ اعتزل الحياة ثم اخذه قتيب الجميل معرقا له  
وفي سنة ١٢٩٧ اتم تطويب الملك لويس التاسع وعمله قديسا وفي سنة ١٣١٠ (١) ،  
وحيثما قرع جوانفيل من كتابة تاريخه تقدم به الى لويس ملك نافار وشامانيا ومات  
جوانفيل ١٣١٩ م (٢) قام جوانفيل بتأليف كتاب " الاقوال المقدسة والافعال  
المجيدة المنسوبة للقدس لويس " بناء على رجاء ملكة نافار وشيخ جوانفيل في  
تأليف منصفه عن تجاربه الشخصية فيما وراء البحار ، ولعله كان يرمى الى  
ان يجعل كتابه على نحو تاريخ فيلها دورين او روبرت كلاري (٣) . ثم حولته  
لمجرى الترجمة الذاتية وفرض من كتابته ١٣٠٩ وحمله على تأليف الكتاب .

(١) الحريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٥٥

(٢) Joinville : op. Cit. Trans. Evans p xv.

(٣) Joinville : op. cit. Trans Evans p xvi

اعجابه وصدافته للويس التاسع \* والكتاب يتكون من حوالي ٢٤٨ فصل  
 وقسم جوانفيل الكتاب قسمين \* قسم خاص بالتحاليم الصالحة للقديس لويس  
 شخصية وسلوكه وعدله \* والقسم الثاني خاص بأعماله الحربية في مصر والشام  
 ولقد ردد جوانفيل في القسم الثاني من الكتاب \* بعض الروايات التي نصادفها  
 في الجزء الاول \* ويبدو ذلك بأكثريته من التكرار حتى يتأكد من انه لیس  
 ينتقد شيئاً في القسم التثقيفي \* وامتاز جوانفيل بموهبته في الوصف وخاصة  
 في الجزء المتعلق بالحروب الصليبية ، الذي نستخلص منه ان الكتاب ليس  
 الا مجموعة من الاجزاء \* جرى تأليفها في اوقات مختلفة \* وهو لا يهتم  
 بالتفاصيل كثيرا (١) \* على ان جوانفيل التزم دائما في تأريخه لحياة  
 القديس لويس بان يخصص حكم خالصا نقياً \* فلا يتأثر بما يكتنه لسيدة من حب  
 وتبجيل ولم يكن جوانفيل مؤرخا (٢) \* ولم يحاول ان يكون مؤرخا الا فـسـى  
 الفصول ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ وفي فصول جافه سقيمة \* ولقد تأثرت

(١) العربي : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٦٦

(٢) Joinville : op cit Trans Evans p xx



## الفصل الثاني

العلاقات بين بيزنطة والشرق الاسلامي  
حتى ظهور صلاح الدين

## بيزنطية والشرق الاسلامي

- ظهور السلاجقة — موقعة مانزكرت وأثرها — استتجداد
- الكميوس بالبابوية — ضعف السلاجقة وانقسام العالم
- الاسلامي — موقف بيزنطة من الحركة الصليبية — مشكلة
- انطاكية — سياسة اللاتين تجاه بيزنطة — الدولة
- المباسية والبيزنطيون — السلاجقة والبيزنطيون في آسيا
- الصفوى — العلاقة بين البيزنطيين والزنكيين — موقف
- البيزنطيين من السلاجقة والحملة الصليبية الثانية —
- النزاع حول انطاكية — موقف المسلمين •





أنشأ الامبراطور قسطنطين الكبير في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي مدينة القسطنطينية على موضع بيزنطة القديم على البوسفور ، واتخذها عاصمة لـ (١) لما لها من مزايا ، ومنها ، انها تقع بين الاملاك الرومانية في آسيا وأوربا ، ولمركزها الاقتصادي بين البحر الاسود والبحر المتوسط ، ومناعة موقعها ، فلما سقطت روما في أيدي المتهمرين سنة ٤٧٦ م ، وقام على أنقاض الشطر الغربي للامبراطورية عمالسا جرمانية ، وأضحى امبراطور الشطر الشرقي امبراطورا للدولة الرومانية ، وظل من الناحية القانونية امبراطورا للرومان حتى سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م رغم أن القسم الشرقي عرف باسم الدولة البيزنطية (٢) .

وما حدث في القرن السابع الميلادي من ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية ، أدى الى انشغال الجيوش الاسلامية في الاقاليم المتاخمة لبلاد العرب (٣) . فسقطت في أيديهم الدولة الفارسية ، وانتزع المسلمون من بيزنطة أقاليمها المطلة على البحر المتوسط من الشرق والجنوب فخضعت لهم بلاد الشام ، والجزيرة ، وأرمينية ، ومصر ، وبرقة وشمال افريقية وبلاد المغرب ، فضلا عن سلب استيلائهم على جزائر قبرص ورودرس ، وكوس ، وقيام الدولة الأمية ، أكمل مصارعة

(١) رنسان (س) : الحضارة البيزنطية (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) ص ٥

(٢) العربي (السيد البار) : الدولة البيزنطية ص ١٧

(٣) بينز (نورمان) : الامبراطورية البيزنطية (ترجمة حسين مؤنس ، محمود يوسف

زايد) ص ٣٥٥ .

السيطرة الاسلامية على هذه السلسلة من الجزائر بالاستيلاء على خيوس وفي سنة ٦٧٠م استولى احد قادته على شبه جزيرة Cyzicus التي لا تبعد الا قليلا عن القسطنطينية فأصبحت بذلك قاعدة بالغة الأهمية في مهاجمة القسطنطينية <sup>(١)</sup> ، وفي تلك الأثناء ، وقبل أن تصوب الضربة القاضية الى قلب الامبراطورية ، استولى جانب من الاسطول الاسلامي على أزمير سنة ٦٧٢ ، بينما احتل الجانب الآخر ليكيا وقيليقية <sup>(٢)</sup> ، وتعرضت كريت للهجوم في نفس السنة التي فيها فوض الحصار على القسطنطينية ، والذي استمر سبع سنوات ( ٦٧٣ - ٦٧٩م ) . فتعرضت القسطنطينية كل صيف لحصار من قبل الاسطول الاسلامي ، ولم ينقذها الا استخدام النيران الاغريقية فتعرضت سفن المسلمين للحرائق ، ووقع اضطراب فيها ثم تعرضت لعواصف شديدة أثناء سيرها نحو الجنوب ، ولم يصل من هذا الاسطول الضخم الى قواعده بالشام الا سفن قليلة ، فجرت مفاوضات بين الامبراطور البيزنطي ومعاوية انتهت بأن دفع معاوية جزية سنوية للدولة البيزنطية <sup>(٣)</sup> ، ولقد حالت بيزنطة دون حصول الاساطيل الاموية على ما يلزمها من أخشاب وحديد <sup>(٤)</sup> ، ترتب

---

( ١ ) الحرنبي : الدولة البيزنطية ص ١٣٢

( ٢ ) Ostrogorsky : G. ) : Hist. of the Byzantine state (Trans by Joan Hussey). P. 111. (٣)

( ٣ ) الحرنبي : الدولة البيزنطية ص ١٣٣

( ٤ ) ارشيبالد ( لويس ) : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط

( ترجمة احمد محمد عيس ) ص ١١١ .

على صمود القسطنطينية ازاء الهجوم الاسلامي أن توقف زحف المسلمين الى اوروبا من جهة الشرق . وعلى الرغم من حرص المسلمين زمن الدولة الأموية على استكمال فتوحاتهم ، بما وجهوه من حملات للاستيلاء على القسطنطينية بعد ذلك ، كان آخرها زمن سليمان بن عبد الملك ٧١٧/٧١٨ م ، واشتد تركت فيها القوات البرية والبحرية ، واستمر حصار القسطنطينية زمنا طويلا ، غير أنه لم يتحقق غرض الخليفة الأموي (١) .

أفادت بيزنطة من الفتن الداخلية التي وقعت في أواخر عهد الدولة الأموية وأدت الى سقوطها سنة ٧٥٠ م (٢) ، وشرب على هذا الانقلاب أن انتقلت حاضرة الدولة الاسلامية من دمشق الى بغداد ، وبذلك خفت حدة حملات المسلمين وضغطهم ، وظلت بيزنطة لمدة نصف قرن آخر تقريبا بعد عام ٧٥٢ م أكبر قوة بحرية فعالة في مياه البحرين المتوسط والاسود فاحتفظت بسيادتها البحرية التي كسبتها عام ٧٤٧ م (٣) ، ولم يعد هناك منافسين للأسطول الإمبراطوري بالمعنى الصحيح في القسطنطينية ، ولا لأساطيل النفوذ البحرية في بحر ايجة ، وسيطرت بيزنطة الى حد كبير على جزائر صقلية وكريت وقبرص وسردينيا وجزر البليار ، وتحكمت في المضائق ذات القيمة البحرية الهامة الواقعة على طول طرق التجارة بين الشرق والغرب (٤) .

Runciman (S.): A Hist. of the Crusades. (١)

I. P. 25.

(٢) المعري : الدولة البيزنطية ص ١٨٥

Runciman: op. cit. I.P. 26. (٣)

(٤) أرشيبالد : القوى البحرية ص ١٥٨

ولكن الموقف بدأ يتغير ابتداء من عام ٨٠٠ م ، إذ أخذت البيزنطية تهمل شأن قوتها البحرية ، وسيد وأن هذا الإهمال يرجع إلى أوائل عهد إيرين ، وبداية عهد الرشيد ، الذي قام بعدة حملات في آسيا الصغرى وكان يهدف من ورائها إلى فتح القسطنطينية ، على أن أغارات المسلمين البحرية توقفت مثلما توقفت الغارات البرية على الحدود الشرقية بين المسلمين والبيزنطيين ، إبان انشغال هارون الرشيد في أواخر أيامه بالفتن والقتل ، وطوال فترة الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون (١) .

على أن العلاقات العدائية لم تتوقف نهائيا ، وفي سنة ٨٢٧ م استولى أهل قرطبة الذين طردهم الخليفة الحكم الأموي على كرت ، ثم فتح المسلمون صقلية (٢) .

ومنذ قيام الأسرة المقدونية بالحكم سنة ٨٦٧ م تحول ميزان القوى إلى جانب البيزنطيين ، الذين أخذوا يتوسعون على حساب الدولة الإسلامية ، وشجعهم على ذلك ، إلى جانب قوة أباطرتهم ، ما انتساب الخلافة العباسية وتعداها من الضعف (٣) .

- 
- (١) العدوي ( إبراهيم أحمد ) : الامبراطورية البيزنطية ص ٨٧  
 (٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ١٠ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦  
 (٣) ازداد نفوذ الترك في دار الخلافة العباسية ببغداد ، واستقل أحمد بن طولون بمصر سنة ٨٦٨ م ، ونشبت الحرب الداخلية في شمال افريقية ، فاشتد الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الاندلس ، المريني : السدولة البيزنطية ص ٢٣٢

وجرت بين مصر وبيزنطة في فترة حكم الطولونيين اتصالات ، فقام أحمد بن طولون بالدفاع عن الشفور الشامية ، فأثر باسيل الأول مهادنة ابن طولون ، وأرسل اليه سنة ٢٦ هـ / ٨٨٧ م عبد الله بن تائوس الذي كان قد وقع في الأسر معه بضعة أسرى من المسلمين وعدة مصاحف هدية منه (١) .

وترتب على الحروب التي نشبت بين المسلمين والبيزنطيين ، أن امتد سلطان بيزنطة الى منبج ، وانطاكية ، وعقدت معاهدة بين الحمدانيين والبيزنطيين في حلب ، في صفر سنة ٣٥٩ هـ / يناير ٩٧٠ م (٢) ، وكان من شروطها دفع جزية سنوية للروم ، ومناصرتهم في قتالهم ضد الفئات التي ليست اسلامية ، ولا يؤخذ من نصراني جزية ، الا اذا كان له بحلب مسكن وضيعة ، وأن يكون حكم حلب لقرعوة ومن بعده ليكجور ، ويصدهما ينصب ملك الروم أميراً (٣) ، وقد اتخذت هذه الحروب صفة صليبية ، قبل أن تنشب الحروب الصليبية بزمان طويل ، ومن الدليل على ذلك ماورد في رسالة يوحنا زسكيس الى ملك أرمينيا سنة ٩٧٤ م من أنه أراد أن ينتزع الاماكن المقدسة من المسلمين (٤) ، وامتد نفوذ البيزنطيين زمن يوحنا زسكيس الى حمص ومعلبك (١) ابن الأثير (عاليه) : التاريخ ج ٢ ص ١١٠  
(٢) ابن الحديد (كمال الدين أبي القاسم عمر) : زبدة الحلب من تاريخ حلب (نشر سامي الدهان) ج ١ ص ١٦٣ الى ١٦٨ ، الانطاكي (يحيى بن سعيد) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ١ ص ١٣٦ .  
(٣) ابن الحديد : زبدة الحلب ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٨ ، الانطاكي : التاريخ المجموع ص ١٣٦ .  
(٤) حبشي (حسن) : الحرب الصليبية الاولى ص ٧

فأذعننت له دمشق واستولى على بيروت وحيدا (١) .

على أن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين لم تكن قاصرة على الحرب بل تجاوزتها الى نواحي سياسية ودبلوماسية واقتصادية واجتماعية ، واتسمت العلاقات بين بيزنطة والمسلمين في الشرق بالاحترام والاعجاب اذ كان للمسلمين في الشرق مكانة خاصة عند البيزنطيين ، لما اشتهروا به من المدنية ، ولما اظهروا من حكومة حازمة . وكان المسلمون عند بيزنطة في مرتبة تملو مرتبة الملوك المسيحيين في الغرب (٢) ، وكانت هناك مراسم خاصة لاستقبال السفارات العربية التي كانت تغد الى القسطنطينية ، ولقد حفظت لنا الكتب التي صنفت تحت اشراف قسطنطين بورفيروجينيتوس في القرن الماشر الميلادي موضوع مراسم البلاط البيزنطي De Ceremonis ووصف الاستقبال الودي البالغ الذي كان البيزنطيون يستقبلون به سفراء بغداد والقاهرة ، وكان السـفـراء العرب يجلسون على مائدة الامبراطور على مقاعد أعلى من تلك المخصصة لسفراء الفرنجة (٣) ، بل ان بطريرك القسطنطينية Nicholas Mysticus أشار في رسالته الى أمير أقيطوش (كريت) العربي " ان دولتي العرب والروم ظاهرتان على العالم كله ، وهما تتأازان وتألقان كالشمس والقمر في القبة الزرقاء ولهذا وحده لا مندوحة لنا عن أن نعيـنـهـن معاً كأخوة بالرغم من اختلافنا في الطوائف والعبادات والدين (٤) " يضاف الى ذلك

(١) العربي : الدولة البيزنطية ص ٤٧٢

(٢) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٣) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٦٤

(٤) Vasiliv (A.A.) : Hist. de L'Empire Byzantine (٣) ton I. P. 405.

أن الأسرى من كلا الجانبين كانوا يلقون أفضل رعاية ، ويشير المقدسي الى أن مسلمه بن عبد الملك لما غزا أرض الدولة البيزنطية اشترط على الامبراطور ، أن ييسرني بالقرب من قصره دار ينزل فيها كبار أسرى المسلمين حتى يكونوا تحت رعايته واشرافه (١) .

ومن الناحية الاقتصادية قدم كثير من التجار البيزنطيين الى المسند المصرية ، كما وفد التجار العرب على بيزنطة لانجاز أعمالهم ، وبلغت التجارة البيزنطية المصرية ذروتها ابان القرنين التاسع والعاشر (٢) ، اذ اقبل المسلمون على شراء ديباج بيزنطة الموشى ، كما سيطر العرب على تجارة المحيط الهندي بأكملها ، وازدادت أهمية طرابيزون في القرن العاشر وأصبحت من أهم مراكز الاتصال التجاري العالمى ، وقال عنها المسعودى " لها أسواق يأتى إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم (٣) " ، وفى العصر المباسى الاول ضمت أكبر جالية اسلامية نزلت بالبلاد البيزنطية (٤) ، ومحمد استرداد انطاكية سنة ١٠٨٥ وجه قدر معين من التجارة الشرقية عن طريق حلب الى انطاكية والى سلوكيا على البحر وكان التجار من كلا الجانبين يتمتعون بالرعاية ،

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٤٧ ، ١٤٨

(٢) ارشيبالد : القوقاز البحرية ص ١٢١

(٣) المسعودى : مرقى الذهب ومعادن الجواهر ج ٢ ص ٣

(٤) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٩٩ .

وكانت لهم أحياءهم وفنادقهم ، اعتمد كتاب وإلى المدينة القوانين التي تخصص لها التجارة السورية والتجار السوريين في بيزنطة فكان عليهم ايداع بضائعهم فسي احد الخانات ، وأن يبيتوا جميعا في قطاع واحد بالخان للبيع والشراء ، ولا ينصرفوا في انحاء المدينة ليبيعوا سلعهم . وكان عليهم ايضا الا يقيموا اكثر من ثلاث أشهر في المدينة . (١) أما العلاقات الثقافية فظهرت في اهتمام العرب بالثقافة اليونانية منذ الدولة الاموية ، فظلت اللغة اليونانية مستخدمة في الدواوين ، كما وجد موظفون مسيحيون في بلاط معاوية اذ نعم غير المسلمين بالتسامح الديني ، وما يسد على استمرار الاساليب اليونانية ببناء الجامع الأموي وفق الاساليب البيزنطية ، كما جرت دفة الحكم في دمشق ومصر في القرنين سنة الأولى من العصر الاسلامي وفق الاساليب البيزنطية ، ولقد بدأت حركة الترجمة اليونانية الى العربية في العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي فقد اتصل العرب بمرآكز الثقافة اليونانية في حران والاسكندرية وجند سابور (٢) ، فترجم خالد بن يزيد بن معاوية بعض كتب اصطفى القسطنطيني الاسكندراني ، وكانت الترجمة في الدولة الاموية مقصورة على العلوم العقلية كالكيمياء والطب والنجوم ، ولم يعتمد ذلك على العلوم العقلية بالمنطق والفلسفة والهندسة ، وما الى ذلك فهذه لم تكن الا فسي الدولة العباسية ، اذ كان اتصال المسلمين بالفلسفة اليونانية اول الامر عن طريق الفرس ، فقد ترجم ابن المقفع كتابا من منطق اليونان ، ويبدو أنه نقلها عن الفارسية (٣)

(١) الصيرفي : كتاب عن الحسبة في بيزنطة للقرن العاشر الميلادي ص ١٠١

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢٠

(٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٦٢



كما تولى بعض النصارى من النساطرة واليعاقبة الترجمة من السريانية الى العربية ، وترجمت في العصر العباسي تأليف ارسطو وبعض مؤلفات افلاطون وكتب جالينوس وأهم ما وصل اليه العقل اليوناني في العالم والفلسفة <sup>(١)</sup> ، وكان للثقافة اليونانية أثر كبير في المسلمين ، وخاصة أن اتصال المسلمين بها صاحب عصر قد ومن العلوم العربية ففسرت الثقافة اليونانية اليها ، وصبغت بصبغة خاصة ، وكان للفلسفة اليونانية اثر كبير في تعاليم المتكلمين ، وهناك نوع آخر من الثقافة اليونانية الرومانية وهي الثقافة الاجتماعية التي نشأت عن امتزاج ، الجنس العربي بالجنس اليوناني فشهد العرب عادات البيزنطيين ، ونظم حكمهم وقوانينهم من فناء وتصوير وما الى ذلك ، فنقل العرب عن اختلاطهم بالبيزنطيين ما لم يتيسر لهم نقله عن طريق البحث العلمي ، ونانت بلاد الشام اهم منبع لهذه الثقافة الاجتماعية <sup>(٢)</sup> ، كما كان للحروب المستمرة بين المسلمين والروم ووقوع الاسرى من كلا الجانبين في يسد الآخر أثر كبير في هذه الثقافة ، ومن هؤلاء الاسرى هارون بن يحيى الذي أسير زمن ياسيل الأول وقام بوصف القسطنطينية وعظمتها وطبوغرافيتها ، وكان من المسلمين من يتكلمون اليونانية ومن الرومانيين من يتكلمون العربية ما ساعد على تبادل الآراء والافكار في اللغة والأدب ، وروى ابن الامبراطور الروماني أرسل الى الرشيد يطلب أبا الحناكية ولكنه رفض الذهاب الا أن تأثير الادب كان ضعيفا اذا قيس بتأثير العلم والفلسفة ، ولقد نقل ابن النديم أسماء كتب الروم ، وترجمت حكم لفيثاغورث

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٦٣

(٢) الذهبي (ابن صائد) : طبقات الامم ص ٢٧

وتسميت الفاظ يونانية الى المربية كأسماء الثياب وغيرها (١) ، ويبدو أثر الحروب  
 المربية البيزنطية في الادب في خلق نماذج لابطال يتصفون بالبسالة والاقصام  
 والكرم ، واصبح يحضر هؤلاء شخصيات اسطورية لها قوة خارقة ، ومن ذلك محارب  
 عربي اسمه عبد الله البطال ، ربما يكون استشهد في معركة اقزونيون في آسيا الصغرى  
 سنة ٧٤٠م ، كما مجد شعراء الحمدانيين اعمال المسلمين في الحروب مع بيزنطية  
 كعصر ابو فراس الحمداني ، وكذلك فان الامر في الجانب البيزنطي مثل ملحمة  
 البطولة البيزنطية المشهورة التي نشأت حول شخصية ديميس اكرتياس وتبدو  
 حون شخر قتل في الحرب ضد العرب في آسيا الصغرى سنة ٧٨٨م ويقال  
 ان هناك ارتباطا بين الف ليلة وليلة وبين شعر البطولة اليوناني وملحمة مسيد  
 البطال التركية التي لم تدخل في دائرة الشعر التركي الا بعد نقلها الى اللغة  
 التركية واسلمها عربي (٢) .

---

(١) ابوالفج الاصفهاني : الاغانى ج ٣ ص ١٧٩

(٢) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٨٣

### موقعة مانزكورت وأثرها :

يُعتبر ظهور السلاجقة فاتحة عصر جديد لا في التاريخ الإسلامي فحسب ، بل في تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بوجه عام ، والسلاجقة فرغ من الاتراك الفسز نزحوا مع زعيمهم " سلجوق " الى بلاد ما وراء النهر حيث استقروا قرب بخارى ، وهناك اعتنق سلجوق الاسلام ، وتبعه قومه ، وسرعان ما تمت قوة السلاجقة اذ بدأوا منذ سنة ١٠٢٨م يغيرون على حدود ايران الشمالية والشرقية واستولوا على خراسان ، ثم غزوا ايران ، وطرقوا الى اقليم الخزر ، واذ صفت الخلافة العباسية ، لم يسع الخليفة العباسي " القائم بأمر الله " الا أن يعترف بزعيم السلاجقة " طغرل " الذي دخل بغداد سنة ١٠٥٥م ، في موكب رسمي ، ومنذ ذلك الوقت حل السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على الخلافة ،

وعندما توفي طغرل ١٠٦٣م خلفه ابن أخيه " ألف أرسلان " الذي حكم فترة قصيرة مليئة بالاحداث ، اذ أن السلاجقة كانوا سنيين متحمسين ، فتعصبوا لنصرة الخليفة العباسي السني ، ولذا أرسلوا حملة الى الشام لمحاربة الفاطميين ، استطاعت استرداد حلب ومكة ، والمدينة ، كما أخضعت الثغورات التي قامت في فارس (١) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٥

وترجع شهرة الب أرسلان الى موقفه من الدولة البيزنطية ، اذ أنه لم يلبث أن أغمار على أطراف الدولة البيزنطية في كهادوقيا واستولى على قيصرية ، فذهب الامبراطور رومانوس الرابع ديوجنيس (١٠٦٧ - ١٠٧١ م) للدفاع عن بلاده ، ولم تلبث أن دارت بين الفريقين معركة حاسمة عند مانزكرت<sup>(١)</sup> ، حيث أحرز الب أرسلان انتصارا حاسما ، ووقع الامبراطور البيزنطي في الأسر ، ولم يطلق سراحه الا بعد دفع فدية كبيرة ، والتعهد بالآ يقتل المسلمين ، وأن يطلق سراح الاسرى المسلمين ، فضلا عن عقد هدنة لمدة خمسين سنة<sup>(٢)</sup> غير أنه لما عاد الامبراطور الى القسطنطينية ثقل عليه عن العرش ، وخلفه في الحكم الامبراطور ميخائيل السابع<sup>(٣)</sup> ، (١٠٧١ - ١٠٧٩ م) ، وتمتبر مانزكرت من أفجع الهزائم في تاريخ بيزنطة ، فقد بدت بيزنطة كأنها خسرت في ميدان القتال كل دليل على انها حامية المسيحية<sup>(٤)</sup> ، ويشير ولهم الصوري الى أن هذه الهزيمة خدمت الحركة الصليبية ، واثبتت أن بيزنطة لا تستطيع حماية الشرق ، ومن نتائجها ايضا القضاء على التحالف البيزنطي الفاطمي ، على أنه برغم انتصار السلاجقة في مانزكرت ، لم يستغل الب أرسلان هذه الفرصة للتوسع فقد ظلت بيزنطة تحتفظ باقاليم الاطراف<sup>(٥)</sup> .

(١) مانزكرت أو ملاذكرت مدينة أرمنية تقع الى الشمال من بحيرة خان

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٧٥ Vasiliev: op. cit. I. P. 469

(٣) عاشور ( سعيد عبدالفتاح ) : اوربا المصور الوسطى ج ١ ص ٤٢٤

(٤) Runciman: op. cit. I. P; 64

(٥) Vasiliev : op. cit Tom. I. P. 356.

وتلى معركة مانزكرت زوال بقايا الادارة البيزنطية في أرمينيا  
 وقبلا دوقيا بعد أن هجرها أهلها ، وأضاف الى ذلك أن السلاجقة  
 كانوا يتدخلون لنصرة الابطاطرة البيزنطيين والظالمين في العرش البيزنطى  
 وأخذوا يوطدون سلطاتهم بآسيا الصغرى ، واستطاع سليمان بن قلمش  
 أن يحقق للسلاجقة السيادة بهذه الجهات .

وما حدث من التنازع على عرش بيزنطة ، والتجاء الظالمين الى  
 السلاجقة لمساندتهم ، والى مناوئة العناصر النورمانية المأجورة فضلا  
 عن دخول الترك جنودا مرتزقة فى القوات البيزنطية ، كل ذلك هبطا  
 للسلاجقة الطريق لتوطيد سلطتهم بآسيا الصغرى . واستيلاء السلاجقة على  
 حلب ودمشق وبیت المقدس منذ سنة ١٠٧٠ ، ثم انتزاع انطاكية من ايدى البيزنطيين  
 سنة ١٠٨٥ (١) ، وما أصاب بيزنطة من الانهيار ، كل ذلك حمل البيزنطيين  
 على الشعور والاحساس بأن السلاجقة اشد خطرا على دولتهم من العرب اثنا  
 هجومهم على بيزنطة فى صدر الاسلام ورأوا انه ليس بوسعهم وقف تقدمهم ، فلم  
 يسمهم الا التماس المسون والمساعدة من غرب اوربا ، ولم يجد الامبراطور  
 الكميوس كوميونين وسيلة يستعين بها لدفع هذا الخطر سوى  
 الاستنجاد بالبابوية عند مرآت ، حتى انتهت به الامر الى ارسال  
 بعثة الى البابا اريان الثانى سنة ١٠٩٥ لشرح خطر السلاجقة على  
 المسيحيين بوجه عام (٢) .

Runciman: op. cit. vo. I. P. 65. (١)

(٢) عاشور : اوربا المصور الوسطى ج ١ ص ٤٤٦ ،

ومينما ارتفع شأن السلاجقة ، وامتد سلطانهم من بحر ايجسى شرقا الى حدود الصين غربا ، ومن بلاد القوقاز شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، وأخذ سلطان الفاطميين يتقلص ، فاستقل عنهم الساحل الشرقى للبحر المتوسط بسبب الازمات الاقتصادية التى حلت بالدولة وضمف الخلفاء فضلا عن المنازعات بين العناصر المختلفة بالجيش الفاطمى . ومع ذلك استطاع الفاطميون أن يستردوا بيت المقدس سنة ١٠٨٩ (١) . وما تعرضت له كل من الدولة البيزنطية والخلافة الفاطمية من خطر من قبل السلاجقة ، أدى الى قيام تحالف بينهما لمواجهة تهديد السلاجقة (٢) .

على أن أحوال العالم الاسلامى فى الشرق الاوسط ، ازدادت تدهورا فبعد مقتل ~~المستنصر~~ ~~المستنصر~~ سنة ١٠٩٢ ، قامت امارات سلجوقية مستقلة بآسيا الصغرى والعراق وخراسان وكرمان . أما بلاد الشام فانقسم الى اوارات متفرقة يدين بعضها بالولاة للسلاجقة بينما كان البعض الآخر وخاصة المدن الساحلية وبيت المقدس يخضع للفاطميين ، واستقل أمراء آخرون التى تولوها سواء من قبل السلاجقة أو الفاطميين ، بينما نشب النزاع بين ولدى تيتش ، رضوان ودقاق ، على مملكته التى اقامها بالشام ، واذ حصل الضعف بالقوى الاسلامية التى تسيطر على منطقة الشرق الاوسط ، حيث

Gibb (H.A.R.): The Claphite and the Arab State P.95(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠١  
ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب ج ١ ص ١٦

تقع الأماكن المقدسة التي تطلع المسيحيون بغرب أوروبا إلى الاستيلاء عليها نهضت  
 بيزنطة من كبوتها في عهد الإمبراطور الكيسوس كومنين ( ١٠٨١ - ١١١٨ )<sup>(١)</sup> ،  
 لما اتصف به الكيسوس من الدماء ونفاذ البصيرة ، وحمله على أن يستخدم مسن  
 الأساليب ما يكفل له القضاء على الفتن الداخلية ، وتوطيد مركزه ، وإصلاح الأحوال  
 الاقتصادية ، وإعادة بناء الأسطول ، وتشكيل جيش جديد من المرتزقة<sup>(٢)</sup> ، والإيقاع  
 بين الأمراء والقادة السلاجقة الذين هددوا ماتبقى له من أملاك في آسيا الصغرى<sup>(٣)</sup> .

#### موقع بيزنطة من الحركة الصليبية :-

كان الإمبراطور الكيسوس يأمل من وراء طلب مساعدة الغرب لـ  
 أن يتوافر له من الجنود المرتزقة مما يحميه على طرد الترك من آسيا الصغرى ،  
 وما طلبه من الغرب من امداد لم يقصد به الاعتبارهم جنوداً مأجورين يخضعون  
 لسلطانهم ، وينفذون أوامره ، غير دون اليه ما يستولون عليه من البلاد من أيدي  
 المسلمين صحترون له بالسيادة والسلطان<sup>(٤)</sup> . وفضل ما اشتهر به الكيسوس من  
 المهارة السياسية ، وما أغدقه من الهدايا والتشريف على قادة الصليبيين فضلاً

(١) Runciman : op. cit Vol I. P. 75

(٢) Runciman: op. cit. vol. I. P. 76

(٣) ابن الأثير / الباهر في الدولة الأتابكية ( نشر عبد القادر طليعات ) ص ٧

(٤) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٢٠

(٥) Runciman: op. cit. I. P. 150.

عن الافادة من التنافس والتشاحن الذى وقع بين الجيوش الصليبية المختلفة . استطاع  
 أن يحمل القادة الصليبيين على بذل يمين الولاء له (١) . وكأنما تمين عسكرو  
 الصليبيين أن يحدوا الى بيزنطة ما كان لها من ممتلكات بالشام وقيادوقيا والرها (٢)  
 وهذا استخدم الكيسوس الغرب الصيحي لتحقيق ملامح بيزنطة السياسية ، وبذلك  
 بيزنطة للصليبيين كل ما لديها من مساعدات مادية وخبرة بطبيعة بلاد آسيا  
 الصغرى ، ومهارة سياسية فى العلاقات مع الترك ، والافادة من السكان اليونانيين ،  
 ووقوع النزاع بين القوى الاسلامية المختلفة بآسيا الصغرى (٣) ، كل ذلك حقق  
 للصليبيين ، أمر الاستيلاء على المدن الواقعة على الطريق الرئيسى المؤدى الى  
 أطراف الشام ، حتى بلغوا انطاكية ، وشهيا للامبراطور أن يسترد بفضل الصليبيين  
 الجانب الغربى من آسيا الصغرى (٤) .

#### مشكلة انطاكية :

توجه الجيش الصليبي الرئيسى لحصار انطاكية التى تعتبر من أهم  
 مدن الشام ، ومانت الثغر الجنوبي للاملاك البيزنطية وانتزعاها من ايديهم  
 سنة ١٠٨٥ ، ولم تلبث أن أضحت من أملاك السلاجقة بالشام ، وكان يتولى

(١) حبشى : الحروب الصليبية الاولى ص ٢٧

(٢) Grousset: Hist. des Croisades Tom. I. P. 27.

(٣) Runciman: op. cit. vol. I. P. 194.

(٤) Ostrogorsky: op. cit. P. 322.



حكوماتها من قبل السلطان ملك شاه ، ياغى سيان وظل يحكمها حتى سقطت ففى  
أيدى الصليبيين سنة ١٠٩٨ واستطاع بوهمند النرمنى أن يظفر باحتلالها  
بعد أن اشتد النزاع عليها بين الامراء الصليبيين (١) .

والواقع أن امتلاك الصليبيين لانتاكية ، أدى الى التخاصم والتنازع  
بينهم وبين الدولة البيزنطية منذ بداية الحروب الصليبية ، وتحكم الى حد كبير  
فى سياسة بيزنطة الصليبية (٢) . فعلى الرغم من أن الامراء الصليبيين بذلوا يمين  
الولاء للإمبراطور الكيسوس ، فأصبحوا بذلك اتباعا له ، فيما يستولون عليه من أملاك  
ومدن وقلاع ، تعتبر من أملاك الإمبراطور يمنحها لمن يشاء من الاجراء الاتطاعيين (٣) .  
على أن الامراء رأوا غير ذلك ، فاعتبروا أن مايفتحونه من بلاد داخل حدود الشام  
ليس للإمبراطور سلطان عليه ، ويعتبر من حقوق الامراء ، ولذا حرص بوهمند بمسند  
الاستيلاء على انتاكية على أن يتخلى من كل أثر ونفوذ بيزنطى ، فأوهم الامراء الصليبيين  
أن الإمبراطور الكيسوس يكيد لهم ويتحالف مع السلاجقة ، ولم يسمع ممثل الكيسوس  
وهو ناغيرى إلا أن يفر الى قبرص ، وزعم الصليبيون أن الإمبراطور أدخل بشروط  
يمين الولاء ، إذ تخلى عنهم أمام انتاكية فى أحوال الاوقات ، ولم يقدم لهم ما  
يحتاجونه من المؤن والعتاد . وصار لبوهمند من النفوذ والسلطان ما جعله أخيراً

Runciman: op. cit. vol. I. P. 224.

(١)

Grousset : op. cit. Tom. I. 143.

(٢)

Chalandon (F.): Hist. de la Premiere  
Croisade. P.227.

(٣)

## الأمير نفرد بامارة انطاكية (١).

والواقع أن الصليبيين أفادوا من مساعدة البيزنطيين فيما احتلوا  
 من الاراضى الاسلاميه ، كما أفادوا من تفكك القوى الاسلاميه فيما اتخـذوه  
 من سياسة مع الامراء المسلمين ، فان ما حدث من انقسام الشام بين السلاجقه  
 والفاطميين والأتابكه والامراء المستقلين ، أضعف شأن المسلمين فى الشرق الاوسط  
 ومن الدليل على ذلك ما حدث من محاولة الفاطميين الاتفاق مع الصليبيين ، بناء  
 على نصيحة الامبراطور الكيسوس ، اذ أنه بذل النصيحة للصليبيين بالتماس صداقة  
 الفاطميين (٢) ، فأرسل الوزير الافضل بن بدر الجمالى الى انطاكية سفارة فسعى  
 يناير سنة ١٠٩٨ م / ٥٤٩٨ هـ ومكث بها شهرين وكانت هذه السفارة تحمل مشروع  
 اتفاق بين الفاطميين والصليبيين ، تحصل فيه مصر على بيت المقدس ، وينفـرد  
 الصليبيون بانطاكية ، على أن يسمح للصليبيين بزيارة الاماكن المقدسه بـفلسطين  
 وسمح لهم بممارسة شعائـرهم على الا تزيد اقامتهم اكثر من شهر واحد والا يدخلوها  
 بسيوفهم ، ولقد رحب بهذه السفارة الصليبيون وأرسلوا معها وفدا الى القاهرة (٣)  
 وبدوا أن الصليبيين لم يهتموا فى ذلك الوقت بفكرة التحالف ، وأنهم ابعـد ما يكرهون  
 عن معاونة الفاطميين على استعادة ممتلكاتهم فى الشام ، اذ جعلوا كل اهتمامهم

Runciman: op. cit. I. P. 204.

(١)

Setton: A Hist. of the Crusades . vol. 11. P. 316

(٢)

Runciman: op. cit. vol. I. P. 205.

(٣)

موجهها الى السير الى بيت المقدس بمد استيلائهم على انطاكية (١) . ولذلك لم  
تحقق السفارة هدفها ، وظن الفاطميون في مصر أن انتصار الصليبيين في انطاكية  
يحول دون زحف السلاجقة جنوبا ، وضع الخطر عن مصر ، كما اعتقدوا أن الصليبيين  
سوف يترققون في زحفهم عند بيت المقدس (٢) ، وهذا يؤلفون اشارة حاجزة  
بين السلاجقة والفاطميين .

وإذا أدرك الصليبيون ما وقع من الشقاق بين القوى الاسلامية فاصلوا  
بديتاقى أمير دمشق (٣) ، حينما علموا باستعداد كيوفا أتابك الموصل لمساندة  
ياغى سيان أمير انطاكية ، وأشاروا الى انهم لن يتمسروا لملكاته بأذى ، وأنهم  
لا يقصدون سوى البلاد التي كانت يأبدي الروم ، والبيزنطيين (٤) .  
أن دقاقا لم يلتفت اليهم ، واستنجد بالسلطان السلجوقي في بغداد ، فكتبوا  
ورضوان صاحب حلب ، وأمير حماه وسنجار ، فلم يسع الصليبيون الا الانتباه الذي  
البيزنطيون ، ومع ذلك فان بوهمند استطاع آخر الأمر أن يظفر بأنطاكية بفضل  
وسالة رجاله وخيانة أحد القادة الأرمن ، كان يخدم ياغى سيان (٥) ، وذلك دون أن  
ينتظر قدوم القوات البيزنطية ، بينما أعلن الامبراطور أن مصلحة الامبراطورية

Grousset: op. cit. Tome. I. P. 83. (١)

Grousset: op. cit. tome. I. P. 83. (٢)

Setton: op. cit. vol. I. P. 316. (٣)

(٤) حبشى : الحروب الصليبية الاولى ص ٥٤

(٥) ابن المديني : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٣٣

ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠٢

تستوجب الصودة وتجنب التعرض لمهجمات السلاجقة وكل ما كان يهتم به هو مصلحة  
الامبراطورية ورفاهيتها ، ولما وصلت الانباء الى المسكر الصليبي بأن الامبراطور عاد  
الى عاصمة ملكه ، ورفض النهوض لمساعدتهم اعتبروا ذلك تخاذلا من الامبراطور  
فاطمأ أن بوهمند بذلك الى أن تحققت أحلامه بالانفراد بأنطاكية (١) .

### سيااسة اللاتين تجاه بيزنطية :

على الرغم من أن الامبراطور لم يواصل السير لنجدة الصليبيين في انطاكية  
فانه أظهر استعدادا لمساندتهم عند زحفهم على بيت المقدس فطلب منهم انتظاره  
لشهر يوليو ، ولحق السوفى التأجيل يرجع الى أن الامبراطور حذر على ألا يغفل  
أمر الاتفاقية السرية التى عقدها مع الفاطميين ، اذ ارتاب البيزنطيون فى  
توسع الصليبيين ومناخمتهم لحدودهم وأدركوا انه لا بد من ايمادهم عنها (٢) .

والمعروف أن اليونانيين كانوا يملكون جالية كبيرة في انطاكية وكان  
البابا ايزيدور قد أوصى الأحمق ادهسبير بتوطيد العلاقات  
مع بيزنطية وعدم التعرض للمسلمين الا ريثما يفسى

Runciman: op. cit. I.P.240.

(١)

Setton: op. cit. I.P.329.

(٢)

Grousset: op.cit Tom I.p. 37

(٣) حبشى : الحرب الصليبية الاولى ص ٢١

التقارب بين الكيستين الشرقية والغربية ، فأعاد اد هيمر بطورك انطاكية السى  
كرسيه ، غير ان يوهنسد قرر عزله بعد أن استقر فى انطاكية وكشف ما بين  
البيزنطيين والفاطميين من علاقات .

لم يسمع الصليبيون الا أن يقرروا السير الى بيت المقدس بعد أن ارسلوا  
رسالة الى البابا يدعونه لقيادة الحملة ، ولكن البابا اعتذر ، وفى اثناء سير  
الصليبيين الى بيت المقدس وصلت رسالة من الامبراطور البيزنطى فى سنة ١٠٩٩ م ،  
تذكرهم باتفاقهم السابق ، وما بذله جميع البارونات من يمين الولا ، التى  
تلتزمهم بأن يردوا اليه ما وقع بأيديهم من المدن والقلاع وفقا لاتفاقية سنة  
١٠٩٧ م ولقد كتب الفاطميون الى الكيسوس حين تقدم الصليبيون فى اراضيهم  
لايضاح مدى صلته بتلك الحركة (١) واشتركة فيها ، فأنكر صلته بها وكان سبب  
اتخاذ ذلك الموقف ، تصرفات يوهنسد وعدم وجود مصالح له فى بيت المقدس .  
أما واجبه نحو الارثوذكس المسيحيين بصفته حاميا لهم ، فقد حمى على الاعتقاد  
أن بقاءهم تحت الحكم الفاطمى أفضل من حكم الفرنج المخالفين لهم فى المذهب ،  
والذى بدت دلائله تجاه السكان الوطنيين مما تعرضوا له من اضطهاد وتمذيب ،  
وفى نفس الوقت لم يقطع علاقته بالصليبيين ، ولكن تلك الرسائل وقعت فى أيدي  
الصليبيين الذين اعتقدوا فى خيانتهم لهم . ورغم ذلك تمكن الصليبيون من الاستيلاء  
على بيت المقدس (٢) .

(١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٥

(٢) عاشور / الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤

اقام الصليبيون لهم في الشرق الادنى فيما بين سنتي ١٠٩٢ و ١٠٩٩ ثلاث امارات : الرها ، وأنطاكية ، وبيت المقدس ، فتغيرت الاوضاع السياسية بهذه المنطقة ، اذ حرص الصليبيون على تثبيت اقدامهم ، ولم يلبث ان ظهرت — أطاعهم السياسية والشخصية والاقتصادية . اذ حرص كل أمير على تملك ما وقع في يده من المدن والقلاع الاسلامية ، وحازت الجمهوريات الإيطالية من الامتيازات ما جعل مساعدتها بالغة الاهمية للصليبيين ، كما تغير موقف بيزنطة — من الصليبيين ، ويدل على ذلك ما انتهجته من سياسة تجاه حملة سنة ١١٠١ م <sup>(١)</sup> التي بدأ في تأليفها لساندة الصليبيين في الاستيلاء على انطاكية سنة ١٠٩٨ م ولم تتحرك الا بعد سقوط بيت المقدس اذ تعرضت هذه الحملة لهزيمة ساحقة على أيدي السلاجقة <sup>(٢)</sup> ، وترتب على هذه الهزيمة نتائج خطيرة ، اذ استعاد السلطان السلجوقي نفوذه في آسيا الصغرى ، واتخذ قونية عاصمة له ، وهدد الطريق الرئيسى بين القسطنطينية والشام ، كما مد غازي الدانشمند نفوذه الى الفرات ، فأصبح يهدد الرها ، وأصبح طريق آسيا الصغرى موصدا مرة أخرى امام الصليبيين والبيزنطيين <sup>(٣)</sup> ، وألقى الصليبيون مسئولية هذه الهزيمة على عاتق بيزنطة ، في حين اتهمتهم بيزنطة من جانبها بأنهم لم

(١) المعري : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج ١ ص ٣٠٠

(٢) Runciman: op. cit. vol. II. P. 21

(٣) Ostrogorsky: op. cit. P. 323.

يتمسوا خطط الامبراطور البيزنطي ، ونتج عن ذلك أن أصبح من المحتمل على الصليبيين والبيزنطيين عند توجيه أى حملة ، أن يسلكوا طريق البحر ، فاستفادت المدن الإيطالية بيزا وجنوة في الحصول على مزايا تجارية ضخمة (١) .

### الدولة العباسية والبيزنطيون :

بدأت حركة الافاقة في الدولة الاسلامية ، وبدأت تظهر بوادر توجيه الجبهة الاسلامية وفكرة الوقوف في وجه الصليبيين في شمال العراق أولا ثم بلاد الشام (٢) ، ولكنها لم تتضح تماما . فلم يكن للمحاربين عزيمة صادقة في الجهاد ، وقد بدأت حركة الافاقة في شمال العراق ، وذلك لقربها من الرها والخوف من الصليبيين ، ولقد بدأها جرمكش حاكم الموصل ، ثم مودود اتابك الموصل ، ولقد تسربت فكرة الجهاد الى نفوس العامة ، في البلدان التابعة للخلافة العباسية حيث اندروا الخليفة العباسي بوجوب مقاومة الغزو الصليبي ، بعد أن تعرضت حلب لحصار الصليبيين ، فخشى المسلمون استيلاء الفرنج على بقية بلاد الشام (٣) ، فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد ، مستنصرين على الفرنج ، واعتزم

Runciman: op. cit. vol II: P. 29. (١)

Grousset: op. cit. Tome I, P. 416. (٢)

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٨٢ ، ابن الصديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٢

الكميوس كومنين الفرصة ، وأرسل لسلطان السلاجقة ببغداد يحثه على قتال الفرنج ، ووصلت سفارته وقت وصول أهل حلب ، فاشتد أهل حلب في حب السلطان على الجهاد ، بأن قالوا للسلطان " أما تتق الله تعالى أن يكون ملك السور أكثر حمية منك للإسلام حتى لقد أرسل اليك في جهادهم " (١) وتضمنت رسالة الامبراطور البيزنطى للسلطان السلجوقى والخليفة العباسى عرض التحالف بين البيزنطيين والمسلمين ، كما تضمنت الاشارة من طرف خفى الى نوايا الصليبيين وأنه منهم من المبور الى بلاد المسلمين ، وكانت هذه السفارة تهدف الى القيام بجهد مشترك بين بغداد وبيزنطة ، ضد الصليبيين ، اذ كان الامبراطور يعلم الا أمل فى أن ينقذ قادة الفرنج اتفاقاتهم معه وتسليمه انتطاكية (٢) ، وليصفو له الجو وضغط كلا الجانبين ( الصليبيين والاسلامى ) ، نهضت جيوش عربية تولى قيادتها مودود زنكى ، حاصرت تل باشرسنة ١١١٠ م ٥٠٤ هـ واشترفت على اخذها (٣) .

### السلاجقة والبيزنطيون فى آسيا الصغرى :

منعت غارات السلاجقة الامبراطور البيزنطى من التدخل فى شئون

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ ، ابن المديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠٣

(٢) Runciman: op. cit. vol I. P. 121.

(٣) ابن المديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٨



سوريا ، وبعد موت الفارزى كمشتكين الدانشمندى سنة ١١٠٦ م كان لبيزنطة  
 فى الاناضول قوات كبيرة ، اذ أن الكسيوس كان يهدف الى بسط سلطانه على  
 المناطق الغربية على الشاطىء الجنوبي (١) وحكم قبادوقيا القائد السلجوقى  
 حسن الذى حاول سنة ١١١٠ م الاستيلاء على اراضى الدولة البيزنطية ، وتقدم  
 فى اتجاه فيلادلفيا وكان يهدف الاستيلاء على أزمير ، ولكن القائد  
 البيزنطى Eustathius philoces قائد الجزء الجنوبي  
 الغربى من الاناضول حصر على احباط محاولة حسن واستنقاذ الشاطىء الايجيمنى  
 من هجمات السلاجقة (٢) ، وفى نفس الوقت كان اكبر أولاد قلع ارسلان قد تخلص  
 من أسر الفرس واتخذ قونيا عاصمة له بعد محاربة القائد حسن فى محاولة لاسترداد  
 اراضى اسلافه ، فاتجه الى فيلادلفيا سنة ١١١٢ م ، حيث التحم مع الجيش  
 البيزنطى Gabras واشتبك معه مرة ثانية سنة ١١١٣ م فأرسل  
 حملة سريعة الى بيثينيسا وأسوار قونية فحاصر قائدهم محمد مدينته  
 Poemarenum حيث قبض على القائد البيزنطى ، واتجه الى ابيدوس كما  
 حاصر ملكشاه Pergamum واستولى عليها ، وخرج الامبراطور  
 بنفسه لمواجهة السلاجقة ، وانتظرهم اثناء عودتهم محلين بالفنائم وفاجأهم  
 واشتبك معهم قسرب Catyaeum فاستعاد الاسرى

Runciman: op. cit. vol. II. P. 138. (١)

Runciman: op. cit. vol II. P. 138 (٢)

والخناثم ، وفي سنة ١١١٥ م ترددت انباء على أن ملكشاه يستعد للحرب مرة ثانية وقضى الكسيوس السنة في احتلال بيثينيا ، وفي السنة الثالثة كان مريضا ، ومع ذلك عزم على أن يبدأ بالهجوم ، واتجه جنوبا الى قونية وانتصر البيزنطيون في Philomelum (١) ، واضطر ملكشاه لطلب الصلح واعترف بحدود بيزنطة التي امتدت من طرابيزون الى قليقيا والناطق الواقعة غرب انقرة ، ثم قتل ملكشاه على يد أخيه مسعود بعد تحالفه مع الدانشمند واكن استدر الترك في غاراتهم في جوف الاناضول ، ومنع هذا بيزنطة من اتخاذ اجراءات فعلية في سوريا ، وكل هذا أفاد امير ارمينيا Thoros ، والنورمان في انطاكية ولقد توازنت قوة البيزنطيين والسلاجقة في آسيا الصغرى ، لذلك منعت تلك الاحداث الكسيوس من الذهاب الى روما (٢) .

وفي سنة ١١١٨ م توفي كل من الخليفة المستعين في بغداد والكسيوس كورنين ولد دومين الاول (٣) .

سار يوحنا كورنين ( ١١١٨ م - ١١٤٣ م ) على سياسة ابيه الكسيوس ، الذي خلف له اسطولا قويا وثروة ، فضلا عن جيش تجهز

(١) Ostrogorsky: op. cit. P. 324.

(٢) اسد رستم : الروم ص ١٣٣

(٣) Chama, dp.,: Alexis comene p 263

Runciman: op. cit vol II. P: 134

بالمعاد ، وتلقى تدريباً جيداً فحرم على تأمين الحدود ، واستمادة ما فقدته  
الامبراطورية من املك ، وتأکید سلطة بيزنطة على شمال الشام <sup>(١)</sup> ، بينما  
كان السلاجقة منقسمين على انفسهم : فالسلطان مسعود في قونية يسيطر  
على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الاناضول من سنجار الى طوروس ، ثم  
الامير غازي الدانشمند يحكم من هاليس الى الفرات وبين املاكهما مدن يحكمها  
افراد مستقلون <sup>(٢)</sup> ، وكان طغرل ارسلان امير ملطية لا ينفك في الاغارة على  
سراجل اداة وسائر قليقية ، فقاد يوحنا جيشه واستعاد ادينه ، <sup>(٣)</sup>  
وكان من حسن حظ بيزنطة ان وقعت الفتنة بين السلاجقة ، فنشب خلاف  
بين السلطان مسعود واخيه عرب على اماره طغرل وملطية فاضطر مسعود للهروب  
للقسطنطينية حيث استقبله الامبراطور استقبالاً حسناً ، ولكن مسعود استطاع  
استمادة عرشه ولجأ عرب بدوره الى قليقيه ثم القسطنطينية ، وامضى الامبراطور  
الاعوام من ١١٣٠ - ١١٣٥ في مهاجمة دانشمند ، ولكن عكر عليه صفو ذلك  
هروب اخيه اسحق ١١٣١ م حيث قضى تسعة اعوام ، يدبر المكائد مع الامراء  
المسلمين والارمن ، ومنذ وفاة الامير غازي دانشمند لم تستطع قوة سلجوقية

Grousset: op. cit. I. P. 462

(١)

Runciman: op. cit. II. P. 201.

(٢)

Ostrogorsky: op. cit. P. 336.

(٣)

أن تعترض طريق الامبراطور يوحنا الذى استعاد كل ممتلكاته التى فقدتها (١) .

### العلاقة بين البيزنطيين والزنكيين :

ظلت مشكلة انطاكية موطن الشقاق ، وسبب التوتر بين الصليبيين والبيزنطيين ، فبعد أن تغلب الامبراطور من مشاكله مع السلاجقة ، حاول استعادة انطاكية بعد مصرع يوهننن الثانى سنة ١١٣٠ ، والمعروف أن ملك بيت المقدس لذلك تدخل فى أمر انطاكية للحفاظ عليها من اطماع البيزنطيين وزنكى (٢) ، غير أن اليمس الرعية على العرش لجأت الى كل من زنكى والامبراطور البيزنطى ثم اختارت لابنتها ريموند بواتيه ليكون زوجها لها ، فثار هذا غضب الامبراطور ضد انطاكية ولجأ لاستخدام القوة ، وان كانت المراجع الاسلامية (٣) تشير أن السبب فى قديم الامبراطور البيزنطى يرجع الى استجداد الفرنج به ، ولما مضت القسطنطينية الى بلاد الروم واستفروهم المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلة بصرى ونابغات اخبار الحملة كل من الارمن والصليبيين ، وفيما الامبراطور على ابن لاون وسيره الى القسطنطينية ، ثم اتجه الى انطاكية وحاصرها ، ولم يكن ريموند فى انطاكية بل كان يساعد ملك بيت المقدس فى قتال زنكى فى بصرى ، ولكنه استطاع

Ostrogorsky: op. cit. P. 33b. (١)

(٢) تزعم عماد الدين زنكى حركة الجهاد فى النصف الاول من القرن الثانى عشر .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٣٢



واتجهوا الى الشمال الشرقى من حلب واستولوا على بزاعة سنة ١٣٨ : (١) ، وكان  
 زنكى يحاصر حمص ، وأرسل بعض قواته بقيادة سيف الدين سوار لتقوية حلب ، ولم  
 يستطع الصليبيون بسبب ضاعة وقوة استحکامات حلب الاستيلاء عليها ، فهبطوا  
 للجنوب واستولوا على الانارب ومصرة النصارى وكفر طاب ، وواصلوا الزحف الى  
 أن وصلوا شيزر ، ولكن الحصار على شيزر لم يحقق نجاحا لمناعتها ، ولأن أمير  
 انطاكية والرها انصرفا الى أمورهما الداخلية ونهض زنكى لمساعدة شيزر ، وأرسل  
 الى بغداد للدعوة للجهاد الدينى ، فأرسل القاضى كمال الدين الشهرورى للسلطان  
 مسعود السلجوقى الذى اضطر امام ثورة اهل بغداد الى اعداد حملة ، كما  
 نهض عساكر دمشق لمساعدة زنكى ، الذى ارسل الى الامير الدانقندى يطلب منه  
 الاغاثة الى آسيا الصغرى ، ووقف زنكى على النزاع بين الصليبيين والبيزنطيين  
 فسمى الباتارة الفرقة بينهم ، فكان يرسل الى ملك الروم ، " ان فرنج الشام  
 خائفون ، فلو فارق مكانه لتخلوا عنه " ، ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ،  
 ويقول لهم " ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا ، فاستشمر كل من  
 صاحبه " (٢) فاحجم كل من أميرى الرها وانطاكية عن مشاركة الامبراطور فى الهجوم  
 على شيزر اذ كره جوسلين أن يرى رموند قريبا منه ، فى حين خشي رموند أن يضطر

(١) الصرىنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥١٣

(٢) ابوشامة : الروضتين ج ١ ص ٣٢

للتنازل عن انطاكية ، وأدى عدم توافق حسن النية بين الصليبيين والبيزنطيين الذى فشل الحملة (١) ، مما كاد جانب من المدينة يسقط حتى التمس السكان الهدنة ، فأجابهم الامبراطور ، وتضمن الاتفاق دفع مبلغ كبير من المال جزية سنوية رموزا للتعزية للامبراطور ، فضلا عن الهدايا والخيول . وانسحبت الجيوش البيزنطية الى انطاكية وطلب الامبراطور من ريموند تسليم انطاكية ولكن جوسلين كونت الرها اثار النفوس على الامبراطور والارثوذكس وخوفهم من نوايا الامبراطور ، واندلعت ثورة عامة فى انطاكية واعتدوا على الجيش البيزنطى (٢) ، وأغار ملاحقة الروم فى آسيا الصغرى على قليقية وادنه والمصيصة بايعاز من زنكى ، فاضطر الامبراطور للمساعدة للقسطنطينية .

استعاد زنكى فى مايو سنة ١١٣٨ م حصن بزاعة والاثارب ، وضاعف مكاسب بيزنطة . (٣)

عاد الامبراطور يوحنا سنة ١١٤٢ لاستعادة انطاكية ، ولكن ريموند اعتذر بأنها ملك لزوجته كونستاسى ، وليس بوسعه التنازل عنها ، وقرر الامبراطور استعادة المدينة بالقوة (٤) ولكن قدوم الشتاء منه من الهجوم ، واتجهه الى قليقية واستعاد بعض القلاع من الدانمشند ، ولقد اراد الحج

(١) الميرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ١٦

(٢) Grousset: op. cit. Tome. I. P. 121, 123. P 124

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٩ Stevenson: The crusaders in the East

(٤) Ostrogorsky: op. cit. P. 336.

والقدوم الى بيت المقدس على رأس جيشه ، ولكن فؤادك رفض لتخوفه منه ومن دخول جيش بيزنطى ، فقال انه يرحب بحاشية صغيرة ، وانكر اى حق شرعى للامبراطور البيزنطى فى بيت المقدس ، مما اثار الامبراطور وقرر القتال ، ولكن عاجلتهم المنية (١) .

تولى عرش بيزنطة مانويل (١١٤٢ - ١١٨٠) الذى اشتهر بميله الى الغرب والتقاليد الغربية ولكنه لم يتخل عن مصالح بيزنطة فى الشرق ، فقامت الدبلوماسية البيزنطية فـ عهد على اساس المحافظة على توازن القوى فى الشرق بالايقاع بين القوى الاسلامية المختلفة والايقاع بينها وبين الفرنج ، لتعود الفائدة فى النهاية على بيزنطة وتتجلى سياسته فى علاقته بامراء الحملة الصليبية الثانية والسلاجقة ونور الدين الذى تولى قيادة الجبهة الاسلامية بعد ابيهم عماد الدين زنكى .

#### موقف البيزنطيين من السلاجقة والحملة الصليبية الثانية :

كان لسقوط الرها سنة ١١٤٤ م على يد عمال الدين زنكى اثره الكبير بالنسبة للصليبي الشام فارسلوا يستجدون بالغرب الاوربي (٢) ،

(١) Ostrogrosky: op. cit. P. 337.

(٢) Runciman: op. cit. vol II. P. 247



بل ان الاساقفة الارمن أخبروا البابا بما حدث في الشرق وطلبوا مساعدته ضد  
بيزنطة . ودعا البابا الى حرب صليبية جديدة ، ويكون هدفها استعادة الرهاس  
ولقى هذا النداء استجابة من اكبر ملكين في الغرب وهما كراد الثاني امبراطور  
المانيا ، ولويس السابع ملك فرنسا ، وبدأ الاستعداد للحملة التي كان لا بد لها  
ان تجتاز اراضي الدولة البيزنطية (١) .

اختلف موقف بيزنطة من هذه الحملة عن موقفها عن الحملات الاولى ،  
فالمعروف أن الكيسوس هو الذي استنجد بالفرنج لقتال الترك لاستعادة آسيا الصغرى ،  
أما في عهد مانويل فان الامبراطورية البيزنطية استمدت آسيا الصغرى واصبحت  
الامارات اللاتينية حاضرة بينها وبين المسلمين ، واعترف ريموند (٢) امير انطاكية  
بالتبعية ، فلم يكن لهذه الحملة اهمية بالنسبة لبيزنطة ، بل انها سوف تجلب  
لها متاعب نجمت عن تصرفات الصليبيين ، ولا سيما أن ريموند امير انطاكية كان  
من الداعين للحملة (٣) ، اذ يمت بصلة القرابة لملك فرنسا احد قادة الحملة ،  
وزاد الامر سوءا علاقة الامبراطور بالسلاجقة ، واتفاقه معهم ، مما اثار النفوس بين

Runciman : op. cit. II. P. 247, Grousset op. (١)

cit. II. P. 230-232 (٢)

Berry: The Second Crusades P. 470.

(٣) كان ريموند قد توجه الى القسطنطينية واقسم للامبراطور يمين الولا سنة ١١٤٤

واتفق معه على مهاجمة حلب سنة ١١٤٥ .

بيزنطة والصليبيين . حدث بعد وفاة السلطان غازي الدانشمند أن وقع النزاع بين ابنائه الثلاثة ، واستغل سلطان قونية مسعود الفرصة ليستغل نفوذه على الاناضول والتوسع في ارض الدانشمند ، فلم يسمحهم الا التحالف مع بيزنطة سنة ١١٤٣ م ، وعندئذ تقدم مسعود سنة ١١٤٥ م فاستولى على املك الدانشمندیين في ايزوريسا ، وتوسع في وادي نهر  
قونية ، وفي اثناء الحصار بلغته انباء الحملة الصليبية الثانية ، وتعرض املكه لهجوم روجر ملك صقلية فتحتم عليه رفع الحصار ، واذ ارتاب مانويل في نوايا الصليبيين عقد اتفاقية مع السلاجقة ، حين ارسل اليه السلطان مسعود سفارة (١) .

ولقد ارتاع (٢) الامبراطور البيزنطي مانويل لما ذاع من انباء اشتراك الامبراطور كتراد في الحرب الصليبية ، وأراد أن يخرج من نطاق المحالفة التي انمقدت بينهما ضد روجر ملك صقلية ، نظرا لانه ليس بوسعه فرض سلطانته على ما يستولى عليه كتراد من الاراضى التى بحوزة المسلمين ، واثاء اجتياز كتراد اراضى الامبراطورية ارسل مانويل يونانيين في سفارة اليه ، يسميان للوقوف على نوايا الامبراطور الالمانى ، واثارا بأنه لن يسمح للالمان باجتياز الاراضى

Runciman: op. cit. vol II. P. 264

(١)

(٢) الميرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٣٣

البيزنطية ما لم يتعهدوا بعدم الحاق الأذى والضرر بمصالح الامبراطور البيزنطى ،  
 فتعهد كتراد بذلك ، ووعد الامبراطور البيزنطى ، بتوفير المؤن <sup>(١)</sup> ، ولا سيما  
 البيزنطيين لم تكن خالصة ، فلم يقدموا ما فيه الكفاية من المساعدة والدورشيدين  
 ولم يشتركوا فى مهاجمة السلاجقة ، وذلك حالوا دون القضاء على تلك العقبة  
 التى ظلت تسترضى الطريق البرى للجيوش الصليبية الوافدة من الغرب <sup>(٢)</sup> .

عبر كتراد الثالث السفور الى آسيا الصغرى ، ولم يتخذ الطريق  
 الذى نصح البيزنطيون به وهو طريق الساحل الغربى الى ارضاليا ، والذى يخضع  
 لسلطان بيزنطة ، واختار كتراد أن يشق طريقه فى جوف البلاد مخترقا اراضى  
 السلاجقة ، ودب النزاع بين الالمان ودليلهم البيزنطى ، فتركهم الدليل  
 وتخلت عنهم ما عرش الصليبيين لأسوأ النتائج ، ودارت بالغرب من دوريليم معركة  
 بين الترك والصليبيين سنة ١١٤٧م وهلك فيها معظم الجيوش الصليبية <sup>(٣)</sup> ، ووصلت  
 تلك الأنباء الى الملك لويس السابع الذى كان قد قدم ووصل امام اسوار القطنطينية  
 فى سنة ١١٤٧م وصدى بأنباء الصلح المنفرد الذى عقده الامبراطور مع سلاجقة  
 قونية وطلب منه مانويل كالمعادة الا يستولى لويس على بلد أو حصن بمملكة مانويل ،  
 وان يرد له ما ينتزعه من البلاد من أيدي المسلمين ، وأمر بوقف امدادهم بالمؤن

(١) المرينى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٥٢

Grousset: op. cit. II. P. 222.

Berry: op. cit P 488

(٢)

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٢٥

الا اذا اقساموا له يمين التبعية (١) .

وسلك الامبراطور الطريق الجنوبي المحاذي لساحل بحر ايجة بمقدونيا  
عن السلاجقة ، واتجه لوهس ومعه كثراد الى ازوير ثم الى افسس ، وارسل مانوئيل  
يطلب اليه تجنب قتال الترك الذي احتشدوا للوقوف على الفرنسيين ، القيسية  
الامبراطور بمعاهدته مع المسلمين ، ولم يستجب لوهس لنصيحته فتمردت دج جيوشه  
لهزيمة ساحقة من قبل الترك السلاجقة سنة ١١٤٨ م واتجه الى انطاكيا ، وقسروا  
لوهس السابع اتخاذ طريق البحر الى السوسديّة وانطاكية (٢) ، ولقد ظهرت صعوبات  
اخرى ، اذ اظهر البيزنطيون عداوة مرة اخرى ، فامتنعوا عن تقديم السفن  
اللازمة للصليبيين ، بل انهم سموا لاثارة المتاعب والعقبات في وجه الصليبيين ،  
ما اثار الغضب الاوربي ضد البابا طرّة البيزنطيين ، بل ان الامبراطور عبد السلي  
معاقبه اهل اضاكيا بعد أن امدوا الصليبيين بالمؤن (٣) ولما كانت السفن الستة  
اجتمعت لنقل الصليبيين غير كافية ، ركب لوهس السابع وحاشيته في سنة ١١٤٨ ما  
اعده من السفن ، أما بقية الحملة فقد ظل رجالها في انطاكيا يقاسون الامرين  
من سوء معاملة البيزنطيين وهجمات السلاجقة ، حتى تم نقلهم على دفصات  
الى الشام . (٤)

(١) المريشي : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٥٦

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٢٢

(٣) Camb. Med. Hist. IV. P. 307.

(٤) المريشي : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٦٠

ولم تحقق الحملة الثانية ما هو مرجو منها ، فبدلاً من تحطيم قسوة نورالدين بعد استيلائه على الرها ، وتأمين الطريق من انطاكية الى طرابلس والى بيت المقدم اذ توجه الحملة بناء على رغبة ملك بيت المقدس الى دمشق والى معين الدين أنر ، وذلك لحماية مملكة بيت المقدس من الفارات التي يشنها المسلمون ، وتحقيقاً لاطماعهم التوسعية <sup>(١)</sup> ، ولم يشترك في الحملة ابراء انطاكية وطرابلس على أن الحملة برغم ضخامتها لم تنجح في الاستيلاء على دمشق لما وقع من النزاع بين قادتها ، ولمهارة وزير دمشق معين الدين أنر في الايقاع بين رجالها ، فضلاً عن تحالفه مع نورالدين <sup>(٢)</sup> .

عاد لوسى الى الحرب حاقداً أشد الحقد على بيزنطة حتى انه تحالف مع النورمان في يولية سنة ١١٤٩م أثناء عودته بعد ان هاجم البيزنطيون سسيفنه واستولوا على بعضها ، ومضت اشهر قبل ان يواثق الامبراطور على اععادة الرجال والبضائع لفرنسا .

ما حل بالحملة الصليبية الثانية من كوارث <sup>(٣)</sup> اثناء اجتياز آسيا الصغرى با أساء الى العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين وأخذ كل فريق يكيل التهم للآخر ، فاتهم البيزنطيون بأنهم لم يقدموا الا بمقادير قليلة من المؤن مقابل

Grousset: op. cit. II. P. 243.

(١)

(٢) الميرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٦٧

(٣) الميرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٧٢

مبالغ ضخمة ، ولم يوفروا السفن اللازمة لنقل الجنود ، ولم يقدموا الادلاء اللازمين فضلا عن تحالفهم مع الترك ضد الصليبيين ، بل ان لويس السابع والقديس بونيفاس قررا الدعوة لحملة صليبية لنهاية بيزنطة ، وما جرى من توجيهه التهم للصليبيين انصب على ما لجأ اليه الجند من نهب البلاد وتخريبها واعتداء الضرمان على الاملاك البيزنطية باوربا والبلقان (١) .

أفاد الجانب الاسلامي من فشل الحملة الصليبية الثانية ان تحطمت اسطورة الصليبيين ، ولم يعد من المصور على القوى الاسلامية ان تنهض لقتال الفرنج ، ولا سيما بعد أن وضع عماد الدين زنكي سياسة ترمي الى توحيد الجبهة الاسلامية ، وأثارة حركة الجهاد الديني ، يضاف الى ذلك اشتداد خطر المسلمين على سائر الامارات الصليبية في الشام بعد اتحاد الموصل وحلب ، وما جرى من المنازعات في داخل الامارات الصليبية وخارجها ، كل ذلك جعل الصليبيين يتطلعون الى بيزنطة لحمايتهم (٢) .

انتهى نورالدين الوسائل السلمية لبسط سيادته على الامراء المسلمين الجاورين ، في آسيا الصغرى والشام ، من ذلك ما حدث من المواجهة بين نورالدين وامراء السلاجقة في آسيا الصغرى ، وترتب على

Runciman : op. cit. II. P. 286, 287.

(١)

Grousset: op. cit. II. P. 288.

(٢)



ذلك اقتسام نور الدين والسلاجقة ما تبقى من املك الرها ، وما كان من المعاهدة  
بينه وبين أتوزيزو دمشق ، والافادة من المنازعات الناجمة بين الصليبيين .

### النزاع حول انطاكية :

ثار خلاف بين البيزنطيين والصليبيين حول انطاكية ذلك أن كونستانتين  
أرملة ريموند طلبت من الامبراطور البيزنطي أن يلتصق لها زوجها ، غير انها لم تأتس  
لاحد من رشحهم الامبراطور (١) وتزوجت آخر الامر من ريجيالد شايرون ، السدي  
اشتهر بالمغامرة ، وانتار حقوق البيزنطيين ، والحرص على تحقيق مطالبهم الشخصية ،  
وحاول بلدين الثالث - ملك بيت المقدس - التقرب من البيزنطيين للحفـاظ  
على املكه ، وتزوج تيودورا ابنة أخ الامبراطور (٢) ، وقاد الامبراطور جيشه  
تجاه قليقية ، ليسترد حقوقه في انطاكية ولتأديب ثورس لتحالفه مع ارنات ( ريجنالد )  
لمواجهة صلاحقة الروم والدولة البيزنطية ، في الوقت اتخذ الامبراطور من صلاحقة  
الروم حاجزا يحول دون تزايد نفوذ الامير الارمني ،

ولما علم ارنات ( ريجنالد ) بالامر ، طلب مساعدة بلدوين للتوسط عند  
الامبراطور ولكن بلدوين رفض هذه الوساطة ولم يجد ارنات مـبدأ من  
التوجه الى الامبراطور . وذكـر المراجع أن ارنات دخل على الامبراطور

Vasiliev : op. cit. P. 81.

(١)

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٧٣



عارى الرأس حافى القدمين فمضى عنه الامبراطور وعقد معه اتفاقا بشرط اعترافه بسيادة الامبراطور البيزنطى على انطاكية وعودة البطريرك الكاثوليكي وامداد جيشه بفرقة . ثم توجه بلدوين الى الامبراطور وقضى فى ضيافته عشرة ايام استطاع ان يقنع الامبراطور بالمقوعن ثورس (١) ، وعقب هذا الاتفاق زار الامبراطور انطاكية فى احتفال مهيب واتفق بلدوين وريجندالد والامبراطور على توجيه حملة لحلب ، بعد أن ازداد نفوذ نورالدين عقب استيلائه على دمشق وشيزر وتوحيد الجبهة الاسلامية ( ١١٥٤ - ١١٥٧ ) .

#### موقف المسلمين :

نهض نورالدين لمواجهة المدد المشترك من الصليبيين والبيزنطيين ، وشير ابوشامة الى ماجرى من المصالحة بين ملك الفرنج وملك الروم فيقول : " وتقررت بينهما المهادنة والله يرد بأس كل منهما الى نحوه ويذيقه عاقبة غدره " ومكره (٢) . ولم يلبث أن اعترم مانويل الزحف على انطاكية وقصد المحافل الاسلامية ، فبادر نورالدين بالتوجه الى البلاد الشامة لاثارة الطمأنينة فى نفوس اهلها . فسارت قوات بيزنطة فى اتجاه حمص وحماه وشيزر ولكن بدلا من أن تسير الحملة

(١) Runciman: op. cit. vol. II. P. 352.

(٢) ابوشامة : الروصتين : ج ١ ص ١٢٣ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٦

في طريقها الطبيعي اذ بالامبراطور مانويل يرسل السفارات الى نورالدين بسد لا من القوات وهذا التغيير في موقف بيزنطة يرجع لمواضع عديدة ، منها — أن الامبراطور البيزنطي في حاجة ماسة لمساعدة نورالدين ضد سلاجقة آسيا (١) ، وكان من سياسة مانويل الاحتفاظ بميزان القوى في الشرق حتى يضمن خضوع الصليبيين له ، طالما شعروا بتهديد المسلمين بزعامة نورالدين ، فاذا تحطمت قوة نورالدين لم يجد الصليبيون يتطلعون الى مساعدته ، ويضاف الى ذلك ما وقع من مؤامرات في القسطنطينية وعلى اطراف الامبراطورية باوربا . اما نورالدين فانه لم يقبل المفاوضة مع البيزنطيين الا لاحساسه بوقوع بين عدوين — الصليبيين والبيزنطيين .

وترددت الرسائل بين الجانبين واتفقا على عقد معاهدة لتبادل الاسرى سنة ١١٥٩ ، ووصلت سفارة بيزنطية تحمل هدية الى دمشق ، وشهد الرسل البيزنطيون في دمشق في ٥ مارس ما جرى من تدابير الصلح ، اذ امر نورالدين اطلاق سراح عدد كبير من الاسرى وكان العدد يتراوح بين ستة آلاف وعشرة آلاف من اشهرهم برترام . هنري كونت تولوز ومقدم الداوية برتراند بلانكفورت (١)

---

(١) Stevenson : op. cit. P. 181.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢ — ٣٥٨ — ابوشامه الروضتين ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) العسقي : الشرق الاوسط ج ١ ص ٦١٨

واجيب ملك الروم الى ما التمسه من اطلاق مقدمى الافرنج المقيمين فى حبس نورالدين فانقذهم باسرههم وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يضاھيه \* (١) .

عاد الامبراطور مانويل كومنين الى القسطنطينية مباشرة ليقوم ســــــنة ١١٦٠ - ١١٦١ م بحملة لقتال سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى ، وهى الحملة التى اتزل فيها المهزومة بقلج ارسلان الثانى سلطان السلاجقة (٢) ، مما يوحى بأن الاتفاقية السابقة بين نورالدين وبين الامبراطور البيزنطى تضمنت نصا ســــريا ، يقضى بتحالف الطرفين ضد السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وهذا وان كانت المراجع العربية والصليبية لم تشر اطلاقا الى مثل هذا النص ، ولم يلبث قلســــج ارسلان أن زار بنفسه القسطنطينية سنة ١١٦٢ م ، حيث قدم ولامه للامبراطور البيزنطى واعلن تهنيته له ، وذلك قبل أن ينقضى قرن على موقعة مانزكـــــــرت فاعتقد رجال البلاط البيزنطى أن قونية اصبحت فى عهده محمية تابعة لبيزنطة (٣) .

---

(١) ابوشامة : الروضتين ج ١ ص ١٢٣ ، ابن القلانسى : الذيل ص ٣٥٧

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٧٦ - ٦٧٧

(٣) Chalandon: les comnènes. P. 480. (٣)

(الفصل الثالث)

صلاح الدين والبيزنطيون

١١٧٤ - ١١٨٠ م

---

الدولة البيزنطية والصراع الاسلامي الصليبي حول مصر — تجديد  
 التحالف الصليبي البيزنطي — نورالدين والسلاجقة والبيزنطيون —  
 سقوط الخلافة الفاطمية — الاوضاع في العالم العربي بعد  
 وفاة نورالدين وبلدوين — بيزنطة والسلاجقة — بيزنطة —  
 صلاح الدين •



## الدولة البيزنطية والدراج الاسلحي الصليبي حول مصر :

دخلت العلاقات بين كل من الجانب الاسلحي والبيزنطي في طور جديد ، اذ ان مركز النقل انتقل من انداكيا الى مصر ، واصبحت مصر مركزا هاما تتجه اليها اركل من الصليبيين ، والبيزنطيين ، اذ ان مواقع من أحداث في السنوات الاولى من عصر اميرك الذي خلف بلدوين الثالث في حكم بيت المقدس دلت على ضعف مصر بعد ان أصبحت الخلافة الفاطمية تحت سيطرة الوزراء الذين تجاوزتهم الاطماع وسادت بينهم الخلافات ، وجعلتهم يستجدون بالقوى الخارجية (١) ، فضلا عن انها كشفت ايضا عن اسباب ضعف القوى الصليبية بـمال الشام ، وادراك مدى الفائدة التي تعود عليهم من محالفة الامبراطور البيزنطي مانويل الذي انطوت خطته على اعادة التوافق مع رومانيا بعد سلطان بيزنطة ، وبالعرب والشرق والجنوب ، ومعتبر مانويل اكثر الاباطرة البيزنطيين رغبة في التمازج مع اللاتين ، وفي نفس الوقت سمى المنهول الى تحسين علاقته مع بيزنطة بعد ان تحسنت علاقة بوهمند امير انداكيا بالامبراطور . وترتب على هذا التقارب بين بوهمند الثالث والامبراطور البيزنطي ، ان تقصر تعيين بطريرك يوناني في انطاكية ظل يعارض واجهاته حتى لقي مصرعه ١١٧٠ . واتاد بوهمند من بيزنطة ، ففى القضاء على كل مقاومة يتعرض لها من رعاياه (١) ، ولتوطيد اواصر الصداقة ارسل

William of Tyre: op. cit. vol II P.  
503-504.

(١)

ولم يصر إلى القتل أي نية لا اختيار عروس بيونماية لأمره سنة ١١٦٥ م - قسب  
انفصاله عن زوجته اجنس ، وفصلها وصلت إلى صور الاميرة ابنة اخ الامبراطور  
مانويل ، بعد انتميا الحطة الطليعة على مصر وكان يرفقها الكسندر كونست  
جرافيسا ، وميخائيل أوتواثيسو .

مبعوثين من قبل الامبراطور  
مانويل كوسين من القسطنطينية (١) فجرى استقبالا لهما بخفاوة زائدة واشتركا  
فيها كن من كان معطوفا عند الطاء . وخرج المبعوثان أسباب قد ومهصبا ،  
وقدما للملك رسالة من الامبراطور بهذا الشأن (٢) .

وما جاء بهذا الرسالة " انضفرا لما ادركه الامبراطور من أدمية  
ملكة مصر ، التي ظلت حتى وقتذاك ضيعة العناب ، بالفسة الشبراء ،  
غير أنها لم تلبث ان وقعت في ايدي فئة ضعيفة مستكينسة ، واحسن الاقوال  
العجافين ما كان من ضعف وعجز حكامها وامراتها . ولما كان ممن  
المتحيل ان تال هذه البلاد (مصر) على هذه الحالة الراهنة ،  
فلابد ان يقع في أيدي الأمم المجاورة . كومتها وممتلكاتها ،  
فلان الامبراطور يعتقد أن بوسعهم أن يخضع في سهولة ومصر هذه البلاد  
لسلطانهم بغير ما يبدله الملك له من مساعدة " (٣) .

Grousset: op. cit. Tome. II. P. 508. (١)

William of Tyre op. cit. II. P. 348. (٢)

Runciman: op. cit. vol. II. P. 508. (٣)





الطرفان على ما جاء بالمعاهدة ، صدق الامبراطور بها له من ساطة على  
التفاصيل وفقا للترتيب الذي وضعه المندوبون ، وافر المعاهدة " التمس  
بمقتضاها يقتسم الامبراطور والملك فتوحاتهما في مصر " (١) - ~~وتمت~~  
الامبراطور على رسائل تزيد في قوة هذه المعاهدة في شكلها الاخير ، ثم  
انصرفنا بعد أن أنعم علينا بالهدايا طبقا لم تقر من الحوادث وانتقائهم  
" وبذا انتهت مهمتهم ، وشرعوا في العودة الى بيت المقدس في اول أكتوبر  
١١٦٧ (٢) .

بمقتضى هذا الاتفاق كان على الجيشين البيزنطى والصليبي ان يخرجوا  
بقيادة امريك لفتح مصر في السنة التالية ، واتفقا على أن تكون القوسادة  
لملك بيت المقدس وأن يطعمه القائد البيزنطى في كل ما يأمر به ، (٣) ،  
ولكن حدث قبل أن يرجع ولیم المصوى حاملا شروط الاتفاق ان ارتحل امريك  
الى مصر لفتحها ، بحجة أن فرسانه أجبروه على المضى لفتحها ، ويشير  
ابن الاثير لذلك الخلاف بقوله " ولقد شاور ملك الفرنج ذوى السراى  
منهم فكان منهم من أشار بقصدها وملكها وقال لهم : انا لانقصدها ،  
فانها طعمة لنا واموالها تساق اليها ، فنستقوى بها على

William of Tyre: op. cit vol. II. P. 349 (١)

Runciman: op. cit. vol. P. 379. (٢)

Grousset: op. cit. Tom II. P. 511. (٣)

نور الدين ، وان نحن قصدناها لنملكها ، فان صاحبها وعساكره غامة بسلا ،  
وفلاحيتها لا يسلمونها اليها ، ويقاتلوننا ، ويعظم الخوف منا على تسليمها الى  
نور الدين ، فلم يصفروا الى قوله وقالوا : ان مصر لا مانع لها ولا حافظ ، والى  
ان يصل الخبر الى نور الدين ، ويجهز المسافر ، يسير بهم اليها تكون عين  
قد ملكناها ، وفرغنا من أمرها ، حيثئذ يتقوى نور الدين منا السلام فلا يقدر  
عليها " (١) ، وكانت الداوية تحل جانب المعارضة في تلك الحظرة ، اذ رفضوا  
أن يشتركوا في حرب مع مصر ، التي ارتبطوا معها بال صداقة ، ووروا ذلك  
بأنها قد أوفت بشروط المعاهدة التي كانت قد دفع مائت ألف دينار وابقوا  
بعض قواتهم بالقاهرة ، (٢) وكان الدافع الحقيقي لمعارضتهم ، ارتباطهم  
بعلاقات تجارية مع المسلمين والتجار الايطاليين ، في يومنا أصرا الاسبانية  
وتقدمهم جليبرت ومعظم البارونات على الحرب ، للاستيلاء على مصر ،  
والاستفادة من خيراتها ، فتجهز أطريك للسفر وتذرع باقتناع شاور عمن  
دفع الجزية ، فاستولى الصليبيون على بلبيس ونهبوها ، ووصل اسطول بحري  
وهاجم تنيس واستمرت المذابح خمستايم ثم اتجهوا الى القاهرة ، وشهروا امام  
القساط ، وادرك شاور انه لا يستطيع الدفاع عن القاهرة والقساط ،  
فأمر اهله بالجلأ ، واهمل بهما الحرائق

(١) ابن الاثير : الباهر ص ١٣٧ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢١  
Gibbon (E.): Decline and Fall of the Roman  
Empire vol. VI. P. 386

نشير الى حملة ١١٦٧ التي استجد فيها الخليفة المعاضد بنور الدين واستجد  
شاور بالصليبيين وانتصر شيرويه في معركة الهامين وحاصر صلاح الدين في الاسكندرية  
وفي يونيو ١١٦٧ اتم الاتفاق على الجلأ ، وترى مصر لشاور على ان يبقى للفرنج شحنة بمصر  
ويدفع مائت ألف دينار .

(٢) ابوشامه : الروضتين ج ١ ص ١٤٣

التي استمرت طاقرب من أربعة وخمسين يوما ، وهدد بأنه سوف يضرم النار في القاهرة نفسها ، وسمى الى التفاوض مع الفرنج انه لم يرغب في تدخل نور الدين ، فمضى على الصليبيين ملين ببنار مصرية فقبلوا انفسهم العرض (١) ، وكان الباعث لهم على القبول خوفهم من نور الدين .

لم يسع التامل ابن شاور الا الاستجداد بنور الدين حسين والاستمانة به ، فمضى عليه ثلث خراج البلاد وان تكن اقطاعات العسكرية خارجة عن الخراج (٢) ، فلم يكن ابن شاور راضيا عن تصرف ابيه ، كما ارسل الخليفة المعاضد عقب الحريق الى نور الدين يستغيث به ويمرغه ضعفا المسلمين عن الفرنج ، فقرر نور الدين ارسال اسد الدين شيركوه الى مصر وحثه نور الدين على ذلك لتخوفه ان يملكها الفرنج ويصبحوا مصدر تهديد يسد له في بلاد الشام " فقال صلاح الدين " لو اعطيت ملك مصر ماسرت اليها ، فقد قاسمت بالاستقدرية من المشاق مالا انساه " (٣) وحذر شاور

(١) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٥٤

(٢) William of Tyre : op. cit. vol. II. P. 357, 358

(٣) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٥٧ ، ابن واصل : مفسر

الكروب ج ١ ص ١٥٩

أمريك من جيوش نور الدين ، فعاد أمريك القاهرة الى بلبيس حيث  
طارده جيش شيركوه ووصل الى القاهرة ولم يجد أمريك بدا من الانسحاب (١)  
واستقبل شيركوه استقبالاً حافلاً ، ولكن شاور الذي توجهت خيفة أخذ يطال فيما  
بعد به الحاضد من اموال واقطاعات وسعى الى التآمر عليه ، ولكن صلاح الدين  
تخلص من شاور وايداه الخليفة الحاضد في ذلك ، وتولى اسد الدين  
شيركوه الوزارة في يناير سنة ١١٦٩ ، واصبح صلاح الدين يباشر امور الدولة ،  
وعندما توفي شيركوه في مارس سنة ١١٦٩ تولى الوزارة بعده صلاح الدين  
بناء على رغبة الخليفة الحاضد الذي أخذ بمصیحة مستشاريه الذين رأوا  
أنه ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سناً من يوسف (٢) .

### تجدد التحالف الصليبي البيزنطي :

شعر الصليبيون بالخطر الذي يتهددهم من سيطرة نور الدين  
على مصر وأدرك ذلك أمريك بعد انسحابه من مصر ، واستقوار صلاح الدين  
بها ، وترتب على ذلك حرمان الفرنج من موارد الثروة الضخمة التي كانوا  
يحصلون عليها من التجارة مع مصر ، الى جانب انه قد اصبح بوسع نور الدين  
بفصل اسطوله الخمسم السدى يربط في مصر ،

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢٧ ، ابن واصل : فتح الكروب ج ١

ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(٢) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٧٢

وان يضيق الغنائق على مملكة بين المقدس ، ويفرض الحصار على المسكن  
 الساحلية برا وبحرا ، بجيوشه في الشمال والجنوب ، فضلا عن اعتراض طريق  
 الحجاج القادمين الى الاراضى المقدسة ، أو مضيقهم من المرور نهائيا .  
 وأثار هذا الامر اهتمام وليم الصوري فقد كان على الفرج ان يواجهوا احوالا  
 شديدة الاضطراب ، وبالغ القلق ، فما توافر بمصر من الموارد ، والثروة  
 الضخمة كان كفيلا يمد حاجاتهم ، وكانت حسد ودعهم من تلك الناحية من  
 المملكة مأثرة الجانب ، فلم يكن بالجنوب من الاعداء من يخيفهم ، وهيباً  
 البحر من الامن والسلم والهدوء ، ما يمنع من يحاول التقدم اليهم ، وكان  
 يوسع اقواما ان ينفذوا الى الاراضى المصرية دون خوف أو وجل ، فهيبات  
 لهم الاحوال لممارسة التجارة والصناعة بها . وجلب المصريون الى المملكة  
 من المتاجر الاجنبية ، والسلع الغريبة ما لم يكن معروفا لهم حتى وقتذاك ، وكلما  
 قدموا اليهم <sup>وكان ذلك</sup> بحا عظيما ، يضاف الى ذلك ان ما تنفقه المصريون من  
 الاموال الوفيرة <sup>منهم</sup> كل سنة ، زاد في حال البلاد وخزائنها فضلا  
 عن ازدياد ثروة الأفراد (١) .

غير ان كل شئ لم يلبث ان تغير الى أسوأ ، فكيف جرى هذا  
 التغيير ، يشير وليم الصوري الى " فأنمما وجهت

تشرى ، لم أجد إلا دواقي الخوف والقلق ، ولم يمد البحر سمن الهدوء والامتنان ، ما يفلح السلامة والامن ، لمن يقعدنا زه وكل ما يحيط بنا من البلاد ، صار غاضبا لمدونا ، واخذت الممالك المجاورة تتجهز لتدميرنا والقضاء علينا ، ولم يجلب هذه الكوارث لنا الا رجس نهم شه ، فما اشتهر به من النهم ، الذي يعتبر أصل الشرور ، اتعد مانعنا به من الهدوء والصفاء ، (١) واخذ كل فريق من الفرنج يلقي المسؤولية على الآخر (٢) ، وسمى البلبيرون الى العمل على اثار حملة صليبية جديدة وكان اطريكة تد ارسل سفارة برئاسة رئيس اساقفة قيسارية في مستهل سنة ١١٦٩ برسالة للامبراطور فردريك ببروسه ، ولويس السابع ملك فرنسا وهنري الثاني ملك انجلترا ، ووليم الثاني ملك صقلية ، وغيرهم ، ولكنها عادت بعد يومين من سفرها بسبب الحواشي ، فارسل سفارة ثانية يرأسها فردريك ورئيس اساقفة صور وصلت روما سنة ١١٦٩ م فأرسل معهم البابا

(١) William of Tyre: op cit. vol II, P. 357, 358

(٢) الحريثي : الشرق الاوسط ج ١ ص ٧٠٧ ،

(٣) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٨١ ، ابن واسط : فتح الكرب ج ١ ص ١٨١  
وقد ير المراجع الاسلامي الى " ان فرنج الساحل لما ملك اسد الدين مصر قد خانوا وأوتنوا باليهلاء فكتبوا للفرنج الذين بالاندلس وصقلية يستنجدونهم ويصرفونهم ما تجدد من ملك مصر وانهم خائفون على بيت المقدس وارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركة فأمدوهم بالمال والرجال .

رسالة لاقناعه ، ولم تحقق هذه السفارة الغرض المنشود (١) .

قرر الصليبيون الاتجاه الى القسطنطينية وكانت مساعدتهم هناك أكثر نجاحا ، ان سعى الامبراطور مانويل الى تنفيذ المعاهدة التي سبق أن عقدها مع ولیم السورى ، فقدم اسطول لهيمان امريك في فتح مصر (٢) ، وكان الاسطول بقيادة اندرونيكس وتالف من ٢٢٠ سفينة (٣) ووصف المؤرخون الاوربيون هذه المأثرة بأنها كانت "أرمادا" وكلفت للصليبيين التفوق البحرى ، ولكن البيزنطيين انتفوا باعداد مؤنة ثلاثة أشهر اعتقادا منهم ان الحملة لن ياول أمدها ، وسار جزء من هذا الاسطول الى قبرص حيث وقعت في اسره سفينتان مصريتان ، بينما سار الجانب الاخر الى عكا ، ونزل جزء من الجيش ليصعب الجيش الصليبي في المسير الى مصر وتأخرت الحملة صايقوب من شهربين ، لتخوف امريك من نوايا البيزنطيين ، ولحرصه على عدم المخامرة بعملية على مصر ، الا بعد أن يؤمن فلسطين من غارات نور الدين فأبقت قوة من افرسان لحماية المملكة اثنا غيابها لاسيما بعد أن تبين له مايقوم به نور الدين من الاستعداد للامارة على الاطراف المتاخمة لدمشق ، (٤) وفي منتصف سنة ١١٦٦ تمركز

جا  
(١) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٨١ ، ابن واصل : فتح الكروب ص ١٨١

(٢) Runciman: op. cit. II. P. 384.

(٣) Settom op. cit. II. P. 356-557

(٤) Runciman: op. cit. vol II. P. 385.

الجيش الصليبي البيزنطي من عسقلان ، بينما وصلت القوات البيزنطية  
والصليبية الى القرط ١١٦٩ وكان الاسطول البيزنطي قد وصل الى القرصا  
قبل قدم قوات الصليبيين ، واجتاز الجيش الفرع البلوزي على سفن بيزنطية ،  
حتى وصلوا الى تقيس ، ومنها ساروا الى دمياط (١) ، وكان صلاح الدين  
يمتقد أنهم سيهاجمون بلبوس فشحضها بالمساكر وعزز حاميات القاهرة  
والاسكندرية . على حين أن الصليبيين والبيزنطيين حرصوا على ان ينضموا  
الاتحاد بين مصر والشام ، فقدموا بقوات ضخمة ، واعدوا الاحتلال البلاد  
خطم دروسة ، بأن عزموا على أن يجعلوا من دمياط قاعدة بحرية (٢) .

أرسل صلاح الدين الى دمياط خاله شهاب الدين محمود وابنه  
اخيه تقي الدين عمر فدخلوها قبل حصار الصليبيين (٣) ، وأرسل السبي  
نور الدين يشكو اليه ما هو فيه من مخاوف وأنه ان تخلف عن دمياط ملكها  
الفرنج فضلا عن تخوفه من المصريين وخروجهم عن طاعته ، ولا سيما بعد  
أن دار من مفاوضات سرية بين اميرك ورجال الجيش الفاطمي (٤) .  
فجهز اليه نور الدين عساكر ، وكلما تجهزت طائفة

William of Tyre: Op. cit. vol II. P. 562 - 563 (١)

Wiet (G.) L'Egypte Arabe. P. 301. (٢)

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٨٠ ، ابن واصل : فتح الكروب ج ١ ص ١٨١

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٤٣



أرسلها اليه ، طائفة تلو طائفة ، وأغار هو على البلاد الصليبية واسم  
يطلق الاسطول البيزنطى اى معونة من الصليبيين (١) .

حاصر الصليبيون دمياط فى المنطقة الواقعة بين المدفعة والبحر  
وانتظروا وصول الاسطول البيزنطى الذى تأخر بسبب الريح ثم ظهر بمصر  
ثلاثة ايام ولكن منع رسوه سلسلة من الحديد اغلقت الميناء ، فارتاب الصليبيون  
فى نوايا البيزنطيين ، واعتقدوا أنهم يحرصون على الانفراد بمصر ،  
وقرأى فشل الحملة ، بعد أن نفذت المؤن ، واشتد هطول المطر ، وهبوب  
المواصف ، وصبر المسلمون على مقاومة الحصار نحو خمسين يوما ، يضاف  
الى ذلك ما وقع من الخلاف بين اميرك وقائد القوات البيزنطية ، وادى الى  
عدم تنسيق الاعمال فى البحر والنهر ولقد قاسى البيزنطيون من قسوة الجوع  
ولم يستطع الصليبيون على الشاطئ أن يعدوا لهم يدا (٢) ، مما ادى الى  
ياس الصليبيين والبيزنطيين ، ولا سيما بعد أن فشلوا فى اجراء مفاوضات مع  
صالح الدين ، وبعد أن تعرضت الممتلكات الصليبية بالشام لهجمات نور الدين ،  
فلم يسع القوتان المتحالفتان الا الانسحاب فى ديسمبر سنة ١١٦٩ (٣) .  
بعد أن احرقوا أدواتهم الحربية الثقيلة حتى لا تقع فى يد

Lane-Poole (S.): Saladin. P. 103.

Lane-Poole: op.cit. P. 105.

Runciman: op. cit vol. II. P.387.

صلاح الدين ، ثم غادروا دمياط الى عسقلان بينما ابهرت السفن البيزنطية صوب الشمال ، غير أن هبت عاصفة شديدة اعترضت طريقهم فتحطمت سفن كثيرة ، ولقى عدد كبير من المساكين والبحارة البيزنطيين مصرعهم (١) .

وهكذا فشل التحالف البيزنطي الصليبي وأخذ كل من الفريقين يواجه اللوم الى الآخر ، وتتهمه بالتأخر في السير ، والقصور في توفير الميناء للحملة ، ويقال أن جماعة من المصريين حملوا الى الامبراطور البيزنطي الهدايا وشعروا بالصلح ، حتى يفرض عقد التحالف البيزنطي الصليبي (٢) .

نور الدين والسلاجقة والبيزنطيون :

على أن الأوضاع السياسية في العالم الاسلامي وفي الامارات الصليبية والقوى المسيحية في آسيا الصغرى ومرتطة والغرب ، كان لها بالغ الاهمية في توجيه الدبلوماسية الاسلامية ، والمسيحية ، بعد ارتداد الصليبيين والبيزنطيين عن دمياط سنة ١١٦٩ ، واستيلاء نور الدين على الموصل سنة ١١٧١ .

(١) William of Tyre op. cit. vol II p. 320.,

Runciman: op. cit. vol II. P. 340.

(٢) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٦٨

حبشي : نور الدين والصليبيون ص ١٤٠

كان نور الدين حريصا على اذكاء روح الجهاد عند الامراء المسلمين في آسيا الصغرى ، ومن الدليل على ذلك ما حدث من نهوضه سنة ١١٧٣ لقتال قلع ارسلان سلطان قونية ، كيما يلزمه بامداده بما يحتاج اليه من القوات عند قتال الفرنج ، نظرا لأن السلطان السلجوقي يملك طرفا كبيرا من بلاد الاسلام ، وتترك الروم وجهادهم ومهادنتهم<sup>(١)</sup> ، فكتب اليه " اما ان تتجدد نسي بحسبك لا قتال بهم الفرنج ، واما ان تجاهد من يجاورك من الفرنج " (٢) . وتمت المصاهرة بين الزنكيين واسرة قلع ارسلان ، يضاف الى ذلك انه من دواعي تحالف الصليبيين مع البيزنطة ، ما وقع من أحداث في قليقية وارمينيا الصغرى ، التي تولى امرها سنة ١١٦٨ رومين الثاني ، ونازعه السلطان عمه طيغ السندي لقي التشجيع من نور الدين ، بأن اعتبره من اتباعه وبذل لمقاطعا ، وامدده بالمساكر ، فطرد من حصن قليقية واذنه وطرسوس ، والمصحة المساكير البيزنطية والفرسان الداوية<sup>(٣)</sup> ، وشير ابن الاثير الى أن طيغ كان يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الارمن والـ~~الفرس~~<sup>(٤)</sup> .

(١)

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٦٠-١٦١

ذهب قلع ارسلان بنفسه الى القسطنطينية وقع معاهدة بمقتضاها وافق على ان يقدم مساعدته لبيزنطة وان يقوم باعادة بعض المدن البيزنطية التي استولى عليها

(٣)

Lane-Poole: op. cit. P. 120.

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٥٧ ، الباهر ص ١٦٠

وساق ملج لتور الدين من مقدس الروم ثلاثين اسيرا فسيرهم نهر الديس  
الى الخليفة المستنصر (١) .

حملت هذه المواصلات طريق على أن يتوجه سنة ١١٧١ الى القسطنطينية  
بعد عدة مؤتمرات للصليبيين في الشام ، وكان الهدف من الزيارة حث الامبراطور  
على ضرورة تخاضع مصر فتجدد بذلك التحالف بين الصليبيين والبيسطين (٢)  
وتضمن الاتفاق بينهما فيما يبدو اعتراف طريق في صورة غامضة بسيادته الامبراطور  
مانويل على المسيحيين الوطنيين في مملكة بيت المقدس ، وقد أكد مؤرخا الاغريق  
كينهاموس ونيكتاس (٣) التسمية (٤) ، في حين ان وليم الصوري الذي ابعد  
اهتماما بزيارة طريق والشرف الذي افضى عليه لم يذكر اي نوع من الولاء ، وما  
كتبه لا يدل على أن ملك بيت المقدس كان تابعا ، بل يذكر انه حليف قسري  
وان الامبراطور يسمى للتحالف معه (٥) .

بعد مانويل بهذا مساعدة برية بحرية كما تم الاتفاق على اتخاذ اجراء  
مشترك لقتال ملج ورغم ذلك لم يحقق هذا التحالف نتائج مثمرة (٥) ، اذ  
ثبت أن مانويل لم يقل كفالة عن ابيه وجده ،

(١) ابن شداد : التوادر السلطانية ص ٥٩

Setton: op. cit. P. 550

Lamonte : Byrantine Empire and crusading states

Byzantion 1932 tom vii P. 262

Lamonte: op cit Tome VIE P 262

Runciman: op. cit. II. P. 391

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

ولم يختلف عنهما في الحرص على مصالح بيئته الخاصة ، وفي التمسك  
 الوسائل التي تحقق غرضه ولولم تلائم مصالح الصليبيين . (١) وكان من اثر  
 ذلك أن حاول اميرك تاديب ملج ، بأن أرسل الحساكر الى قليقية ، غير  
 أن نور الدين اجبره على المدول عن قتال ملج ، بأن هاجم الكرك (٢) .  
 اما مشروخ الحطة المشتركة على مصر ، فلم يتحقق ، فما وقع من  
 الاحداث وراء حدود بيوتة وبيت المقدس ، ادى الى ارجاء سير الحملة  
 بعد أن سعى اميرك الى التماس مساعدة الخوب في سنة ١١٧٣ (٣) ، وان كان  
 قد ادى التحالف الى منع انطاكية من الوقوع في ايدي المسلمين لعجز  
 السلاجقة بآسيا الصغرى عن الانحياز لنور الدين ، ولم يلبث التحالف ان  
 انقضى ب وفاة اميرك سنة ١١٧٤ (٤) .

#### سقوط الخلافة الفاطمية : =====

كان من دوافع اتجاه نور الدين الى مصر القضاء على الخلافة الفاطمية  
 وادخال مصر في المذهب السني ، وحته الخليفة على ذلك ، فأرسل  
 نور الدين الى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي ، واقامة

- |                               |     |
|-------------------------------|-----|
| Setton: op. cit. I. P. 560    | (١) |
| William of Tyre: II. P. 386.  | (٢) |
| Setton: op. cit. I. P. 560    | (٣) |
| Runciman: op cit. II. P. 393. | (٤) |

الخطبة للخليفة المباسي ، فاعتذر صلاح الدين خوفا من ثورة أهل مصر  
وامتناعهم عن ذلك لعيلهم للحلبيين <sup>(١)</sup> ، فأرسل اليه يلزمه بذلك الزاماً .  
وكان الماض قد انتابه المرض ولم يعلم بأمر قطع الخطبة ، ثم ما لبث أن توفي  
سنة ١١٧١ هـ ، وبعد وفاته انتهت الدولة الفاطمية ، وأصبح صلاح الدين  
يتولى تدبير الأمور في مصر نائبا عن نور الدين ، على أن المصالحة بين صلاح الدين  
ونور الدين أخذت تزداد تأزماً ، واث كل يشك في نوايا الآخر . إذ  
اختلفت وجهات نظر كل منهما تجاه مصر . فتصور الدين يرى أن الميدان للجهاد  
في الشام ، أما مصر فيقصر دورها على الامداد بالمال والرجال ، على حين أن  
صلاح الدين رأى أن مصر هي الميدان الحقيقي ، وكان رأيه بناءً على محاولات  
الصليبيين للاستيلاء على مصر ومن حملة دمياط . وما وقف عليه ، فيما يبدو  
من المفاوضات بين امريك والامبراطور البيزنطي <sup>(٢)</sup> . فأراد ان يستخلص مصر  
لنفسه ولاسوته حتى يستطيع ان يضطلع باعباء الجهاد . ولئن تصور الدين  
امره على قصد مصر ، وعزل صلاح الدين ولكنه توفي سنة ١١٧٤ م قبل ان  
تخرج فكرته الى حيز التنفيذ ، فاستتب الامر لصلاح الدين في مصر <sup>(٣)</sup> .  
بدأت في تلك الفترة تتخبر سياسة بيرتحة تجاه الصليبيين ومصر ،  
وتجلى تخير هذه السياسة ، في المؤامرة التي تعرض لها صلاح الدين

(١) ابن المديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٣٢٣ ، ابن شداد ، النوادر

السلطانية ص ٢٦٣ . Stevenson: op. cit. pp. 106-107

(٢) Setton: op cit. I. P. 565

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٤٢

في بداية حكمه فقد راسل الشيعة سنة ١١٧٤م ، الحشيشية والصليبيين وانضم اليهم ملك صقلية ، واتفقوا على غزو مصر برا وبحرا ، فيتولى الصليبيون الهجوم من البحر ويقوم ملك صقلية بالانغارة على الشواطىء المصرية ، في حين يقسم انصار الفاطميين باعلان الثورة في القاهرة ، ولكن صالح الدين علم بتفاصيل المؤامرة قبل تنفيذها وقضى على جميع افرادها في مصر في ابريل سنة ١١٧٤م (١) وبعد حوالي شهرين توفي امريك ولم يحرك الصليبيون ساكنا لما حدث للمتأمرين في مصر وطرحوا هذا الموضوع جانبا . اما حاكم صقلية فقد وافق على هذه المؤامرة وفعلا وصل الاسطول الى الاسكندرية (٢) ، وكان صالح الدين علم بأمره ، اذ ارسل الامبراطور البيزنطي قبل وصول الاسطول تحذيرا لصالح الدين عن هجوم سيقوم به الاسطول الصقلي (٣) ، نظرا لما وقع من الخلاف بين مانويل وملك صقلية الذي رفض كل مساعدة من قبل الامبراطور البيزنطي واراد ان يثبت انه يستطيع ان يحقق من النجاح ما لم يتأت للبيزنطيين احرازه (٤) ، ورد صالح الدين ما حدث في رسالته الى امراء الشام يشرح ضخامة الاسطول الصقلي ، " فامر ذلك الاسطول كان قد اشتد وروج عهد المؤمنين في البلاد المفترية وهدد به في الجزائر ، فشوهه في الثغر

Lane-Poole: op. cit. P. 120

(١)

Stevenson: op. cit. P. 203

Setton: op. cit. I. P. 565

(٢)

Runciman: op. cit. II. P. 403.

(٣)

(٤) رفض حاكم صقلية التحالف مع بيزنطة والزواج من ماريا ابنة الامبراطور

Runciman: op. cit. vol II p. 403

من وفور عدته وعظيم الهمة وفطر الاستكثار (١) ، ورغم ضخامة الاسطول  
فقد قام اهل الاسكندرية الحصار بهسالة حتى قدم صلاح الدين بجيوشه  
لمواجهتهم ، وتوالت الامدادات عليهم . وكان لقدوم صلاح الدين اثر  
كبير في رفع الروح المعنوية للشعب المقاتل وانتهى الامر بهزيمة الاسطول  
الصقلي ، وفشل الحملة (٢) .

ويتضح من حوادث هذه الحملة ان بيرتطة تدخلت عن سياستها  
التقليدية وهي الحدا ، السافر لمصر الذي استمر طوال فترة حكم مانويل كومنين  
والواقع انه ورغم امل بيرتطة في املاك مصر لم توجد ان يكون الفضل في الاستيلاء  
عليها لصقلية وحاكمها ، يضاف الى ذلك ما حدث من تفكك التحالف اللاتيني  
البيزنطي (٣) .

كان صلاح الدين على علم باساليب الدبلوماسية وناوراتها ، فكتب  
رسالته الى الخليفة العباسي بنوه بموقف بيرتطة وقوتها وموقفها من الحملة  
الصقلية فاعتبرها اكبر قوة مسيحية ذات سلطة على الممالك اللاتينية في الشرق  
” فاما الاعداء المحدثين بهذه البلاد والكفار الذين يقاتلوننا بالممالك  
العظام والعزائم اشداء ، فمنهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية  
الأكبر والجالوت الاكبر وصاحب السلطنة التي اكلت على

(١) ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٢٣٤ ، ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٠٧

Grousset: op. cit. tome II. P. 617

(٢)

Setton: op. cit. vol. II. P. 122.

(٣)



الدهور وشريت وقائم النصرانية الذي حكمت دولته على ممالكها وقلبت ، جرت لنا معه غزوات بحرية وفتاقلات ظاهرة وسرية ، ولم تخرج من مصر الى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة نويتين بكتابين كل واحد منهما يظهر فيه خض الجناح والقاء السلاح والانتقال من معاداة الى مهاداة ومن مفاضة الى ماصحة حتى انه انذر بصاحب صقلية واساطيله التي ترد ذكرها وعساكره التي لم يخف امرها \* (١) .

### الوضع في العالم العربي بعد وفاة نور الدين وبلدين :

ترتب على وفاة كل من نور الدين واطريك ان تمرى الشرق الاوسط لوضع جديد فاذا نظرنا الى الجانب الصليبي : خلف اطريك ابنه بلدين الرابع سنة ١١٢٤ الذي كان في الثانية عشرة وكان أبوه ضعيف البنية وتولى الرعاية ميلين دى بالانسي ، ولكن لم يلبث أن لقي مصرعه ، وعين ريموند كونست طرابلس وصيا على المملكة لمدة ثلاث سنوات . اصبح وليم الصوري رئيس اساقفة ثم تولى الوساطة بين الصليبيين وبيزنطة على ان المملكة تعرضت للشقاق (٢) بسبب وجود حزين تألف احدهما من البارونات والآخر من القادمين حديثا من الغرب (٣) .

اما الجانب الاسلامي فيتمثل فيما حدث بعد وفاة نور الدين من مناسبات حول ولايته الحكم ان نور الدين ترك طفلا

(١) ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢٢ ص ٢٤٣

(٢) Grounet: op. cit. tome II. P. 611, 612. (٢)

في الحادية عشرة هو الملك الصالح اسماعيل فتشاحن امراء نور الدين في السيطرة على الامير الطفل وعلى الوصاية على المملكة (١) وسعى الى ذلك ابن المقدم وابن الداية ورأى شمس الدين (ابن المقدم) استشارة صلاح الدين بوصفه سيدا على امارات المملكة وهي مصر ، وفرض الآخرون هذا الرأي وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا (٢) . ومع ذلك فقد اعترف صلاح الدين بسلطنة الملك الطفل وذكر اسمه في الخطبة وضرب السكة باسمه ، واغتم سيف الدين قازي الجمالك الموصلي تلك الفرصة فاقطع اجزاء من منكس نور الدين ، فملك الديار الجزرية ، ورأى صلاح الدين انه احق الامراء بالوصاية على الملك الطفل وخاصة بعد أن عقد ابن المقدم هدنة مع الفرنج ، وأرسل صلاح الدين اليهم يطلب حقهم في الوصاية على ابن نور الدين ، وكاتبه جماعة من الامراء لتقديم الى الشام ، كما ارسل صلاح الدين اليهم خطابا يقول فيه " لو أن نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل ثقته الى لسلم اليه مصر التي هي اعظم ممالكه ولا ياتها ولو لم يعجل عليها الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيرى " (٣) وكان الصالح وقتذاك في دمشق ، فارسل اليه ابن الداية سعد الدين كمشكين

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٦٤

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٣٦

(٣) ابن واصل : مفتي الكرب ج ٢ ص ٢٢٧

لاحضاره الى حلب . ولم يلبث كمشتكين أن قبض على ابن الداية وتولّى  
 الوصاية على الصالح . فأرسل ابن المقدم الى صلاح الدين يطلب اليه  
 القدم الى دمشق فوافق ذلك الطلب هوامه ، وتوجه الى دمشق ففى  
 ٢٧ نوفمبر ١١٧٤ حيث استقبله اهله ورحبوا به على أن صلاح الدين  
 ابقى الخاية والسكة للصالح وأعلن انه ما قدم الا لتربية الصالح اسماعيل ،  
 ثم استولى على حصن وانجه الى حلب وحاصوها ، فاستجد امرأته  
 بالاسم اعيلية والصلبيين وامير الموصل واستولى صلاح الدين على حصن وحماه  
 فى ديسمبر ١١٧٤ . ثم استولى على بعلبك <sup>(١)</sup> ، وشمر صلاح الدين  
 بان تلك المنازعات تهدد الجبهة الاسلامية وتعرض البلاد لخطر الفرنج ،  
 وأن خلفاء نور الدين لن يستطيعوا المضى فى الجهاد بل انهم سوف  
 يعوقلون جهودهم ، ويمنعونهم من التفرغ لحركة الجهاد كما ان بقاءهم بمصر  
 لن يهيى لها الفرصة لمناوأة الصليبيين <sup>(٢)</sup> . فأرسل الى الخليفة فى بغداد  
 يطلب منقلبا جامعا بمصر والشام والمغرب واليمن .

واجتمعت عساكر الموصل وحلب لقتال صلاح الدين . ثم راسلوه ففى

Lane-Poole: op. cit. P. 137.

(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٦٤ ابو شامة ج ١ ص ٢٤٣  
 Setton: op. cit. I.P. 122.



امر الصلح على ان يرد جميع ما استولى عليه ويحتفظ بدمشق ويكن نائباً  
عن الصالح اسماعيل ، فوافق ولكنهم قالوا في مطالبهم فرفضها ، والثقت  
الجيوش في قرون حماه سنة ١١٧٥ وانتصر صلاح الدين ثم استولى على  
حلب وقطع الخليفة والسكة عن الصالح ، واتخذ لقب ملك مصر والشام ،  
ثم الصلح على أن يحتفظ صلاح الدين بما استولى عليه من البلاد ،  
واستزاد منهم المصرة وكفر طاب ، على أن يجتمعوا لقتال الصليبيين . وفي  
سنة ١١٧٥ قدمت رسل الخليفة بتقليد الولايات التي طلبها  
صلاح الدين (١) .

#### بيزنطة والسلاجقة : =====

تمتهد دولة سلاجقة الروم حلقة اتصال بين البيزنطيين والايبيين ،  
نظرا لما يربطها بالجانبين من الحدود والمصالح المشتركة . واذ اكان  
قلج ارسلان الثاني (١١١٥-١١٩٢م) ضمه الخوف من نور الدين من  
التدخل في شئون الدانشمديين ، فان وفاة نور الدين أتاحت لها الفرصة  
للتدخل وهو آمن في امور الدانشمديين والاعتداء على ممتلكات بيزنطة .  
وشجع قلج ارسلان على ذلك عدة امور منها ، انصراف الامبراطور  
البيزنطي مانويل الى الاهتمام بالامور السياسية في اوروبا ،

(١) ابرشامة : الروضتين ج ١ ص ٢٤٤

ومنها النزاع مع الامبراطور فردريك ببروسه ، والعلاقات مع العجريد  
 الماشيا ومحاولة الامبراطور البيزنطى التقرب من البابا اسكندر  
 الثالث عن طريق اقامة علاقات طيبة اذ كتب اليه يقول : " ان الوقت  
 قد حان لارسال حملة صليبية جديدة لتأمين طريق آسيا الصغرى  
 الى الاراضى المقدسة " (١) . هذا بالرغم من عدم الثقة فى نوايا  
 بيزنطة وسياساتها فى الغرب وتبادل اللاتين والبيزنطيين هذا الكراهية (٢) .  
 ازدادت أوضاع مانويل وصوتف بيزنطة سوءا نظرا لمعارضة ملك  
 صقلية للسياسة البيزنطية التى ترى الى أن تظهر بيزنطة بمكانة فى ايطاليا .  
 والتمس مانويل كل الوسائل لتحقيق هذا الغرض ، فحاول ان يزوجه ابنته  
 ماري من وليم الثانى (ملك صقلية) ، غير ان فردريك ببروسه احبط  
 هذا المشروع ، وما نشب من الصراع بين مانويل والبندقية ، وما ترتب  
 على ذلك من انقطاع العلاقات الدبلوماسية والقبض على البنادقة فى الاملاك  
 البيزنطية ، ومصادرة متاجرهم ، حمل البندقية على أن تتحالف مع وليم  
 الثانى ملك صقلية وان تشير الصواب فى وجه مانويل (٣) ، واستطاع  
 مانويل ان يفرض سلطانه على بلاد المجر التى حكمها ملك

(١) Runciman: op. cit. vol. II. P. 474

(٢) انظر ما ذكره المؤرخ اليونانى

Nictetas choniates : ostrogorsky op. cit P 346

(3) Camb . Med. Hist. IV. P. 370,371

موال له ودانت لبيزنطة دالماشيا (١) ، وعمد فردريك بوهروسة مرة اخرى ، الى اثاره المتاعب في وجهه بأن شجع سلطان قونية قلع ارسلان على الشجيرة على بيزنطة ، فحرض قلع ارسلان سنة ١١٧٥ على التوسع في آسيا الصغرى بينما قام مانويل في عام ١١٧٦ باعداد حملتين احدهما قادها بنفسه والاخرى عمهد بقيادتها الى أحد اقربائه وهو Andronicus Vatatses وكان الهدف من جيش اندرونوقوس هو اعادة ذنن السلجوقي الى ممتلكاته . ولما سمع قلسج ارسلان بذلك ، طلب السلام والتفاوض (٢) ولكن مانويل رفض الاستجابة له ، على ان حلق اندرونوقوس تعرضت لهزيمة ساحقة وقتل قائدها وارسل رأسه الى السلطان ، اما الامبراطور فقاد جيوشه عبر موراغورجيا الجبلية ، ونصح بعض القادة الخبراء في الامور العسكرية مانويل بالا يقود جميع جيشه خلال المراك (٣) ولكن حماس القادة الشبان ، حمله على اتباع رأيهم ، بعد أن اتفقوا بالهجوم أما السلطان قلع ارسلان الثاني فحشد جيشا لا يقل عن جيش مانويل من حيث العدد فضلا عن مهارة الجند وحماسهم وفي ١٧ سبتمبر سنة ١١٧٦ سار الجيش البيزنطي خلال الممر فأحاط بهم الترك من جميع الجهات عند ميريوكيفالون Myriocephalon وسددوا جموع المقاتل وابسادوا

---

Ostrogorsky: op. cit. P. 346

Camb. Med. Hist. vol IV. P. 377.

Runciman : op. cit. vol II. P. 412.

مقدمة الجيش وقتلوا امير انطاكية بلدين ثم حاقت المهزيمة ببقية الجيش  
والقى السلاجقة برأس القائد Vatatses امام بقية الجيش ونسبوا  
الامبراطور بعد أن خانت شجاعته وحاول من تبقى من الجيش ان يتجهده  
ولكن لم يحظ بذلك الا عدد قليل نظرا لأن الترك سدوا جميع المنافذ  
ولم يسمحوا لهم بالفرار (١) ، وحدثت مذبحة هائلة للبيزنطيين ، ثم  
انفذ قلع ارسلان رسولا يمشون الصلح على الامبراطور (٢) الذي كان يجمع  
قلول جيشه في السهل في مقابل ان يعيد اليه قلمنتى Sublaeum ،  
dorylaeum بعد نزع سلاحهما فبادر الامبراطور الى قبول العرض .  
ولم يدرك قلع ارسلان اهمية انتصاره ، ولعل ذلك راجع الى انه ركز  
كل اهتمامه في الجهة الشرقية . ان كل ما كان يريد هو تأمين حدوده فقط .  
اما مانويل فان ما حاق به من هزيمة متتالية في الاهمية ما حل بالبيزنطيين  
من المهزيمة في معركة مانزكرت ، وضاغف في مرارة هذه المهزيمة فشل سياسة  
مانويل في الغرب ، ان ارسل اليه الامبراطور فردريك بربروسه كتابا يطلب  
منه ان يدخل في طاعته (٣) .

وترجع اهمية هذه الحادثة الى النتائج التي ترتب عليها سواء

(١) Diehl (c): Hist. of the Byzantine Empire P. 119

Runciman: op. cit. vol. II. P. 413

(٢)

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٦٧ ، ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٧٥



من الجانب الاساقى او البيزنطى وارتباطها بما حدث من تغير الاوضاع  
بعد وفاة نور الدين ، و وفاة اطريك ، وضموز صلاح الدين فالجيش  
الضخم الذى حوى كل من الكيسوس والاول ويوحنا على اعداد هائلة تهيئه تحطيم  
وكان لزاما على مانويل ان يقضى سنوات عديدة فى اعداده من جديد •  
ولما كان كل ما أنشأه لا يتجاوز ما هو مطلوب للدفاع عن الحدود فتعذر على  
الامبراطور الضى الى سوريا ، وفرض سيطرته على انطاكية او الولايات  
اللاتينية الشرقية (١) ، وادرك اللاتين آخر الامر ، بأن لبقاء بيزنطة  
اهمية فى المحافظة على املاكهم ضد اخطار المسلمين • فالخوف من الامبراطور  
هو الذى منع نور الدين من أن يغزى حميدا فى فتوحه وفى مهاجمة  
المسيحيين •

فهزيمة ميروكيفا فى سنة ١١٧٦ كانت بالغة الاهمية عند اللاتين  
بعد أن ادركوا اهمية بيزنطة لهم فى الشرق وشعروا بأن وجود بيزنطة منهم  
بالنسبة لهم لمواجهة قوى الاسلام النامية اذ كانت بيزنطة حليفا مسيحيا  
قويا يعتمد عليه ، على حين ان التركيين فى الشام ، الذين تنازعوا الوصاية  
على الصالح اسماعيل لم يشعروا بعدى اهمية تلك المعركة بالنسبة لمستقبل  
اللاتين فى الشرق (٢) ، وكان صلاح الدين مضطرا الى توطيد سلطانه فى  
مصر والشام • ولم يلبث أن احسن اللاتين بالخطر المباشر

Runciman: op. cit. vol II. P. 414.

(١)

Cohen : op. cit. P 417

Ostrogersky: op. cit. P. 374.

(٢)

بعد أن زار وليم الصوري القسطنطينية ، بعد ثلاثة أعوام من تجديده

التحالف ضد مصر .

**هيمنة صلاح الدين :**  
=====

ازدادت الأحوال في بلاد الشام سوءاً بينما قوى امر صلاح الدين واقتصرت جهود صلاح الدين في الفترة السابقة على قيام الدولة الأيوبية إلى سنة ١١٧٨ على ضاوة التركيين ، والحشيشة ، ثم رد الهجسوم الصليبي على الدولة الأيوبية في مصر والشام ، وأعاد تنظيم قيادات الحربية في الشمال . شمر الصليبيون بعدى الخط الذي يحقق بممتلكاتهم في الشام من سيطرة صلاح الدين على مصر والشام ، ومن الدليل على ذلك عبارة وليم الصوري " أن كل ازدياد في قوة صلاح الدين ، يثير فينا الخوف والرعب ، لأنه كان رجلاً حكيماً إذا أشار قدماً في الحرب ، إذا نهض لها ، بالغ السخاء إذا غنى ، ومن الخيران نبذل المساعدة للهلك الطفيل لأمراة لصالحه ، بل لتشجيعه باعتباره عدواً لصلاح الدين " (١) .

ونتيجة للأحداث في الشام التي تلت وفاته

ونولس في بلدون الرابع ، وأصبح ريموند الثالث كونت طرابلس فيما على الملك الصغير بلدون الرابع ، وأن تنازع السلطة اتساعاً

فترة وصاية حزبان تألف أحدهما من البارونات - المحليين والاستبارية ،  
يؤيد ريموند وسمى للتفاهم مع جيرانه ، اما الحزب الآخر فيؤلف من  
القادمين حديثا من الغرب ، ومن الداوية ، ومن اشتهروا بنزعتهم العدوانية  
وتزعم هذا الحزب ريجنالد شاتن (١) . وفي سنة ١١٧٧ بلغ بلد ويسمن  
الرابع سن الرشد واستقل بالملك ، ولا صابته بالبرص كان يعلم انهن يعيش  
طويلا ، فكان عليه ان يبحث عن زوج للاميرة شقيقته سبيلا ، وارسل الى  
وليم مؤتمرات يحث عليه الزواج من اخته . وتم الزواج فعلا ولكن ما لبثت  
مؤتمرات ان تفر سنة ١١٧٧ ، ومهد وفاته وضمت طفلا واختير ريجنالد  
شاتن نائبا للملك (٢) . ولما ارسل بلدوين الرابع سفارة للحصول على  
زوج لاخته كان من اهداف السفارة ايضا الدعوة لحطة طليبة جديدة .  
وكان يعتقد ان الهوتطين ليسوا بالقادرين على تقديم مساعدات  
فعلية كما كانوا يفعلون من قبل نتيجة لهمزمة ميريو كيفالين لوقوع النزاع بينهم  
ومين فردريك ببروسه والمجر والنورمان مما دفع مانويل الى التماس مساعدة  
البابا الذي رغب بازالة الحواجز بين الكيستين ولكن اشترط مانويل ان يضع  
البابا التاج على رأسه ، ولكن الاكليروس الشرقي تردد فامتنع

---

(١) الصرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٧٦٣

(٢) William of Tyre: op. cit. II. P. 415, 417.

Runicman: op. cit II P 414

البابا (١) ، وهازدياد قوة صلاح الدين سنة ١١٧٧ م قدمت الى بيت المقدس سفارة من القسطنطينية تلح في تنفيذ التحالف الذي سبق ابرامه من اجل فتح مصر فاذا كان الجيش البيزنطي قد انهيار نتيجة لمركسة ميروكيفالين فان الاسطول مازال من القوة مايكفي للتدخل ، ولكن الملك بلدوين كان قد اشتد به المرض وقتذاك عند قدم حملة من الفسريب ، واشيع ان الملك لويس السابع وهنرى الثانى قادمان ، ولكن الذى قدم بالفعل كان فيليب فلاندر (٢) وكان اللاتين يأملون من وراء قدمه تحقيق اغراض كثيرة واذا اشتدت علة الملك ، كان فى حاجة ماسة الى من يقوم باعباء الحكم . ولذا رحب كبار رجال الدولة بقدوم فيليب فلاندر وعرض الملك عليه ان يتقلد حكم المملكة وادارة امورها والقيام بالحماية على المملكة والدفاع عنها فى حالة الحرب والسلام (٣) .

ووصلت اخبار حملة بيزنطة ، فوصل اسطول بيزنطي مؤلف من ستمين سفينة وجنود مدرسين وسلاح . وهذه الحملة هى التى كان مقررا ارسالها وفقا للمعاهدة التى عقدها امطريك مع مانويل سنة ١١٧١ م اثناء زيارته ، وتأجل تنفيذها بسبب وفاة امطريك ، فارسل مانويل الى بلدوين الرابع ، يحمل التزامه بم بذله من وعود ، واثار محوثر الامبراطور الى ان الاحوال مواتية لمهاجمة مصر سنة ١١٧٧ م لما يصادفه صلاح الدين

Camb. Med. Hist vol IV. P. 370.

(١)

(٢)

Runciman: op. cit. II. P. 414

(٣)

William of Tyre : VII op. cit. vol II. P. 417

من المداء في حلب من قبل الرثكيين ، ولما يلقاه من الكراهية في مصر من قبل انصار الفاطميين ، فاذا اسهم فيليب كونت فالاندر ، ازداد الاصل في القضا على صالح الدين . وطلب بلدين من فيليب الاشتراك مع بيرنطة في مهاجمة مصر ، فاعتذر ، وقال انه جاء ليفهم بزيارة الاماكن المقدسة ولا يلحق نفسه بالاضطلاح بأى مسئولية <sup>(١)</sup> . وانه سوف يعود للبلاد متى اقتضت الاحوال ، ورفض ما عرض عليه الملك من ان ريجنالد شاتين سيشاركه في قيادة الحملة وأن اسطول بيرنطة سيحاربه . ورأى انه لا يوجد ما يبرر اجبارة على التعاون مع البيرنطيين ، ثم كشف عن نواياه حين ابدى اعتراضه على عسدم استشارته في مخرج زواج سبيل <sup>(٢)</sup> على الرغم من قرابته الوثيقة بها ، وادرك البارونات ما يضره الكونت من رغبته من الى نزع الملك من الملك . على انه اعلن صراحة انه لم يأت <sup>ليبحث</sup> في الزواج من احدى الاميرتين ايزابيلا او سبيل ، ومع ذلك حرر اللاتين على المحافظة على المعاهدة الموقعة مع بيرنطة والافادة مسمن المساعدة التي عرضتها <sup>(٣)</sup> .

---

William of tyre op. cit. II. P. 417

(١)

Runciman: op. cit. II. P. 415.

(٢)

Runciman: op. cit. vol. II. p; 415

(٣)

ويرفض فيليب الاشتراك في الحملة ، تقرر ارجاء اتخاذ اى قرار عن الحملة  
الموجهة الى مصر . وشمر رسل بيوتحة أنه لا أمل في حملة على مصر فانتظروا  
مايقرب من شهر . ولما عزموا ابحر الاسطول دون ان يقيم بأى عمل ، واهلغوا  
سيدهم ان الفرنج لا أمل في شفاعتهم من خستهم (١) . على ان مانويل ظل  
طوال الفترة الممتدة من سنة ١١٧٦ (محركة ميروكيفالين) حتى وفاته سنة  
١١٨٠ ، منصرفا الى قتال السلاجقة بآسيا الصغرى (٢) .

اما كونت فلاندر فانه اراد بذل بعض المساعدات ، فلما عرض عليه  
ان يهاجم المسلمين على اطراف انطاكية أو طرابلس لم يتردد في الاستجابة  
لهذا الطلب مع ان الهدنة بين المسلمين والفرنج ، لازالت قائمة ، غير انه  
ورد في نصوصها ما يشير الى ان للفرنج الحق في نقضها ، متى جاء من الغرب  
امير صليبي محارب فانفذ بلدوين القوات من بيت المقدس للتمهين في القتال ،  
بينما هبطت قوات من طرابلس الى وادي الاور . وتقررت مهاجمة حمص  
وحارم بناء على طلب ريموند ويوهند . واستمر حصار اللاتين لحارم اربعة  
اشهر ، وكان اللاتين يأملون بأن تسقط حارم نظرا لصغر سن اسماعيل وشيخ  
صلاح الدين في مصر وهدد هم الصالح اسماعيل بأن صلاح الدين في طريقه الى  
سوريا فوافقوا على رفع الحصار (٣) .

عاد فيليب الى بيت المقدس ومنها الى اللاذقية ثم الى القسطنطينية .

ولقد اعتبر وليم الصوري كل من ريموند امير طرابلس ويوهند امير انطاكية  
مشواطين مع فيليب فلاندر ومثولين عن فشل الحملة البيروطينية (٤) .

(١)

Stevenson: op. cit p; 216

(٢)

Lane-Poole: op. cit. P. 154

(٣)

Stevenson: op cit. P. 216

(٤)

Runciman: op. cit. vol II. P. 418.

William of Tyre op cit vol II P. 417

وفشل الحملة عاد فيليب فلاندر دون ان يؤدي عملا هامسا ، ولم يفتنم الصليبيون الفرصة التي هيأتها لهم بمرتلة بقواتها واسطولها ولا سيما ان صلاح الدين كان منصفا مقتذاك لتدبير احوال مصر ، وفي سنة ١١٧٨ م توجه وليم الصوري لحضور مجمع اللاتيران فاستقبله البابا اسكندر الثالث استقبالا حسنا . ومن المعروف ان اسكندر الثالث كان على علاقة طيبة بالامبراطور البيزنطي مانويل نظرا لكراهيتهما للامبراطور الالماني فردريك بربروسه . وارسل البابا وليم الصوري في سفارة الى بلاط القسطنطينية حيث دارت محادثات تمهيدية لتوحيد الكنيستين البيزنطية والرومانية الغربية (١) ، وهذا المشروع عطل وليم الصوري عن الذهاب لبيت المقدس ، ولم يعتبر وليم الصوري نفسه غريبا في القسطنطينية ، اذ رحب بالامبراطور وكث ما يقرب من سبعة اشهر بها ، شهد اثنا عشر خبطة ابن الامبراطور لابنة لويس السابع ملك فرنسا كما حضر زواج ابنة الامبراطور مانويل من كنزاد شقيق وليم مونفيرات وعهد الامبراطور البيزنطي الى وليم بالقيام بسفارة لانطاكية . وتحدث الامبراطور معه بشأن تجديد التحالف مع اللاتين لنهاية مصر . ولكن هذا المشروع لم يخرج الى حيز التنفيذ (٢) .

ادرك صلاح الدين ما حدث من تداعي التحالف اللاتيني

William of Tyre: op. cit. vol. II P. 417

(١)

(٢) الصوري : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١١٨

والبيزنطى ، وازدادت الاحوال سوءا عند الصليبيين ، فما حدث من تدهور  
احوال المملكة ، وسوء حالة الملك الصحية ، حملا الملك على أن يسمى السى  
ان تنزع اخته سبيلابن جاي لوزجنان (١) ، اما انطاكية فقد ساء حالها لشقاق  
والنزاع بسبب تعدد زيجات بوهيمد الثالث بينما توالى انبعاثات صليبية  
الدين ، وتدعم مركزه فى مصر والشام ، وهاجم الصليبيين فى بانوار وواتنصر  
عليهم فى محركتج عيون ، كما استخدم الاسطول فى مهاجمة عكا ، وخطر  
بلدين لستند هدمه سنة ١١٨٠ لمدة عامين (٢) وفى تلك الاثناء تولى اهم  
نصير وحليف للفرنج هو مانويل امبراطور الدولة البيزنطية .

تغير سياسة بيزنطة تجاه الصليبيين بعد مانويل :

سار مانويل على سياسة كل من الكيسوس ووجنا فى بذل المساعدة  
للفرنج بما لا يتعارض مع مصلحة الامبراطورية . فضلا عن طموحه لخدمة  
المسيحية الذى دفعه الى مفاوضات ليس فى وسع الامبراطورية ان تتحمل  
نفقاتها ، فما كان يرسله من جيوش الى هنغاريا وايطاليا ، كان فى اشد  
الحاجة اليها فى الاناضول ، كما ان هزيمة ميريكالون كانت قاتلة لجيشه (٣) .  
وازدادت الكراهية للاتين بالقسطنطينية زمن مانويل (٤) ، فانهم

(١) Runciman: op. cit. vol. II. P. 425.

(٢) المرنى : الشرق الاوسط ج ١ ص ٧٧٣

(٣) Runciman: op. cit. vol II. P. 420

(٤) Ostrogorsky: op. cit. P. 345



بعض المؤرخين مانويل بانه في سبيل بعض الميزات الدبلوماسية منسح  
 البنادقة امتيازات اقتصادية تسببت في انهيار اقتصاد بيزنطة . كذلك  
 عقد اتفاقية سنتي ١١٦٨ ، ١٦٧١ م مع بيزا وخنوه (١) ، وتسبب  
 البنادقة في زيادة حدة الكراهية والبغضاء تجاههم في الامبراطورية  
 لاحتكارهم للتجارة بين بيزنطة والشرق ، وقيامهم بامداد الاساطيل  
 الامبراطورية بالبحارة ، وقيامهم بامداد الاساطيل الامبراطورية بالبحارة  
 وذلك اصبحت الامبراطورية تحت رحمتهم (٢) . يضاف الى ذلك ما حدث  
 من انتزاع بيزنطة لما شيا من البندقية ، ورفض البنادقة بذل المساعدة  
 للامبراطور في حروبه مع النورمان في عهد مانويل . واذ اصاب  
 البنادقة الضرر ، لما ظفروا به من نجاح في نشاطهم التجاري ، حتى  
 شكوا البيزنطيين من جشعهم واحتقارهم للبيزنطيين حرص الاباطرة البيزنطيين  
 على اخضاعهم وفرض الضرائب والخدمت المسكوبة . وفي ٣١ مارس سنة ١١٧١ ، امر  
 الامبراطور مانويل بالقاء القبض على جميع البنادقة بالقسطنطينية ولاد الروم  
 وصادر سفنهم ، فاشتدت نائرة البنادقة وحتتم عليهم خوض الحرب ،

(١) ديسل ( شارل ) : البندقية جمهورية ارسطقراطية ترجمة أحمد عزت  
 عبدالكريم ص ٢٣

فأرسلوا أسطولهم الى الشرق ، ولكن الحرب لم تنفر عن نتائج موفية  
وانما ترتب عليها انقطاع التجارة مع الامبراطورية لسنوات عديدة . على  
أن هذه الكراهية كان يقابلها شعور عدائى ايضا من الغرب تجاه بيزنطة ،  
اذ اتهمها المسيحيون بأنها مسئولة عن فشل حملاتهم فى الشام  
ومصر (١) .

ولم تكن العلاقات طيبة بين بيزنطة وامبراطور ألمانيا فردريك  
بروسية ، بل ان تحالف بيزنطة مع البابا اسكندر الثالث لغاضة  
فردريك لم يؤد الى نتيجة ، ولم يلبث ان ساءت العلاقات ، ولم يتحقق  
التصاق فى المجال الدينى بما قد يؤدى الى التفاهم . اذ عارض الشعب  
التقارب بين البابا ومانويل وقام التحالف بين الجماعة المخترقة فى الوطن  
والمقيدة . وحدث التقارب بين البابا والامبراطور فردريك وعقدت معاهدة  
سنة ١١٧٧ ، وتم طرد جميع الرعايا البيزنطيين من ايطاليا (٢) .

أما فى الشرق الاسلامى ، فان معركة الامبراطور مع السلاجقة

Runciman: op. cit. vol II. P. 420

(١)

Ostrogorsky: op. cit. P. 340

(٢)

وهزيمته حطمت الجيش البيزنطى وضغطته من التدخل الفعلى فى الامارات  
اللاتينية فى الشرق وحرمت الصليبيين من حليف قوى (١) ، واستشعر اللاتين  
بعدئذ بما افتقدوه من التحالف مع بيزنطة ، وهذا يبرر ان قطرة واحدة  
من الدم البيزنطى لم ترقى فى موقعة حطين ، ولم يشترك جنود بيزنطة فى  
المعركة التى حددت مصير مملكة بيت المقدس .

اما المرحلة الجديدة ، التى تبدأ بوفاة مانويل سنة ١١٨١ ، فأهم  
ما اتسمت به ، هو ما جرى من تغيير فى السياسة البيزنطية ، نحو  
اللاتين ، والنزوح الى التقارب مع الايوبيين (٢) .

وتفصيل ذلك أن الطفل الكسيوس الذى ولى الصرش بعد وفاة ابيه  
مانويل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، فسيطرت امه اللاتينية ماريا  
الانطاكية على امور الدولة ، وكانت اول لاتينية تحكم الامبراطورية وتوثقت  
علاقتها وصدقتها بالكسيوس كوضين وهو من اقارب الامبراطور الجديد ،  
فتعرضت بذلك للكراهية من الشعب والارستقراطية على حد سواء .  
فالارستقراطية رأت أن هذا الرجل وصل لمركز مرموق برغم افتقاره الى الكفاية  
والمقدرة ، ولم ينحس البيزنطيون اخلاقتهم ونازعتهم مع انطاكية (٣) . فضلا

Gibbon: op. cit. P. 409.

Ostrogorsky: op. cit. P. 340.

Runciman: op. cit. II. P. 427.

عن اعمال الصليبيين الحد وانية اثناء مرورهم بالاراضى البيزنطية . فما زال البيزنطيون يذكرون مذابح البندقية وبيزه وجنوه ، وسيطرتها على تجسرة الامبراطورية وجنى الارباح الطائلة ومهاجمة المواطنين المسالين <sup>(١)</sup> ، وازدادت الكراهية لحاشية الملكة المؤلفة من التجار الايطاليين والجنود المأجورين ، ولما ظفر به اللاتين من امتيازات ، بينما شمر اليونانيون بالحقود الشديد عليهم ، فصب البيزنطيون غضبهم على تلك السياسة ولا سيما بعد انهيار مركز بيزنطة سواء في الداخل والخارج . وجرت عدة محاولات لاختيال الامبراطورة وصديقها منها محاولة ابنة مانويل وزوجها ، ولكنهما باءت بالفشل .

ولقد بدأ التغير واضحا في مخطط السياسة البيزنطية فأرسل الامبراطور الكيسوس كومنن الثانى الى القاهرة مبعوثا سنة ١١٨٠ - ١١٨١ لعقد الصلح مع صلاح الدين <sup>(٢)</sup> ، ووقع انهيار حكم الملكة والامبراطور الكيسوس الثانى بعد ذلك ، فان المخطط الجديد لسم يتغير ، فقد ثار عليها اندرونيكس كومنن وهو ابن عم مانويل ، وسياسته تختلف عن سياسة مانويل اختلاف تام . اذ انوعدوا للاستقرابية الاقطاعية وخصما عنيدا لللاتين في الشرق ، ولكن في نفس الوقت كان متقلب الاعواء <sup>(٣)</sup>

Ostrogorsky: op. cit. P. 340

(١)

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٢

Ostrogorsky: op. cit. P. 351.

(٣)

ان رأى نذرا الخطر تحيط به . واستطاع اندرونيكس آخر الامر ان يهزم الكسيوس فأمر بسمل عينيه وادخله الدير ، ودخل القسطنطينية وأعدم الامبراطورة واجبر الامبراطور الطفل على أن يوقع الحكم بشنق والدته ، وسيطر على الامبراطور الطفل الكسيوس الثاني ، وتمرض اللاتين لما أجراه اندرونيكس من مذابح ، ذهب ضحيتها اعداد كبيرة من اللاتين ، وقام البيزنطيون بالتفيس عن قحدهم للاتين بالمشاركة في تلك المذابح الضخمة والاستيلاء على متاجرهم وممتلكاتهم ، وكانت المقاومة اليائسة التي ابدتها اللاتين حافزا لهم على القسوة ، فلم يراعوا سنا أو جنسية أو روابط أو صداقة وامتلأت الطرقات باشلاتهم ، وحرق رجال الدين كنائسهم والمرضى في المستشفيات وبيع آلاف منهم كرقيق للترك . واسهم رجال الدين في الدعوة لهذه الحركة ، بل تقربوا الى الله شاكرين حين فصلت رأس الكاردينال الروماني مندوب البابا . ولم يستطع الاقالات الا عسدد محدود ، واستقلوا سفنهم الى الغرب ، وتجنّبوا كل الموانئ البيزنطية حيث استطاعوا اطلعوا الغرب على أخبار تلك المذابح ، وأثار هذا نفوس المسيحيين فسعى الغرب (1) ، ولم يلبث أن لقي الامبراطور الكسيوس الثاني

Gibbon op. cit. Vol VI. P. 404.

(1)

Diehl: op. cit. p. 134

Ostrogorsky. op. cit. p. 351

مصرعه سنة ١١٨٣ ، وصار اندرونيكسى امبراطورا ، وما ارتكبسه  
 من الجرائم (١) وما اقدم عليه من مناهضة اللاتين فى الشرق  
 والغرب سواء ، كل ذلك حمله على أن يلتزم حليفا جديدا بين  
 المسلمين فى الشرق وكان هذا الحليف ، صلاح الدين . (٢)

---

Runciman: op. cit. vol II, P. 428.

(1)

Gibbons: op. cit. vol VI P. 404-405

"الفصل الرابع"

التحالف الايوبي البيزنطي في عهد صلاح الدين

١١٨١ - ١١٩٣ م

---

تعرض صلاح الدين والبيزنطيين لتهديد عدو مشترك - سفارة اندرونيكس  
 الى صلاح الدين (١١٨٥م) - ترحيب اسحق انجيلوس بمخالفة  
 صلاح الدين - سفارة صلاح الدين الى اسحاق - المفاوضات  
 بين الايوبيين والبيزنطيين بشأن الحملة الصليبية الثالثة -  
 اهتمام صلاح الدين باقامة الشعائر الدينية بمسجد القسطنطينية -  
 العلاقات بين البيزنطيين وحملة فردريك بربروسه - مراسلات اسحق  
 الى صلاح الدين بشأن حملة فردريك - رفض صلاح الدين لطلبات  
 البيزنطيين \*





حدث قبيل الحرب الصليبية الثالثة أن ، انحاز صلاح الدين ، سلطان مصر والشام ، الى أكبر دولة مسيحية في الشرق ، الدولة البيزنطية ، للمحافظة على مصالحهما المشتركة التي تنطوي على مقاومة اللاتين في الأرض المقدسة (١) واعتبر الضرب هذا الصلح انتهاكا لرابطة الدين وتحطيمًا للتقاليد ، وذلك لأن الحروب كادت تكون مستمرة بين البيزنطيين والمسلمين ، منذ ظهور الاسلام ، وفي القرن الحادي عشر الميلادي انتزع المسلمون السلاجقة معظم بلاد الاناضول من الامبراطورية الشرقية وما حدث بعد الحملة الصليبية الاولى ، من تعاون بيزنطة مع المسيحيين في الغرب ، كانت تأمل من وراءه أن تجعل لنفسها الحماية على الامارات الصليبية في الشام ، وفي أن تظهر بالمساعدة ، لمقاومة الزحف الاسلامي على اطرافها الشرقية (٢) . ومع ذلك فان اندونيكوس ، أخير اباطرة أسرة ثومنين ، وخليفته اسحاق انجيلوس ، غيرا هذه السياسة رأسًا على عقب ، وتحالفا مع أكبر عدو للصليبيين ، صلاح الدين ، بل انهما حاولا جاهدين ، ان يستأصلا الدول اللاتينية من الشرق هذا التقارب بين المدعوين القديمين ( البيزنطيين والمسلمين ، سهله ويسسره ما جرى أخيرا من علاقات شخصية ، وما أملت الضرورة السياسية فحينما تقور نفسي

---

Runciman: op. cit. vol II. P.412.

(١)

Setton: op. cit. vol II P. 154

(٢)

اندرونيكوس ، فر الى دمشق ومقداد ، حيث توطدت الصداقة بينه وبين نور الدين (١)  
 وحدث بعدئذ أن حل في بلاط صلاح الدين ، الكسيوس انجيلوس واخوه الاصغر  
 اسحاق ، اللذان هربا من طغيان اندرونيكوس (٢) ، وكان الكسيوس لا يزال نفسى  
 بلاط صلاح الدين ، حينما نصب الرعاى بالقسطنطينية ، اسحاق امبراطورا (٣) ومن  
 هنا عرف هؤلاء الحكام قادة المسلمين والقوى الاسلامية .

وفي سنة ١١٨٥ تعرض كل من البيزنطيين وصلاح الدين لتهديد  
 منى الاعداء من المسلمين والمسيحيين . اذ أن صلاح الدين واجه الامارات  
 الصليبية التى قامت وفصلت بين شطرى ممتلكاته والمحرور أن قبرص التى تمردت  
 واعلنت المصيان تحت زعامة اسحاق كومنينوس من اقوى المتحمسين لدعوة  
 اللاتين وللمصالح اللاتينية ، وكانت من قبل ترجح كفة اللاتين ضد صلاح الدين ،  
 ومن الطبيعي أن البيزنطيين كانوا يأملون أن يستردوا هذه الجزيرة (٤) . وما  
 حدث سنة ١١٧٦ من احراز السلاجقة انتصارا حاسما في معركة ميروكفالون وطرد  
 سلطانهم في جون الااضول ، حيث أضحوا مصدر خطر شديد ، وتهديد كبير على

(١) Ostrogorsky. op. cit. P 351

(٢) Gibbon : op. cit. Vol. VI P. 405

(٣) William of Tyre op. cit. vol II P. 354

(٤) Lamonte: op. cit. p. 12

الممتلكات البيزنطية في بحر ايجة وعلى املاك صلاح الدين في شمال الشام ، فتوافر للبيزنطيين مثلما توافر لصلاح الدين من دواعي الخوف من جهة الغرب ، وأثار حديث الحروب الصليبية عندهم ذكريات ألحمة عن تجاربهم مع الحروب الصليبية المتقدمة ، فما بذله مانويل كومنين من جهود لاسترداد الاقاليم التي فقدتها بيزنطة في ايطاليا ، أسهمت في تباعد الامبراطورية الغربية ، وسلطة صقلية ، والبندقية بما تمتلكه من اسطورتوى ، وما حدث سنة ١١٨٢ من اجراء مذبحة مروعة بين الايطاليين المقيمين في القسطنطينية أحرزت جنوا وبيزا ، اذ أن رعاياهما كانوا اكثر من عانوا من هذه المذبحة ، ومن الطبيعي ان تسبوا الى الانتقام (١) ازداد اندرونيكس طغيانا فقتل الكثير من انصار مريم الانطاكية من البيزنطيين وسمل اعين آخرين ، واساء الى البطريك ونتيجة لذلك فر من جهة عدد كبير من رجال العاصمواالتجأوا الى الامراء الصليبيين في انطاكية وغيرها ولاسيما القدس (٢) واقام بعضهم في صقلية وايطاليه والبعض الآخر في قونية وكان اندرونيكس قد نفى احد افراد اسرة كومنين واسم الكسيوس كومنين الى رومانيا فهرب منها والتجأ الى ملك صقلية ولیم الثاني وطلب مساعدته اندرونيكس فأجاب ولیم الثاني التماسه وجرد حملة في سنة ١١٨٥م مما حرك الاول في اقامة ثورة لصالحه (٣)

(١) اسدر ستم : الروح ج ٢ ص ١٦٠

(٢) ابن جببر الاستبصار في عجائب الامصار الرحلة ص ٣٢٣

شاهد ابن جببر الجيوش الصقلية وهي تحشد استعدادا للحملة ضد بيزنطة كذلك شاهد المطالب العرش اثناء وجوده بصقلية .

واستولى على ديراخيوم ١١٨٤م واتجه الى سالونيك وهاجم الاسطول جزائري  
كورفو وكينالونيا . واستولى الجيوش النورمانى على سالونيك ثانياً مدن الامبراطورية  
ضربها ، وزحف على العاصمة ذاتها . ولم يسع اندرونيكوس ، بعد أن جرى  
تطهيره من جميع الجبهات ، وعدد أن تعرض لتهديد وضغط مباشر من غارة النورمان  
وما تهدده من ثورة ( ١ ) ، الا أن يلجأ الى صلاح الدين ، املاً فسى أن  
يحصل على مساعدة فعالة (١) .

ووفقاً لذلك ارسل اندرونيكوس ، سنة ١١٨٥ ، سفارة الى صلاح الدين  
يستعيد ما كان بينهما من صداقة قديمة ، ومعرض قيام تحالف بينهما . ونظراً  
لأن اندرونيكوس كان امبراطوراً فكان لزاماً على صلاح الدين ان يبذل له السؤالا ،  
وان يقدم له المساعدة ، فيجرى فتح فلسطين واقتسامها بينهما ، على أن ينال  
البيزنطيون ببيت المقدس والمدن الساحلية ما عدا عسقلان . واذا جرى الاستيلاء  
على آسيا الصغرى ، فلابد من اضافتها حتى انطاكية وارمينيا ، الى الامبراطورية  
الشرقية . ولا شك أن اندرونيكوس ، مقابل هذه المساعدة والاملاك ، وعهد  
بأن يبذل المساعدة للمسلمين في نضالهم ضد اللاتين في سوريا وليس معروفاً  
مدى استجابة صلاح الدين لهذه المقترحات ، غير أنها فيما يبدو حازت  
القبول (٢) ، والراجع أن كل الحقوق والامتيازات الاقليمية

Gibbon: op. cit. vol . VI. P. 405

(١)

Ostrogorsky: op. cit. P. 354

(٢)

Grousset: op. cit. II. P. 746-751. note 1

توقفت على ما يقوم به البيزنطيون من تنفيذ نصيبهم في المعاهدة ، ولكن اندرونيكوس طرد من مصر في ( ١٢ سبتمبر سنة ١١٨٥ ) ، على يد سكان المدينة الذين حنقوا لما أصابه من هزائم وفشل في الحرب النورمانية (١) . قبل أن يصل إلى القسطنطينية رد صلاح الدين .

أما طلب اندرونيكوس ، بأنه ينهض على صلاح الدين أن يبذل لــــه الولاء ، لأنه امبراطور ، فإن صلاح الدين ، سلطان مصر والشام ، اعتبره طلبا داعيا للمسخرة ، ولا يقبله بأي حال من الأحوال . فضعف الامبراطورية البيزنطية وقتذاك كان امرا معروفا في كل مكان (٢) . فلم يكن النورمان وحدهم هم الذين غزو سالونيك ، بل ان جزر الارخبيل تعرضت لغزو القرصان اللاتين وغاراتهم ، واندلعت في قبرص ثورة لقيت نجاحا كبيرا ، وتجاوز الترك والمجريون في غاراتهم اطراف الامبراطورية . أما سلطة صلاح الدين فانها اخذت وقتذاك تعقد وتتسع ، وما أحرزه من انتصار باهر على الامارات الصليبية كان معروفا ولم

(١) عن سفارة اندرونيكوس لصلاح الدين انظر :

Cahen: op. cit. P. 424 , 425

Ostrogorsky: op. cit. P. 355

(٢)

يكن موضع تفكير مطلقا وقتذاك ان يخضع العالم العربي للبيزنطيين ، ومع ذلك فسان طلب اخضاع العرب ، انما يمثل عند الامبراطور فكرة بيزنطية تقليدية ، باعتبار ان الامبراطور ممثل الله على الارض ، فما من أحد يساويه في المكانة <sup>(١)</sup> . والدليل على أن اندرونيكوس لم يكن يهتم بأكثر من مجد خيالي ماجرى من طلبه بأن تكون لـه بيت المقدس وساحل فلسطين . والواضح أن صلاح الدين رفض دعوى بيزنطة قسسي السيادة .

وما كان من قبول صلاح الدين فكرة اندرونيكوس في التحالف معه ، وحسب بها الامبراطور الجديد ، اسحاق الثاني انجيلوس ، الذي سره أن يجد حليفا في صلاح الدين ، بعد أن تعرضت عاصمته القسطنطينية لتهديد النورمان ، فأقر المصاهدة ( بعد أن راجعها وعدلها صلاح الدين فيما بعد ) <sup>(٢)</sup> واستدعى أخاه الكيسوس ليמוד من لدى صلاح الدين كان والكيسوس انجيلوس لا يزال ضعيفا على السلطان صلاح الدين مثلما كان اسحاق من قبل . غير أنه حدث سنة ١١٨٦ بعد أن استدعى اسحاق أخاه ، اخذ الكيسوس في السير الى القسطنطينية فأمسك

(١) Cahen: op. cit. P. 425

(٢) أشار كاتب الرسالة المجهولة الى مصدر من المصادر التي يصح انه استقى منها معلوماته ، في سنة ١١٨٦ علم كونت طرابلس وامير انطاكية بالتحالف بين اسحاق وصلاح الدين .

Branrd (c) : saladin and Byzantium P. 167 (speculum 1945 vol xx

به كونه طرابلس أثناء اجتيازه عكا وأمر بحبسه وذلك حينما وصل الى الامارات الصليبية نبال التحالف البيزنطى الاسلامى . وفى أثناء اعتقاله ، بذل له البيازنة المساعدة بما قدموه له من القروض ، التى فيما بعد تسديدها . ولما علم اسحاق بهذا الاجراء كتب الى صلاح الدين يحثه على مهاجمة الامارات اللاتينية ، كما يتم اطلاق سراح اخيه الكسيوس .

وفى ربيع سنة ١١٨٧ م ، بعث البيزنطيون بأسطول لمهاجمة قبرص وفى الاراضى المقدسة ، جرى تفسير تحرك الاسطول البيزنطى على أنه مساعدة بحرية كما يقوم صلاح الدين بهجوم على الامارات الصليبية ، غير ان القوات البيزنطية تعرضت للهزيمة فى قبرص على يد اسحاق كومنين ، وحلت الكسرة بالاسطول على يد القائد الصقلى . وفى تلك الاعاء ، هاجم صلاح الدين مملكة بيت المقدس ، بسبب ما تعرض له من اهانات من قبل اللاتين لاسباب تشجيع اسحاق ، فاستولى صلاح الدين على بيت المقدس والمدن الساحلية (١) . ولما سقطت عكا فى يد صلاح الدين ، جرى اطلاق سراح انجيلوس من معتقله فعاد الى القسطنطينية على ظهر سفينة جنوة ، ولم يدفع نفقة الرحلة حتى سنة ١٢٠١ م (٢) .

Branrd op. cit. P 169-170

(١)

Lane-poole: op. cit. P. 214-218

(٢)

على أن صداقة صلاح الدين لاسحاق انجيلوس ليس لها أى صلة بفتح  
الأرض المقدسة إلا من ناحية واحدة • فالمعروف أن ما حدث من قبل من استسلام  
بيت المقدس إنما يرجع فيما ذاع وشاع إلى أن اليونانيين الأرثوذكس المقيمين  
ببيت المقدس والمعروفين باسم الملكانية كانوا مستعدين لتسليم المدينة بطريق  
الخيانة • واتصل بهم المسلمون عن طريق يوسف بطيط

وهو ملكانى • ولد ونشأ في بيت المقدس • وعد بتدبير فتح أبواب المدينة  
على يد بنى جلدته وديانته • ولما وقف زعماء اللاتين على كراهية الملكانيين  
وعلى تدبير مؤامراتهم • كان هذا من أسباب مبادرتهم بتسليم المدينة (١) •  
لم يكن ثمة صلة معروفة أو ضرورة تربط بين اسحاق انجيلوس • وما كان من أعمال  
الملكانيين • غير أنه من الملحوظ أن تحالف صلاح الدين مع البيزنطيين  
أدى إلى تحويل الكنائس اللاتينية القائمة بالأراضي المقدسة إلى الشمامسة  
اليونانية • والراجع أن الملكانيين في بيت المقدس علموا ما بذله صلاح الدين  
لهم من عود • والواضح أنه لم يكتفوا المحبة لجيرانهم من الفرنج (٢) •

---

(١) ابن واصل : فتح الكروب ج ٢ ص ٢٠٣

Gibbon : op. cit. vol VI 374

(٢)



وإذا فرج صلاح الدين بما احرزه من انتصارات على الصليبيين ارسل الى  
 اسحاق سفارة تحمل ما اصابه من نجاح ونور . ووفقا لتقاليد الدبلوماسية الشرقية ،  
 حمل السفراء الى الامبراطور البيزنطى هدايا فاخرة ، منها غيل ، وخمسون  
 من السروج التركية ، ومائة من الاقواس التركية ، بما تحتاجه من سهام ، ومائة  
 من الاسرى البيزنطيين من بلاد اليونان ، ١٠٥ حصانا تركيا ، وقيمة  
 كبيرة من البهار ، واظهر اسحاق سرورا بما جاءه من انباء طيبة ، ومن هدايا  
 ثمينة فاستضاف الرسل فى قصر صغير فى وسط القسطنطينية وحدث المخالفة  
 مع صلاح الدين (١) . واكثر ما اظهر له الامتنان والشكر ، ما جرى من اطلاق سراح  
 شقيقه من حبس الصليبيين ورد اسحاق على صلاح الدين ، بهدايا تضارع ما ارسله  
 له فى القيمة والروعة ، فبعضها اربع مائة زردية ، وأربعة آلاف ربح من الحديد ،  
 وخمسة آلاف من السيوف ، وكلها من السلحة التى استحوذ عليها من هزيمة  
 جيش بوليم الثانى الذى اغار على املاكه ، واثنى عشرة قطعة من القماش الفاخر ،  
 وقد حان من الذهب ، وثلاثمائة من غرو السمر ، وارسل هدايا من القماش  
 والخلع الامبراطورية الى شقيق صلاح الدين والى ابنائه الثلاثة ، وأهم من كل ذلك ،

(١) ابن واصل : مغن الكروب ج ٢ ص ٢٤٧

حمل الرسولان الى السلطان تاجا مرصعا بالذهب ، ورسالة من اسحاق نصه :  
 " ابعث اليك بهذا التاج ، لانك في رأيي تعتبر ملكا وانت جدير بالملك ، وذلك  
 بفضل مساعدتي وعون الله " . وبهذا الرمز وهذه المباركات على الرغم من ان  
 لم تكن صادقة ، سعى الامبراطور الى ان يبرهن على سيادته على صلاح الدين .

أبحر الرسل الى عكا ، حيث اقام لهم صلاح الدين ، في ٦ يناير سنة ١١٨٨ م ، بعد أن رفع الحصار عن صور ، ووادقا فخما حافلا لاستقبالهم  
 وبعده التحالف مع بيزنطة ، وذلك بحضور ابنائه وامرائه وموظفيه ، وأشاد الرسول  
 بصفة خاصة بصلاح الدين لما أجراه من اطلاق سراح الكيسوس انجيلوس " فبفضلك  
 ثم تخلصه وانقاذه من ايدي اللاتين " (١) وسأل صلاح الدين هؤلاء الرسل  
 عن احوال الامبراطورية ( البيزنطية ) ، والحرب مع الفلاح ، والحروب مع صائري  
 الاحكام ( الواضح أنه يقصد ملوك الغرب ) ، وأهم خبر حمله هؤلاء الرسل البيزنطيون  
 الى صلاح الدين ما حدث في الغرب من الدعوى الى حملة صليبية جديدة لتخليص  
 بيت المقدس (٢) .

- (١) ابوشامة : الروستين ج ٢ ص ١٣٦  
 (٢) نشر رسالة القاضي الفاضل الى سيف الاسلام باليمن المؤرخة ٥٨٤ هـ  
 (١١٨٨ - ١١٨٩) الى ماورد من الانباء من حاكم القسطنطينية ،  
 الاسكندرية ، ومن شمال افريقية ، بشأن تجمع واعداد حملة صليبية  
 فلا داعي لان نفترض قدوم سفارة اخرى من اسحاق ، لتحمل هذه  
 الانباء الى صلاح الدين كما يزعم Dolger انظر / ابوشامة الروستين  
 ج ٢ ص ١٣٦

ومعد فترة من التمهيل والارجاء ، الراجع أن صلاح الدين تلقى أثناء ما  
 من جهات أخرى ما يؤكد احتشاد الحملة الصليبية الثالثة ، عزم على أن يزعم  
 من توثيق علاقته بإسحاق كيما يضمن مساعدته إذا ما يصح أن يمر بأراضي  
 من رجال الحملة (١) . ولذا انغذ مع السفارة البيزنطية عند عودتها ، سفارة  
 من قبله ، عهد اليها بالقيام بمفاوضات من هذا القبيل ، وفاقته هداياه كل ما  
 سبق أن أرسله من هدايا إذ كان منها عشرون حصانا لاتينيا ، وصناديق كبيرة  
 من المطور ، البجالات ، والبلمان ، وثلاثمائة عقد من الجواهر  
 صندوق من الصود ، ومائة كيس من المسك ، وعشرون ألف بيزنطا ، وفيل صغير  
 وفزال ، وزرافة ، وخمسة فهود ، وثلاثون قنطارا من الفلفل وأنواع البهار الأخرى ،  
 وقد ر كبير مصنوع من الفضة وكميات كبيرة من الدقيق والحبوب السامة وهذه  
 الاطعمة المميته ( التي جرى اكتشافها عند تجربتها مع احد الرقاء اللاتينيين  
 حينما لقي مصرعه ) كان الفرض منها فعلا ، توزيعها على الصليبيين القادمين  
 من الغرب ، عند اجتيازهم الأراضي البيزنطية . وحوث حوليات فردريك بويروس  
 قصصا عن محاولات تدمير الألمان بالالتجاء الى مثل هذه الوسائل .  
 ومن هدايا صلاح الدين ، في هذه المناسبة " منبر " والسدى

كان لابد للامبراطور أن ينصبه ، ويحمل على تعجيدته وتبجيله ، تكسيما للمسلمين ،  
وفقا لما بذله من وعد سابق ، ففي اثناء المفاوضات الثالثة ، مع اسحاق ، اهتم  
صلاح الدين بالمحافظة على الشعائر الاسلامية ، وعارة مسجد القسطنطينية ،  
مثلا ابدى اسحاق رغبته في مراعاة الشعائر اليونانية في كنائس الارض المقدسة (١)  
ومع ذلك فان المنبر الذي بحث به صلاح الدين ، في هذه المناسبة لم يصل الى  
القسطنطينية ، اذ استولى الجنويون على السفينة التي تحمله الى العاصمة  
البيزنطية ، وحملوه الى صور ، ولما كان المنبر يعتبر دليلا ملموسا على التحالف  
بين الامبراطور وصلاح الدين حرص كراد مونتفرات ( الذي حكم وقتذاك في صور )  
على ان يذبح النبا الاستيلاء عليه (٢) ، في سائر انحاء اوربا ، وما أرسله فيليب  
الثاني ملك فرنسا من سفارة الى القسطنطينية ، حملت من الانباء ما يقصده  
بها جميع التجهيز والاستعداد والتجنيد للحملة الصليبية القادمة . وفي  
خريف سنة ١١٨٨ ، أصبح معروفًا في غرب اوربا خبر مصادرة اسحاق للحملة  
الصليبية .

وفي ٢٠ سبتمبر ١١٨٨ ، حينما بحث كراد مونتفرات برسالة السني  
اسقف كانتييري عن الاستيلاء على المنبر ، ثوابه لديه من الانبياء ما يكفي

(١) ابوشامة : الروضتين ج ٢ ص ١٥٩

Gibbon: op. cit. vol VI P. 407

(٢)

لأن يضمن رسالته اهم ماورد في المحالفة بين صلاح الدين والبيزنطيين ———  
 شروط ، قرر صلاح الدين ان تسير كل الكنائس في فلسطين التي استولى عليها  
 وفقا لمذهب بيزنطة ( الارثوذكس ) ، والتزم اسحاق بأن تجرى الشعائر في  
 مسجد القسطنطينية على مذهب صلاح الدين (١) . وفيما يتعلق بحصار انطاكية  
 التزم اسحاق بأن يبعث مائة سفينة حربية ، لمساعدة صلاح الدين ، ومع ذلك فان  
 مقاومة الحملة الصليبية الثالثة المقبلة ، كان امرا جوهريا عند صلاح الدين فلم  
 يقم اسحق من تلقاء نفسه ، بأن يسجن في القسطنطينية اللاتين الذين وعدهوا  
 بالاشتراك في الحملة الثالثة ، بل انه وافق ايضا على معارضة ومقاومة كل جيش  
 يحاول اجتياز ممتلكاته (٢) ، ومقابل ذلك وعد صلاح الدين ، بأن يمنحه كل الاراضي  
 المقدسة ، وهو ما ناضلت بيزنطة من اجل الحصول عليه طوال القرن الثاني عشر ،  
 ومن اجلها اجرى ايضا اندرونيكوس المفاوضات ، اما تقرير السفارة الفرنسية ، الذي  
 جرت كتابته من القسطنطينية بعد فترة قصيرة عقب كتابة رسالة كيراد ، فأضافت الى  
 ان السفراء المسلمين ، لقوا من الحفاوة والتكريم في القصر الامبراطوري ما لم يلقه  
 غيرهم من السفراء . وزعمت السفارة الفرنسية ايضا انه حدث في نفس اليوم  
 الذي تأميت فيه رسلها لمفادرة القسطنطينية ، امر اسحاق بطرد كل اللاتين  
 من الامبراطورية ، فاذا كان هذا التورار قد صدر فعلا ، وهو ما لم يجسد

(١) ابوشامه : البروضتين ج ٢ ص ١٥٩

Grousset: op. cit. Tome III P. 13.

(٢)

تأكيدا له في مصادر أخرى ، فانه لم يلبث أن جرى تعديله بعد فترة وجيزة ، فمن المحقق انه كان بالامبراطورية الشرقية اثناء الحملة الثالثة ، تجار من البنادقة وجند مأجورة من الفرنج ، وموظفون من اللاتين <sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فان ما حدث من احتجاز الصليبيين مستقبلا في القسطنطينية دل على أن اسحاق يكون قد قد ألزم نفسه بسياسة عدائية نحو الغرب لما يبذل من جهود لاستعادة بيت المقدس .

على انه ليس من المحققا اذا كانت الشروط النهائية للمحالفة العسكرية انتهى منها سفراء صلاح الدين سنة ١١٨٨ ، أو سفارة أخرى جاءت إلى القسطنطينية في السنة التالية . فالمعروف ان معوثين من قبل السلطان صلاح الدين كانوا بالقسطنطينية في يونيو ١١٨٩ عند استحكام الازمة في العلاقات بين اسحاق وفردريك بربروسه ، ذلك انه حينما قرر الامبراطور الالماني فردريك بربروسه ١١٨٨ الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة ، اخطر الامبراطور اسحاق بعزمه على اجتياز اراض فطلب السماح له بالمرور <sup>(٢)</sup> ، وتمهد البيزنطيون باقامة اسواق ليخدم فيها الصليبيون ، وتكفلوا بتقديس ما يلزم لنقلهم عبر البوسفور إلى الشاطئ .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٧

Grousset: op. cit. Tome III P. 13, 14

(٢)

Ostrogorsky: op. cit P. 160

الاسيوي ومع ذلك فانهم لم يلبثوا أن طلبوا رهائن كيما يكتفوا السلوك  
الطيب من الحرمان ، هذه المنطقية .

التي تخالف ما سبق للبيزنطيين أن درسوا عليه ، ذلت على أن اسحق  
لا زال يفكر في اتخاذ اجراء عدائي ، فلم يدرك فحسب انه قد يـسـد  
الالتزام بصلاح الدين ، بل انه كان ايضا يخشى ما تتعرض له عاصمته  
من مهاجمة من قبل قوات بروسية ، انتقاما لما سبق أن وجهه مانويسل  
من اهانات عديدة الى بروسية ، ولما جرى من مذبة في اللاتين ( ١١٨٢ م )  
وقبل سير بروسية ( ١١ مايو ١١٨٩ ) أرسل أسقف مونستر ، ومحبته  
جماعة من كبار الاعيان الالمان لخطر اسحاق بقرب وصوله ( بروسية )  
الى القسطنطينية ، وحوالي منتصف يونية ، وصلت هذه السفارة الى القسطنطينية  
ولم تلبث أن جرى حبسها وسجنها ، والراجح أنه تم ذلك بناء على الحاح  
ممثلي صلاح الدين ، وكيفما كان الامر ، فان ما كان لسفراء بروسية من  
خيول وأمتعة ، تشر منحها للمسلمين . على أن اسحاق ، بما لجأ  
اليه بطريق غير مشروع ، من اعتقال سفراء بروسية ، ارتكب جريمة ازاء بروسية  
وحظته الطليعية .

وفي الوقت الذي قبض فيها الامبراطور اسحاق على سفارة اسقف  
مونستر ، أرسل صموئيل من قبله الى صلاح الدين <sup>(١)</sup> ، ومن الواضح

أن الفرض من ذلك التصديق على المحالفة وصل الرسل إلى صلاح الدين في أغسطس سبتمبر ١١٨٩ ، وهو بمنح عبود بالشام ، وبالأضامن إلى ما هو معروف عند اللاتين من شروط ، جرى أخاقة شرط يتعلق بالقيام بهجوم مشترك على قبرص ، والراجح أنه جرت مناقشة ما سوف تلجأ إليه بوزنطة مستقبلا من إخضاع سلطنة الروم ، ولعلها أيضا كانت تزعم الاستيلاء على أرمينية الصغرى وأنطاكية ، فلن يستطيع أن يمرض نفسه لفارات وهجمات الجيوش الصليبية ، إلا إذا كان قد حصل على وعود محددة ، وإن خشي صلاح الدين بمرور سنة ، لم يتردد في أن يهدل لاسحاق من الأراضى ما ليس بحوزته مقابل تدبير الجيش الألماني (١) . وطلب البيزنطيون من صلاح الدين أيضا أن يبعث لهم ببعثة من علماء الدين ، بدلا من التي وقصت لـ من أيدي الجنوريين ، لاقام الخطبة باسم الخليفة العباسي في جامع القسطنطينية ومن الطبيعي أن يحرض صلاح الدين على الاستجابة لهذا الطلب ، ولهذا أرسل بصحبة السفير امانا ، وضمرا وطائفة من المؤذنين ، والقراء لتسلاوة القرآن ، وجرى الاحتفال باستقبالهم استقبالا باهرا ، وجرت أول خطبة وشهد بها عدد كبير من تجار المسلمين ورجالهم . (٢)

(١) ابن راضل : ملج الكروب ج ٢ ص ٣١٧ ٥٨٥٤ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٥٩ .

(٢) أسد رستم : الروم ص ١٢٢ .



ولما مات بصوت اسحاق في الشام ، والراجح أن وقع ذلك في أواخر  
صيف سنة ١١٨٩ ، أوفد سفيرا ثانيا ، لهتم المفاوضات ، كان اسحاق  
يأمل في أن يحصل على مساعدة حربية من صلاح الدين ، لأن فردريك  
بربروسه لن يجد غناء شديدا في معالجة مساعدته من قوات البيزنطية ، وأدرك  
الامبراطور أن أخبار هذه الأحداث سوف تبليغ فعلا الشام غير أن حوسر  
العصابات التي قام بها البيزنطيون ، عرقلت - الامبراطور الالمانى منسدا  
أن يدخل الى الامبراطورية عند نفى الجيوش  
المعدة من توش الى صوفيه ، ونجح فردريك في أن يطرد جيشا بيزنطيا  
من استحكاماته ، والقرب من فيليبوبولس ، أنزل الهزيمة مرة أخرى بقوات  
اسحاق (١) . وما كاد بربروسه يتأكد عنده خبر اعتقال سفارة اسقف  
مونستر ، حتى تعاهد بأنه سوف يرغم البيزنطيين على اطلاق سراح هذه البعثة  
بالاغارة عن ترافيا ، وعلى الرغم من أن - الاسقف ووثاقه قد اطلق سراحهم  
حوالى ٢٠ أكتوبر سنة ١١٨٩ م ، ظل اسحاق على ولائه لصلاح الدين  
ولم يسمح للالمان باجتياز بلاده الى آسيا (٢) . وعندئذ أمر فردريك  
بربروسه على غاراته ، فاستول على أدريتش بل انه أعد خطة لخصم  
القسطنطينية (٣) ، ولم يبدأ الامبراطور البيزنطى من الحصول على

Runciman: op. cit. vol. III. P. 13, 14

(١)

Grousset: op. cit. Tome III. 12, 13

(٢)

Ostrogorsky: op. cit. P 361

(٣)

مساعدة من قبل المسلمين حتى فبراير سنة ١١٩٠ م حين حلت به الهزيمة ، ووافق على معاهدة أدركه ، التي تقضى بأن يسمح اسحاق للامبراطور الالمانى ، بشراء المؤن من الاسواق والمبور الى آسيا الصغرى ) وان يقدم من الرهائن ما يكفل ضمان السلوك الطيب من قبل البيزنطيين (١) .

وفى ضوء ما أخرزه فردريك بربروسه من انتصارات ، كانت رسالة اسحاق المؤرخة حوالى ديسمبر ١١٨٩ ، والتي أنفذها مع الرسول المتوفى ، الى صلاح الدين ، أثناء الحصار على عكا ، خليطاً من الأسى ، والتهديدات الجوفاء ، وبالتظاهر بالمشجاعة ، والترسلات بأن يقوم صلاح الدين بأعمال ايجابية . ونص هذه الرسالة ، التي لاشك فى اصالتها ، والتي أوردها أحد رفاق صلاح الدين فى مؤلفه عن سيرته (٢) ، تكشف ما انتاب اسحاق من مخاوف فى لحظة حرجية أثناء قيام المحالفة (٣) : وهذا هو نص الرسالة : لاهوتيتها بالنسبة لمستقبل العلاقات البيزنطية الاسلامية " قدم الرسول بخطاب عن موضوع تجرى الاهتمام به ، وفيما يلى وصف لهذه الوثيقة ، اذ أنها خطوط عريضة طويلة ، غير أنها تزداد ضيقاً بين الخطين على ما هو معروف فى بغداد من الكتابة ، ووردت الترجمة فى القسم

(١) اسد رستم : الروم ص ١٧٢

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١١٥

(٣)

الثانى \* من الورقة فى باطنها وظاهرها \* وجرى اثبات الخاتم بين القسمين \* وكان  
 هذا الخاتم من الذهب \* انطبع عليه صورة الملك \* ووزن خمسة عشر دينارا \* وجرى  
 شطرا الكتاب كما يأتى \* من ايساكوريوس ( اسحاق ) الملك \* خادم المسيح \* الصبح \* الصبح  
 بفضل الله \* الامبراطور المظفردائما المجيد \* والذى يحكم باسم الله \* الذى  
 لا يقهر \* طاغية اليونانيين \* انجيلوس \* الى عظمة سلطان مصر \* صلاح الدين \*  
 خالص المحبة والود \* وما أرسلته سيادتكم من رسالة الى جلالتنا \* وصلت بسلام \*  
 لقد طالعناها \* ورققنا منها على وفاة رسولنا \* وسببت هذه الوفاة لنا كـدرا  
 شديدا \* ولا سيما لأنه مات فى أرض أجنبية \* دون أن تتم ما عهدت به اليـه  
 امبراطوريتنا من \* وكان لابد أن يتدارسه مع سيادتكم \* ولشك أن سعادتكم انما  
 تقصدون بأن تبهثوا اليها سفيرا لينهى الى امبراطوريتنا ما اتخذ من قرار يتصل  
 بالمهمة التى كلفنا سفيرنا الراحل بإعدادها \* وما تركه من قطاع أو ما يصح اكتشافه  
 بعد وفاته \* لابد من إرساله الى امبراطوريتنا حتى يصح تسليمه الى أبناءه  
 واقاريه \* وليس فى وسعنى أن أعتقد ان سعادتكم سوف تستمعون الى التقارير  
 السيئة عن سير الالحاق فى املاكى \* وليس ما يدعو الى الدهشة \* ان اعدائى  
 سوف يذيعون الاكاذيب لتحقيق أغراضهم \* فاذا أردت أن تعلم الحقيقة \*  
 فسوف أخطرک بها \* فما يعانيون من المشاق والارهاق يحرق ما يسومون بـه  
 الفلاحين بسلادى من المذاب \* اذ ان خسارتهم فى المال والخيل

والرجال ، كانت بالغة الفداحة ، اذ فقدوا عددا كبيرا من الجند ، ولم يقاتوا من جنودى الشجعان الا بصعوبة ، وحل بهم من التعب والارهاق أنهم لم يكن بوسعهم الوصول الى ممتلكاتك ، بل انهم اذا نجحوا فى الوصول اليها نلّيس فى وسعهم أن يبذلوا المساعدة لرفاقهم ، ولن يلحقوا بسيادتكم ادنى ضرر ، فاذا جرى الامعان فى هذه الأمور ، فانى لشديد الدهشة ، لما حدث من اغتالكم علاقتنا الطيبة السابقة ، وانكم لم تؤدوا لاجراطورتى شيئا من خطاكم وشرحاتهم حتى ليبدو أن النتيجة الوحيدة لصداقتى معكم ، انها جرت على كراهية الفرنج وكل اجناسهم . فيتحتم على سعادتكم ان توفوا بما ورد فى رسالتكم ، من نية ترمى الى أن تيمشوا الى بسفير يخطرني بمسا اتخذتموه من قرار ، فى الامر ، الذى بعثت اليك رسالة عنه منذ زمن طويل . فليجر ذلك بأسرع ما يكون وانى لأرجو الله ، أن قدوم الالمان ، الذين سمعت عنهم روايات عديدة ، سوف لا يكون له وزن عندك . فما اتخذوه من خطط وأغراض سوف تؤدى الى اضطرابهم . تحرر فى سنة ١٥٠١ . من التقويم السيلوقى بالموافق اول سبتمبر ١١٨٩ - ٣١ أغسطس سنة ١١٩٠ (١) .

(١) لاشك فى صحة هذه الرسالة ، لافحسب فى وصف ما ورد فى الخطاب من عبارات التحية وما اشتملت عليه من الاقتناع ، بل ان الفاظ الرسالة وجرسها تتميز من عبارات اسحاق انجيلوس . وأما التقويم السلوقى فكان شائع الاستعمال عند الجانبين . انظر : ابوشامة : الروستين ج ٢ ص ١٥٩ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٠ ، ٣١ . ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١١٦ .

وما تردد في الرسالة من الشكوى وخيبة الأمل ، وما جرى من ترويض  
المطالب ، للوقوف على أغراض صلاح الدين ، وما انطوت عليه من عبارات عسك-  
اذا كان الصليبيون سوف ينجحون في الوصول الى الشام ، كل ذلك زاده شحور  
اسحاق بفعله في تدمير بربروسه (١) ، وكراهيته الشديدة لما لبأ اليه صلاح الدين  
من التسوية ، وفي فبراير - ابريل ١١٩٠ ، وفي نفس اللحظة التي عقد فيها  
الصلح مع فردريك ، وسمح له باجتياز البواضر ، كتب اسحق للمرة الثانية ،  
يذكر صلاح الدين ، بأنه أعاد الخطبة للخليفة العباسي في مسجد القسطنطينية  
وؤكد من جديد صداقته للمسلمين ، وشرح ايضا بأنه اضطر الى أن يسمح لفردريك  
باجتياز بلاده ، غير أنه أعلن أن الامبراطور الالمانى وجيشه لن يستطیعوا  
القتال اذا وصلوا الى الشام (٢) . " لقد اتبع الامبراطور كل انواع الخداع والغش في  
اثناء مسيره ، وما تصرع له من مغايب ، وما تعرضت له مؤه من النقص ، كل ذلك  
اضعه وأتلقه . فلن يبلغ بلادكم في صورة سليمة ، فسوف يجد قبره هناك ولن  
يصود الى بلاده ، وسوف يقح غريسه في الشرك الذي نصبه (٣) .

كرر اسحاق انه فضل كل ما نسي وسعه لتحطيم جيش بربروسه ،

(١) ابن واصل : مغن الكروب ج ٢ ص ٣٢٩ ، ابن شداد : التوادر السلطانية

ص ١١٧-١١٨

(٢) ابوشامة : الروضتين ج ٢ ص ١٥٩

Lane-Poole, op. cit. P 565

Grousset: op. cit. Tome III, P. 13.

(٣)

وألح على صلاح الدين أن يبعث إليه رسولا يحمل الردود على المطالبات  
البيزنطية . ووفقا لرواية عماد الدين الكاتب ، اشتد تأثر السلطان .  
واتخذ قرارا يتفق مع رغبات اسحاق . والراجع أن هذا لا يعنى سوى  
أن صلاح الدين أرسل سفارة جديدة الى القسطنطينية (١) .

وفي تلك الأثناء ، غادر فردريك بومروسه اراضى الامبراطورية البيزنطية .  
واجتاز آسيا الصغرى الى قونية ، عاصمة سلطنة سلاجقة الروم . وهناك  
المدينة ، التى صمدت اسوارها لمانويل كومنين ، اقتحمها فردريك دون عناء (٢) ،  
فتبين لصلاح الدين أن ما زعمه اسحاق انجيلوس عن تدمير الجيوش الصليبية ، إنما  
هو من قبيل الخيال والوهم ، أما تقدير فردريك عن خسائره فى تراقيا ، التى  
تبلغ حتى ١٨ نوفمبر سنة ١١٨٩ نحو مائة رجل بعد حرب عصابات امتد نطاقها  
وبعد الفخارات على المدن البيزنطية ، وبعد أن وقع اشتباك مع جيش اسحاق  
فانه دل على أن اسحاق لم ينفذ الا قليلا من خطته التى وضعها لتدمير  
الصليبيين (٣) . ومع ذلك فان بومروسه اقربان خيوله تناقص عدده ، وما كان  
من تداعى هجمات اسحاق على الجيش الالمانى الصليبي ، وقف عليه صلاح الدين

(١) نقل ابوشامة فى كتاب الروضتين ١٦٠ باختصار ما أورده رواية العماد الكاتب  
فى شأن هذه الرسالة . وما احتوته الاجزاء الاخرى من هذه الرسالة يسدل  
على انها تختلف عن الرسالة السابقة المؤرخة فى ديسمبر ١١٨٩ .  
ابوشامة : الروضتين . ١٦٠

(٢) Runciman: op. cit. Vol III P. 15.

Ostrogorsky: op. cit. P. 320

(٣) ابوشامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٦٠

من التقارير التي وصلتته عن سيرهم في آسيا الصغرى \* ومن أشهر هذه التقارير  
التي كانت المصادرة من باسيل استغاثا \* وهو من الذين انحازوا الى صلاح الدين  
بسبب ما يلقه من الكراهية لارمنية الصغرى \* التي يحكمها بيت رومين الموالي  
للمسيحيين \* على أن الاسقف اورد رواية حافلة بالمبالغة والمخالفة عن قوة الجرماني  
وحسن نظامهم وحبهم على تحمل الشدائد \* وعرض المؤرخون العرب في ذلك  
المصر لما اثاره تقدم بروسه (١) في معسكرهم من الخوف \* وفي يونيو  
سنة ١١٩٠ م غرق فيدريك عند حدود اقليم رومين \* وتلى ذلك مباشرة تفرق جيشه (٢)  
فيهم موفى ١١٩٩ أرسل اسحاق مرة اخرى الى صلاح الدين رسولا لصلاح الدين  
يحمل هدايا ورسالة شفوية واستقبله المادل اخو صلاح الدين ووزير خارجيته وكسر  
في رسالته جهوده ضد الصليبيين وفي وجه الدعوة للحملات الصليبية على  
أن صلاح الدين توافر لديه من التقارير ما تفيد بأن الامبراطور البيزنطي بذل كل  
ما يستطيعه لتحطيم الالمان وكان مقصده بذلك أيضا حماية بلاده من الصليبيين \* بينما  
يزعم انه يحمل لصلاح المسلمين \* أما بطريركية بيت المقدس \* التي استندت  
الى الامبراطور البيزنطي وقتئذ واعتمدت عليه \* فجرت الرواية أن اسحاق اخطر  
اللاتين من قبل بأن اشرافه وسيطرته عليها \* لن يستمر الا ريثما يتولى  
البطريركية رجل من اتباع امراء الغرب \* وهذه الدعوى زعم اسحاق انه ابعد

(١) ابن واصل : مفتي الكروب ج ٢ ص ٣٢٠ - ابوشامه : الروضتين ج ٢ ص ١٧٧

(٢) Grousset: op. cit. Tome III. P. 12, 13

(٣) ابوشامه : الروضتين ج ٢ ص ١٧٧

عن شخصه خطر اللاتين ، ولا سيما بعد أن استقرت في القسطنطينية الخطيئة للخليفة العباسي ، ووفقا للقاضي الفاضل رفض صلاح الدين آخر الأمر ، كل طلبات البيزنطيين ، وقد أوضح القاضي الفاضل أن الامبراطور البيزنطي سبق أن طلب من صلاح الدين أن يحصل له الاشراف على بيت المقدس أو يشترك معه في هجمته على قونيه (١) وعلى الرغم من أن الامبراطور شرع من جديد في أن التماس حلفاء في الغرب ، بسبب ازدياد قوة هتري السادس الهوهنشناو فسب فانه لم ييأس ابدا من ان صلاح الدين سوف يوفى بوعده (٢) . ففي ١٥ مايو ١١٩٢ ، وصل الى بيت المقدس رسول من القسطنطينية ، وبعد يومين استقبله صلاح الدين ولم تكن طلباته الا تكرارا لما ورد من نصوص في المعاهدة التي جرى الزعم بوجودها فعلا ، واشتملت هذه النصوص على المطالب المتعلقة بالصليب المقدس ( قطعة من الصليب ) الذي استولى عليه صلاح الدين ، وأملك الكنائس الارثوذكسية في بيت المقدس ( التي فكر صلاح الدين في أن يتنازل عنها لللاتين ثمنا لرحيل وتشرد قلب الاسد ) ، واجراء مخالفة دفاعية هجومية بين اندولتين ثم القيام بحملة بحرية مشتركة ضد قبرص ، وعلى الرغم من أن الزعم بأن صلاح الدين رفض هذه الشروط ، وضح انه اعطى الرسول قطعة من الصليب المقدس ، فانه انقذ رسولا الى القسطنطينية ، لمراجعة الشروط سنة ١١٩٢

Runciman: op. cit. vol III. P. 29.

(١)

Grousset: op. cit. II. P. 748.

(٢)



أى فى العام الذى سبق وفاته .

وشير المقرئى الى ذلك فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ فيقول : " وفيها  
قدم رسول مملك القسطنطينية يطلب صليب الصليوت ، فاحضر من القدس وكسان  
مرصعا بالجوهير ، وسلم اليه على أن يمد ثمر جبيل من الفرنج ، وتوجه  
الامير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك (١) .

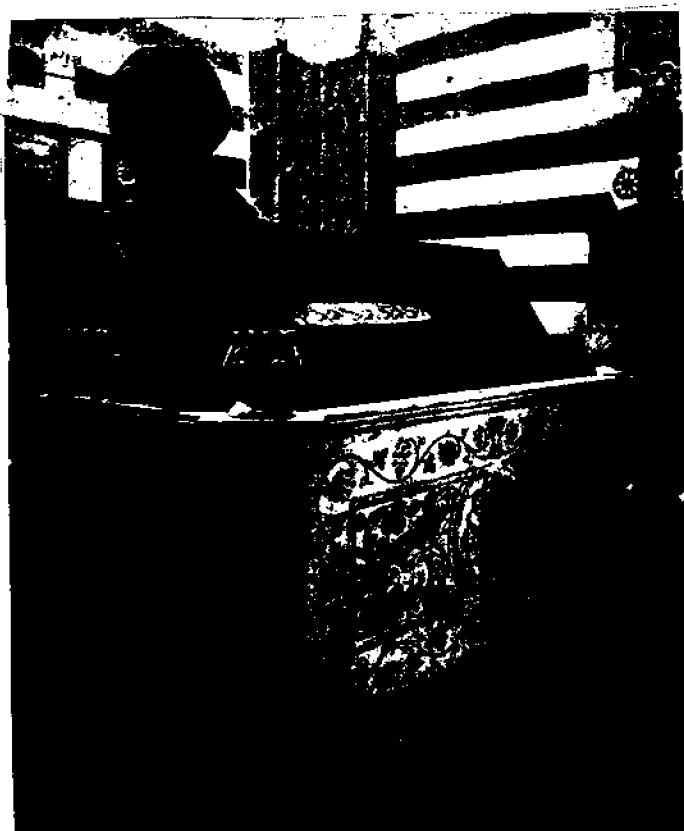
وأرسل صلاح الدين مع سفيره ، ما جرت العادة به ، من الهدايا  
القيمة : ومنها الخيول ، وحيوانات برية وأليفه ، وسرى الخيل المطهمة  
بالتحف والآلى (٢) . وفى اواخر الصيف وفى مستهل الخريف ارتحل السفيران  
الميزنطى والايوس الى القسطنطينية على سفينة بندقية ، يمتلكها احد الافراد  
اسمه بوردانو . وحدث أن التقت السفينة بالقرب من جزيرة

رودس بأسطول للقرصان الجنوبيين والبيازنة ، بقيادة  
الذى جعل من نفسه مصدر رعب للمنطقة . فحسب استباحة السفينة البندقية ،  
وتعرض للموت رسولا اسحاق وصلاح الدين ، كما استولى على قطعة انصليب المقدس  
أحد البيازنة ، واسمه فورتي . فحطها الى حصن البيازنة فى بونيفاكسيو  
على ساحل جزيرة فورسييه ، حيث استولى عليها

سنة ١١٩٥ م أحد الجنوبيين ، فأضافها الى المقدسات الدينية المحفوظة

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٢٠

(٢)



## بالمدينة (١) .

وفي نوفمبر سنة ١١٩٢ ، رفع اسحاق الشكوى الى جنوه و———  
 عن هذا الحادث ، وغيره من اعمال القرصنة ، ويدو أنه حصل من جنوه  
 على تعويض عما تعرض له من خسائر مالية . على أن علاقات الامبراطورية  
 البيزنطية بصلاح الدين انتهت عند هذا الحادث ، اذ اتخذ صلاح الدين  
 في كفاية اسحاق الحربية ، بينما ادرك اسحاق أن صلاح الدين يبلغ من  
 البعد عنه ما لم يتيسر له أن يحويه من اللاتين (٢) .

ولما مات صلاح الدين ١١٩٣ ، لجأ الامبراطور اسحاق الى تغيير سياسته  
 فمقد محالقات مع جنوه ويزا ، والبابا ، والنورمان في صقلية ، وكان يأمل من  
 ورائها ، أنها ترحبه من ارتكائه السابق على المسلمين (٣) ، والخلاصة ان الفترة  
 الواقعة بين سنة ١١٨٥ و ١١٩٢ كان التحالف فيها مع صلاح الدين ، يعتبر  
 حجر الزاوية في سياسة بيزنطة الخارجية . اذ أن الامبراطورية البيزنطية  
 ارتكبت الى قوة المسلمين ، في سوريا ومصر ، لمواجهة ما يكتفه لها من المداء  
 النورمان ، والبيازنه ، والجنجويون ، والامبراطور الالمانى والبابا والواقس  
 أن اسحاق انجيلوس بصفة خاصة ، استمد من هذا التحالف من الشعوب بالثقة  
 والاطمئنان ما ادى آخر الامر الى وقوعه في مشاكل عديدة اذ أن عداؤه للامبراطور  
 بربروسه نشأ اساسا من هذه المسألة ، فكيفما يفسى بما التزم

Runciman: op. cit. vol III. P. 63

(١)

(٢)

Runciman: op. cit. vol III. P. 65

(٣) اسد رستم : الروم ص ١٧٢

به في المعاهدة ، كان لزاما عليه أن يقاوم كل جيش صليبي يجتاز اراضيه  
وما كان يأمله من جزاء ، مقابل ذلك ، لم تكن سوى الاهداف التي تطلع  
اسحاق وآل كومنين الاول لتحقيقها ، وهي استعادة قبرص واسترجاع الاراضي  
المقدسة (١) ، واعادة حدود آسيا الصغرى الى ماكانت عليه في القرن الماشر  
الميلادي ، وتوتب على فشل التحالف مع صلاح الدين ، ان تغيرت السياسة  
نهائيا ، واتخذت صورة التقارب مع الدول الصغيرة في الغرب لمواجهة  
اطماع الامبراطور هنري السادس ، التي اخذت في الازدياد والنمو (٢) .

كان للتحالف البيزنطي الاسلامي اثر كبير في مجرى الاحداث بالشام .  
من ذلك انها عجلت باستسلام بيت المقدس ، على الرغم من ان احوال المدينة  
بلغت من السوء ما جعلها عاجزة عن الصمود لقوة المسلمين المتزايدة . ولو  
ان حملة بروسه وصلت فعلا الى الاراضي المقدسة ، بكامل قوتها ، وجسود  
نظامها وتدريبها ، لتغير الموقف ، غير ان تدميرها لم يكن بحال من الاحوال  
من اعمال اسحاق . فان اقوى ما قام به من هجمات لم تؤثر فيها ، فقد عانى  
الصليبيون من المناخ والطرق مايزيد كثيرا على ماعانوه من الامبراطور . ولم  
يحصل الامبراطور من وراء التحالف مع صلاح الدين الا على مزايا مادية ضئيلة ،  
فعلى الرغم من انه صار في حوزة الارثوذكس ، بعض كنائس الارض المقدسة ،

Cibbons: op. cit. Vol. VI P. 406

(١)

Ostrogorsky: op. cit. P. 368

(٢)

فان قبرص ، التي استولى عليها اللاتين ، أصبحت قبيل وفاته خليفة لـه ،  
 وقيمت قونية في أيدي المسلمين . ولم تغير المحالفة مع صلاح الدين ، برغم  
 ماكان لها من اثر على وضع الامبراطورية بالشرق الا شديدا ضئيلا (١) . أما  
 النتائج السيئة للتحالف مع المسلمين على سمعة البيزنطيين ، فاستمرت زمنا  
 طويلا . فالواضح أن اللاتين في سوريا ازعجهم هذا الترابط ، وسعوا إلى  
 التشهير به في سائر أنحاء أوروبا . إذ أن فردريك بربروسه ، أثناء اجتيازه  
 ترانيا ، بعث إلى ابنه هنري يطلب إليه أن يحث البابا على أن يدعو لحرب  
 صليبية ضد البيزنطيين . وما حدث من حرص ريتشارد قلب الأسد وفيليب  
 أغسطس والحملات الصليبية المتأخرة ، على اتخاذ الطريق البحري ، كان  
 شديد الارتباط بعلاقات اسحاق مع المسلمين (٢) ، ولا شك أن ذكرى هذه  
 السياسة تأثر بها رجال الحملة الصليبية الرابعة ، إذ جرى استخدامها  
 للتشهير بالامبراطورية الشرقية ( البيزنطية ) . فطوال القرن الثاني عشر  
 في زمن الحملة الصليبية ، سنة ١١٠١ وفي أثناء النزال بين بوهمند وسين  
 الكسيريوس كرمين ، وبعد الحملة الصليبية الثانية ، جرى تحطيم كل ما لصق  
 بالبيزنطيين من القهم ، التي تشير إلى مآلاتهم للمسلمين ، أما في هذا

---

Gibbon: op. cit. vol VI P. 374

(١)

Runciman: op. cit. vol III P. 13, 14

(٢)

المثال الأخير ( التحالف بين اسحاق صلاح الدين ) فان هذه التهم لقيست  
 التهريب ، اذ أن المحالفة أدت الى التداعى الظاهرى فى مكانة الامبراطورية  
 والتقدير الذاتى لها . فمن ناحية النظريات السياسية قلما اعتوت بيزنطة بدولة  
 انها تعد لها منذ زمن الساسانيين لأن الامبراطورية الرومانية ليست الا اداة -  
 اختارها الله ، لنشر المسيحية فى العالم وادارته ، وما من دولة تستطيع  
 أن تقترب منها الا على أنها خادم تابع ذليل . ولما حاول الاباطرة البيزنطيون  
 التماس صداقة صلاح الدين ، سبوا الى ان يبقوا على هذه الصورة ، مظلوما  
 حدث حينما طلب اندرونيكوس من صلاح الدين أن يمد له الولاء ، وحينما  
 أرسل اسحاق تاجا ، يقترن بتصريح ينطوى على فكرة أن بيزنطة  
 لا زالت تحتفظ بحق منح الالقاب الشريفة أو منحها . ولما تجاهل صلاح الدين  
 هذه الامور أو انكرها ، فان واقع الموقف وحقيقته لم تلبث ان الزم بيزنطة  
 بأن تتخذ وضع التابع الذليل ، نظرا لأنها اضعف شأنا ، وقيل اسحاق  
 كرها ما أنزله الصليبيون والجرمان من الخراب ياراضيه ، لما كان يأمله من ان -  
 صلاح الدين سوف يكافئه على انه خدمه باخلاص (١) . لم تجد كل محاولة  
 للتفريق بين دعاوى البيزنطيين وواقع الامور السياسية ، فدعوى السيطرة جوى  
 اغتيالها ، حينما تضاعف كبرياء اندرونيكوس ، ولهم ادل على ذلك من أن المسجون  
 البيزنطى نكتامس لم يشير الى التحالف مع صلاح الدين ، على الرغم من أنه كان من

كبار موظفي الدولة البيزنطية ، ولابد انه وقف على كل ما يعتبر مصروفا بصفة عامة  
في الحرب .

وهكذا فشل التحالف بين البيزنطيين والمسلمين ، ضد العدو الدخيل  
( اللاتين ) . اذ كان صلاح الدين من البعد ما يجعل من المسير عليه ان يحس  
اسحاق من اعدائه ، ولم تكن احوال البيزنطيين تسمح لهم بابداء مقارعة  
عنيفة للصليبيين . أما تقدير المسلمين لقيمة هذا التحالف فظهر في صراحة  
في رسالة القاضي الفاضل التي حررها حينما كان جاي ملك قبرص حليفا لصلاح  
الدين ، بقوله : " ينهض الایجعل مفاوضات مع حاكم القسطنطينية ، فيما  
يتعلق بالمساعدة التي لابد ان تبذلها له لمهاجمة قبرص ، لأننا لم نعد  
بهذه المساعدة الا حينما كانت البلاد ( قبرص ) في ايدى اعدائنا ، والواقع  
ان الملك اليوناني لم ينجح مطلقا في حملاته ومعاركه ولم نجبن شيئا من صداقته ،  
ولن تخيفنا عداوته " (١) .

وتقدير اسحاق لقيمة هذا التحالف اشد عموما اذ " بيدو لامبراطوريتي  
ان النتيجة الوحيدة التي نجت عن صداقتي لك ، انها جرت على  
كراهية الفرنج وجميع اجناسهم " (٢) وما حدث من التحالف مع صلاح الدين

(١) ابوشامة : الموضتين ج ٢ ص ١٢٨

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢١٠

(١٤٣)

زاد في كراهية الغرب للبيزنطيين ، والتي بلغت ذروتها في تحول الحملة  
الصليبية الرابعة ، واستيلاء اللاتين على القسطنطينية ، وما حدث من قسول  
اسحاق ، القيام بدور ثانوي في محالفة هيا الطوق مرة أخرى ، السبي  
هبوط مكانة امبراطورية كانت عظيمة ، فصارت دولة صفوى في شرق البحر  
المتوسط .



( الفصل الخامس )

بيزنطة وخلفاء صلاح الدين

١١٩٣ - ١٢٥٠ م



الدولة الايوبية بعد صلاح الدين - العلاقات بين بيزنطية  
 وخلفاء صلاح الدين - الحملة الصليبية الرابعة وتحولها  
 الى القسطنطينية - سقوط القسطنطينية - انقسام  
 الامبراطورية البيزنطية - امبراطورية نيقية البيزنطية - امبراطورية  
 طرابزون البيزنطية والسلاجقة - الامبراطورية اللاتينية  
 بالقسطنطينية - سياسة الايوبيين مع السلاجقة - الايوبيون  
 والحملة الصليبية السابعة .

---

## الدولة الايوبية بعد صلاح الدين :

حينما مات صلاح الدين في ٤ مارس ١١٩٢ ، تمزقت الوحدة التي فرضها في امبراطوريته بفضل قوة شخصيته وسلطانه ، واضحت كل الاقاليم باستثناء الكرك ، مستقلة . وترتب على ذلك أن صار لبلاد الشام بناء سياسي من نوع خاص اذ اصابتها من الانقسام ، ما اتصف به قبل زمن السلاجقة . وما حدث من الاضطرابات التي ولدتها المنازعات في البيت الايوبي ، وأطماع بعض افراده وحرص اميرى حلب ودمشق على المحافظة على استقلالها من أطماع اقاليمهما الاقحوا في مصر والجزيرة ، كل ذلك جعل هذه المرحلة من تاريخ الايوبيين تنقسم في الظاهر بالقوى والاضطراب . على أن ما يجعل لهذه المرحلة شىء من التماسك ما اتصفت به الاسرة الايوبية فعلا من الترابط ، الذي زاده قوة ومثانة ، ما حدث من المصاهرات التي انعقدت بين افراد الاسرة ، وما كان للإدارة التي تنقسم بالروح الديني من تأثير قوى ، بفضل تمسكها بتقاليد نور الدين وصلاح الدين (١) .

ومن السمة البارزة في السياسة الايوبية - المحافظة على علاقات

المصالحة والمهادنة مع امارات الفرنج في الشام ، ولم يحدث الا قليلا  
 أن اتخذ الايوبيون خطة مهاجمة الفرنج (١) .

ومن عوامل الاستقرار ايضا ما كان يحدث في كل جيل من ظهور زعيم  
 قوى في الاسرة ، كان يظفر في الوقت المناسب بفرض سلطانه على سائر الامراء  
 الآخرين على الرغم مما تعرض له في الاجيال المتتالية من مقاومة عنيفة .  
 ففي الجيل الاول كان العادل ايوب شقيق صلاح الدين هو المسئول الاول عن  
 كيان الايوبيين . والمعروف أن العادل كان أعظم مستشاري صلاح الدين ،  
 وكان اقوى افراد الاسرة ، بعد صلاح الدين وأكثرهم كفاية . فلم تكن مكانته  
 فحسب راجعة الى مناهضة ابناء صلاح الدين صفار السن ، والذي  
 انتقروا الى الخبرة والتجربة ، بل لدرائته التامة بأحوال الامارات الداخلية ،  
 نظرا لأنه تولى ادارة مصر و حلب والكرك في أزمنة مختلفة (٢) .

وفي السنوات الستة التالية لوفاة صلاح الدين أمد العادل سلطانه  
 الى الشام ومصر وحرص على توطيده . ولما اشتد به العادل من الكراهية

(١) ابن راضل : مفتي الكروب ج ٢ ص ٣٢٨  
 Setton: op. cit. vol II P. 695

(٢) ابوالفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص ١١٠

للحرب جعل من الدبلوماسية والتأمر بهم الأسلحة عنده ، وما وقع من المنازعات والمخاضات بين أولاد صلاح الدين هياً له أوسع سبيل لاستخدامهما (١) .

وفي ٤ أغسطس سنة ١٢٠٠ صار المادل سلطاناً على مصر والشام واعترف بسلطنته سائر الأمراء في الأقاليم ما عدا الظاهر عادي أمير حلب (٢) إلا أنه لم يسمعه إلا الاعتراف بسلطنة المادل سنة ١٢٠٢ م بعد أن هددته بمحاصرة حلب (٣) . وما حدث من إخضاع أملاك الفرنج المتاخمة ، لا سيما في الجنوب ، أبعدت كل خطر حقيقي عن قواتهم المحلية . والخطر الوحيد الذي يضيح الخوف منه ، هو احتمال قدوم حملة صليبية جديدة من جهة البحر . وكانت مصر أهم ما يشغل بال المادل ، شأنه في ذلك شأن صلاح الدين . وظلّت الحساكر على أهبة الاستعداد في مصر ، وإن خشى ما قد يقوم به الصليبيون من غارات جديدة ، تنازل للصليبيين عن يافا والناصرية سنة ١٢٠٤ وعقد معاهدات تجارية مع إيطاليا .

العلاقة بين بيزنطة وخلقاء صلاح الدين :

الواقع أن للأحوال السياسية بأوروبا الغربية تأثيراً كبيراً على اتجاهات

Setton: op. cit. vol. II. P. 695

(١)

(٢) ابوشامه : الروضتين ج ٢ ص ٢٣٧

المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٤٩

(٣) المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٥٩

السياسة البيزنطية ، ومن الدليل على ذلك أن ماجرى من اقدام اسيرة انجيلوس على التحالف مع صلاح الدين وانتهاج سياسة موالية للشرق ، اثار المتاعب لبيزنطية . ذلك أن اباطرتهم لم يكن لهم من الطبايح والخلال ما انصف به اباطرة اسيرة كومنين . فلم تكن سياستهم موالية للاتين ، بل ان اسحق انجيلوس ارسل بحد وفاة صلاح الدين الى العزيز عثمان سفارات وكها دلت على استمرار المودة وأشار فيها الى اهتمامه بأمر الشعائر الاسلامية أخذت يوصية خيرا بالروم في الدولة الايوبية (١) . واذ أضف بيزنطة ما نشب بداخلها من حروب داخلية وحملاتها الفاشلة في البلقان ، لم يعد بوسعها أن تتاهض اطماع بيت هوهشتاوفن (٢) . وازدياد تدهور وضع الصليبيين في سوريا وفلسطين ، والفشل النسبي الذي حاق بالحملة الصليبية الثالثة ، اشدت الاهتمام بالامبراطورية البيزنطية (٣) . فما جرى من مفاوضات سياسية ، وما وقع من منافسات تجارية ، وما حدث من الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية كل ذلك خلق ضمنا جعل اشتراك الغرب في قيام بهجوم على الامبراطورية البيزنطية أمرا وشيك الوقوع . فلم تكن الحرب الصليبية الثالثة الا ستارا لاطماع فردريك بربروسه الذي خطيب لابنه وريثة مملكة صقلية . تمهيدا لاتحاد

---

(١) المقرئى : الملوك ج ١ ص ١٢٩

Carb. Med. Hist. IV. P. 441

(٢)

Setton: op. cit. Vol II P. 146-147

(٣)

المانيا وصقلية تحت حكم اسرة واحدة (١) . وحينما تهيأ سنة ١١٨٨ م للخروج  
اتصل بالامبراطور البيزنطى ، كيما ييسر له اجتياز بلاده ، كما وطد علاقته  
بسلطان سلاجقة الروم فى قونية ، وتحالف مع بلغاريا ، فى عداوتها  
لبيزنطة ، ولما لم يكن بوسع اسحاق انجيلوس أن يساند الحركة الصليبية  
تجهز فردريك ببروسه لمهاجمة اسحاك الذى تجرد من الكياسة الدبلوماسية ،  
وأساء استخدام الموقف . وكتب فردريك الى ابنه هنسرى بأن يمسك  
بأسطول لمهاجمة القسطنطينية من جهة البحر . فلم يسمع الامبراطور  
اسحاق انجيلوس الا أن يقبل شروط فردريك ، ووقع معاهدة ادرنة  
١١٩٠ م ، وهذا توقع فردريك ببروسه ما وقع سنة ١٢٢٤ م بين  
احداه (٢) .

اعد هنسرى السادس من فردريك ببروسه حملة صليبية جديدة  
لفتح القسطنطينية والاستيلاء على الامبراطورية البيزنطية ، قبل المضى

---

Setton: op. cit. Vol II. P. 147 (١)

Setton: op. cit. vol II. P. 148 (٢)

Canb. Med. Hist vol IV . P. 411 (٣)

الى سوريا وفلسطين ، ولم يمسح الامبراطور البيزنطي الكيسوس الثالث انجيلوس  
( ١١٩٥ - ١٢٠٣ ) الا العبادرة بتلبية مطالب هنرى ، التى اقتضت  
تأدية اثارها باهظة . ومع ذلك فان هنرى حرص على توطيد مركزه فانتص اليه  
ملكاً قبرص واورمقيا الصغرى .

ولم ينته الخطر الا بوفاة هنرى الفجائية سنة ١١٩٧ .<sup>(١)</sup> على أن القسوات  
الصليبية لم يوجهها للافاة من متاعب بيزنطة سوى البندقية ومطاميرها . فمما  
كان من تمزق الامبراطورية البيزنطية وانقسامها ، هيا الفرصة لتفوق البندقية  
البحرى وللقيام بهذا العمل ، فى القرن الثالث عشر<sup>(٢)</sup> . فلم تكن الحملة  
الرابعة مغارة للدوائر الدبلوماسية فى الغرب ، اذ أن الاحوال الداخلية  
لالامبراطورية البيزنطية كانت شديدة الملائمة لهذا الهجوم ، فقد ازدادت -  
الامبراطورية ضعفا فى عهد آل انجيلوس ولا سيما فى عهد اسحاق الثاني  
انهيارت فمعهده الامبراطورية البيزنطية ، وفقدت توازنها الاقتصادى ، ودب الفساد  
فى جهازها الحكومى ، وشنت الثورة فى بعض النواحي ولا سيما فى  
بلغاريا<sup>(٣)</sup> واستغل الكيسوس انجيلوس شقيق الامبراطور هذه الفرصة  
فاستولى على المشرق بعد أن عزل اسحاق واعتقل ابنه

Setton: op. cit. vol II P. 149 (١)

Carib. Med. Hist. vol IV. P. 411 (٢)

Grousset: op. cit. Tome . III P. 17 (٣)



الذى استطاع الفرار الى زق شقيقته فليب في ألمانيا (١).

والمعروف أن الحملة الصليبية الرابعة كانت تهدف الى الاستيلاء على بيت المقدس ومصر (٢) ، ولكن ما تعرضت له مصالح البندقية التجارية بالقسطنطينية من ماضية ، آثار مخاوف البنادقة ، وادركت انه لا سبيل الى المحافظة على امتيازاتها الا بالاسهام فى القضاء على حكومة القسطنطينية ، فحرصت على تحويل اتجاها الحملة عن مصر الى بيزنطة (٣) ، وهذا فضلا عن المداخلة الشخصية التى يمكنه الذى كان يتولى امر البندقية ، كما

أن للبندقية علاقات تجارية واسعة مع مصر ، من مصلحتهم المحافظة عليها بـل ان البنادقة عقدوا معاهدة ، مع السلطان المادل ، وأكد دوح البندقية أنه لا ينسوى القيام بأى عمل او الاشتراك فى أى حملة موجهة الى مصر (٤) ، كما أن كراهية البندقية للإمبراطور البيزنطى الكسيموس الثالث ، بلغت من المراتة انها اعتقدت انه لا بد لها ان تنفرد بتجارة القسطنطينية ، يضاف الى ذلك ما أحسس

Runciman: op. cit. vol III. P. 111 (١)

Setton: op. cit. vol II. P. 151 (٢)

(٣) كلالوى (زهرة) : فتح القسطنطينية ص ٤٠

(٤) ارسل المادل رسل الى البندقية فأكد له رفضهم الاشتراك فى أى حملة تقصد مصر.

Runciman: op. cit. III. P. 112.

به البنادقة من تزايد نفوذ جنوة وبيزا في بيزنطة (١) .

ومهما يكن من أمر فقد تمهدت البندقية بنقل الحملة ومدها بالمسوق  
في مقابل ٨٥ ألف مارك ونصف مايجرى فتحه من البلاد (٢) ، ولكن عجز  
الصليبيون عن دفع القسط الاول بسبب وفاة كونت شمانيا شجاع البندقية على  
الميل لتحويل اتجاه الحملة من مصر الى القسطنطينية للاستيلاء على زارا (٣) ،  
رغم اصدار البابا قرار الحرمان لكل من يستولى على ارض مسيحية ، وتقدير  
استدعاء الكيسوس انجيلوس والذي كان يقيم عند زوج شقيقته فيليب امبراطور  
المانيا ليكتسب الهجوم صفة شرعية (٤) ، واعتم رجال الحملة فرصة قلة الاقوات  
وطلبوا ان تكون وجهة الحملة القسطنطينية ولقى هذا الطلب استجابة من موثفرات  
قائد الحملة ومن عدد من الصليبيين في حين عارضه آخرون ، رأى البعض  
انهم لن يستطيعوا المضي الى القاهرة أو الاسكندرية وبلاد الشام نظرا لفساد  
ما معهم من وجود ذخيرة او اموال بعد ان انفقوا كل ما عندهم بسبب تأخيرهم ،  
فضلا عما يلزمهم عن ثراء بيزنطة الذي بهر الفريبيين ، وشير روبرت كلاري أن فريقا  
عارض فكسرة المسير الى القسطنطينية قائملا ( ماذا سنعمل فليس

(١) Runciman: op. cit. vol III. P. 113.

(٢) كلاري : فتح القسطنطينية ص ٤٥

(٣) Gibbon: op. cit. vol VI P. 419

(٤) Ostrogorsky: op. cit. P. 376

القسطنطينية ، لقد رسنا خطتنا على أن نذهب الى القاهرة أو الاسكندرية خلال سنة واحدة ، وها قد انقضى من المام نصفه <sup>(١)</sup> ولكن اراء اغراء دوق البندقية وعوده للصليبيين بأنه سيمنحهم بمجد استيلائهم على القسطنطينية من السير الى بيت المقدس وحصر ، تقرر عقد اتفاق بينهم وبين الكيسوس تضمن تمهيد الامبراطور المطالب بعرش الامبراطورية بدفع ٢٠٠ الف مارك ، واعلان تجميع الكيسة الشرقية للخرية ، وارسال عشرة آلاف جندي بيزنطى معهم لمحاربة المسلمين واستخلاص بيت القدس ، كما تكفل بشؤون جميع من يفادرون القسطنطينية الى الاراضى المقدسة ، وذلك فى مقابل تنصيبه على عرش الامبراطورية .

انسحب بعض القادة احتجاجا على انحراف الحملة عن غرضها الاساسى واتجاهها لمحاربة بلد مسيحى وانفصلوا عنها واتجهوا الى بيت المقدس ومن هؤلاء ريجنالد وسيرال ولكنهم كانوا قلة <sup>(٢)</sup> .

مضت الحملة لمحاصرة القسطنطينية وطلبت من الكيسوس التسليم بحقوق اسحق ولكن الكيسوس رفض ، ولم يكن بالشخص القدير ، ولم يكن جيش الامبراطورية قد استعاد قوته بعد هزيمة مانويل واصبح غالبية موزقه فلم يصمدوا وهرب الامبراطور وسقطت القسطنطينية وتم تتويج الكيسوس واباء انجيلسوس فى مقابل وفائهما بما التزما به ، وحصلوا من الكيسوس على مائة الف مارك اقتسموها

(١) كلارى : فتح القسطنطينية ص ٥٤

منافسة ، وطلب منهم الكسوس فتح بقية الامبراطورية مقابل مكافأة مالية ضخمة ،  
 وقات بعض الصليبيين فسادا في المدينة فأحرق بعض الفرنسيين الجامع المقام  
 في القسطنطينية الذي تبولت بين صلاح الدين واندرونيكس واسحق الرسسائل  
 بشأنه ، واستمر الصليبيون والبنادقة في مطالبة الكسوس بالمال ، وكان الامبراطور  
 استنفذ الاموال في استرداد المدينة وطلب من الدوق الرحيل بينما ظل السدج  
 يتهدده ، وذكره بما له عليه من الايادي .

أخذ الامبراطور يماطل في دفع تعهداته ، بينما اعتبر اليونانيون الامبراطور  
 صديقا للصليبيين الممتدين ، فقام عليه جماعة من اليونانيين وقتلوه ، ولم  
 يمد له الصليبيون يد العون . وعاد الصليبيون الى محاصرة القسطنطينية  
 وسارعت البندقية الى عقد اتفاقية قبل سقوط المدينة ، كان من شروطها الحصول  
 على ثلاث ارباع الغنيمة والاحتفاظ بجميع الامتيازات التجارية وأن ينتخب  
 الامبراطور مجلس من الفرنسيين والبنادقة ، والحصول على كنوز اياصوفيا وانتخاب  
 البطريرك منهم (١) .

سمى البيزنطيون ( في القسطنطينية ) الى الاستجداء بأعدائهم القدامى  
 السلاجقة فلم يمد السلطان الحون الى أعدائه القدامى بل اعتبرها فرصة  
 سانحة لاذلالهم (٢) .

(١) ديل : البندقية ص ١٣٦

(٢) ابن الاثير / الكامل ج ١٢ ، ص ٧٩ - ٨٠



### عمر اهل القسطنطينية التاج على ثيودور لاسكارين

فرفضه لعله بعدم جدوى المقاومة وفر الى نيقية ، وذلك سقطت عاصمة الحضارة الشرقية التي ظلت تسع قرون عاصمة للحضارة المسيحية ومركزا للاشعاع الحضارى ، وقام الفرنسيون والفلمنكيون والبنادقة باغتصاب كل ما وجدوه من ثروات ولم تترك لهم من عيشهم حتى كنيسة اياصوفيا . (١)

وحرص المؤرخون المسلمون على أن يشرحوا أهمية سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين سنة ١٢٠٤ ، فشرح ابن الاثير الى ما أجراه اللاتين من المذابح في اليونانيين ( الروم ) ، فأصبح الروم كلهم مابين قتيل أو فقير لا يملك شيئا . . . . . وخرج الى الفرنج جماعة من القساوسة والاساقفة والرهبان وبأيديهم الانجيل والصليب ، يتوسلون بها الى الفرنج ليهبوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوه (٢) ، كما يروى ابوشامة : " ان الفرنج باعوا كثيرا مما نهبوه وغنموه من الآلات والرخام الى المسلمين بمصر والشام (٣) .

حصل البنادقة على أخصب الاراضى وأفضل الموانى وأهم النقاط العسكرية ، فأصبحوا يتحكمون في الطرق البحرية الاساسية التي تصل البندقية بالقسطنطينية كما انهم كفلوا لأنفسهم وضعا ممتازا بالامبراطورية فاستولوا في البحر الايجي

Runciman: op. cit. vol III, P. 125

Setton: op. cit. vol II, P. 611

(١).

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٨٠

(٣) ابوشامة : الذيل على الروضتين ص ١١١

على ابيروس وكورفو وكيفالونيا ، فضلا عن شبه جزيرة المروة ، والجزائر الواقعة  
جنوب بحر الاضيل وغربه ، وصار لهم على الساحل الاوربي للدردنيل وحسب  
مرمره ، جاليلس ، وهرقليه ثم ادرنه في تراقيا ، وانتزعوا جزيرة كريت  
من يونانيان دي مونثفات (١) .

ولا شك أن للحملة الصليبية الرابعة نتائج بالغة الاهمية في علاقات الشرق  
الاسلامى مع بيزنطة والغرب المسيحى (٢) .

فالدولة البيزنطية التى كانت تعتبر معقل المسيحية فى الشرق ، والى  
طالما اثارى العالم المسيحى لقتال المسلمين ، لم تلبث أن ادركت ان ما تعرضت  
له من خطر من قبلهم يفوق ما صادفته من قبل المسلمين ، حتى أثر البيزنطيون  
صداقة أعدائهم القدامى من المسلمين والسلاجقة ، وما حدث سنة ١٢٠٤  
من تفكك بيزنطة وانقسامها الى امارات عديدة كان فى الواقع بداية لتداعىها  
وتدهورها ثم زوالها آخر الامر على ايدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م .

✓ ودل سقوط القسطنطينية سنة ١٢٠٤ فى أيدي اللاتين على زوال عهد  
الروح الصليبية ، وتغلب المصالح الاقتصادية والشخصية والسياسية عن  
الصليبيين فضلا عن حرمان الصليبيين بالشام من قوة كانت دائما

(١) ديل : البندقية ص ٢٤

Saunders: J A History of Medieval islam P. 178

تساندهم (١) على أن اللاتين في الشرق فرحوا حينما أصبحت القسطنطينية بأيدي اللاتين ، وهذا لا تخضع الحملات الصليبية لتحكم الإباطرة البيزنطيين ومشير ابن الاثير الى أهمية سقوط القسطنطينية والى انه خرج في تلك السنة كثير من الفرنج في البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك ، لتملكهم القسطنطينية (٢) .

### انقسام الامبراطورية البيزنطية :

كان للحملة الصليبية الرابعة وقيام الملكة اللاتينية بالقسطنطينية ( ١٢٠٤ - ١٢٦١ ) أهمية كبيرة في تطور العلاقات بين الايمبيين والبيزنطيين ، ولا سيما بعد أن دخل في السياسة العالمية ، عناصر جديدة ، واختفت عوامل كانت مصروقة بتأثيرها في مجرى الاحداث في الشرق الاوسط ، ومن هذه العوامل أن بيزنطة لم تعد دولة متحدة مثلما كانت من قبل اذ اختفى ما كان يحسب بالامبراطورية البيزنطية ، وحل مكانها دولات اتخذت اسما مختلفا ، ذلك انه ترتب على استيلاء الصليبيين على القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ ، وقام على انقاضها امارات فرنجية ( لاتينية ) وامارات يونانية (٣) .

---

Runciman: op. cit. vol III P. 120

(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٨١

Gibbon: op. cit. vol. VI P. 452

(٣)

Grousset: op. cit. Tome III P. 175



فشملت امارات القرنج ، الامبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية وسلكسنة  
 سالونيك ، وامارة اخيا في شبه جزيرة المورة ، ودوقية اثينا وطيبه في وسط  
 بلاد اليونان ، (وامتد سلطان البنادقة الى الجزائر البيزنطية في بحر ايجه  
 وبحر ايونيان وجزيرة كريت ، وبعض المواضع الساحلية والداخلية (١) . ومن  
 نتائج سقوط القسطنطينية في ايدي الصليبيين ايضا أن صار للبندقية مقابل  
 اشتراكها في الحملة الرابعة ، ثلاث اثمان القسطنطينية ، وكان هذا القدر  
 سببا فيما اتخذه الدوح من لقب لنفسه ، كما أن بطريرك القسطنطينية صار  
 يختار من البنادقة . واكتملت سيطرة البندقية التجارية على البحر المتوسط  
 بما صار لها من سيادة على اسواق بيزنطة ، وعلى الطرق البحرية ولا سيما  
 التي تربط بينها وبين مصر ، بمد استيلائها على مودون وكورون ، وشرائها  
 جزيرة كريت والاستيلاء على يوميا وجاليبولي فأضحى للبنادقة امبراطورية تجارية  
 استعمارية في البحر المتوسط (٢) .

ومن الدليل على ما للبنادقة من نفوذ في القسطنطينية أن بلدون آخر  
 امبراطور لاتيني بالقسطنطينية ، جمل ابنه رهونه لدى البنادقة مقابل مبلغ  
 من المال ، كما أفاد البنادقة من المنازعات (٣) الناشئة بين القوى المختلفة

---

Vasiliev: op. cit. P. 566 (١)

Miller: Trebizond & the last Greek Empire P. 116 (٢)

Miller: Essays on the Latin orient P. 99 (٣)  
 Bayna byzantium P 37.

أما الإمارات البيزنطية اليونانية ، فكان منها بآسيا الصغرى ، إمبراطورية  
 نيقية وإمبراطورية طرابزون ، ومنها بشمال بلاد اليونان ، إمارة إبيروس ، ولاشيك  
 أن هذه الإمارات اليونانية كانت أكثر الإمارات اتصالا بالدولة الإسلامية  
 فسي الشرق .

والمعروف أن بلدوين كونت فلاندر أضفى إمبراطورا على القسطنطينية  
 وسيدا على الشطر الأكبر من ترانها . وولى بونيفاس مونفرات حكم سالونيك ، وامشيد  
 سلطانه الى مقدونيا وتساليا . بينما حكم في المورة ولیم شامبلت ، وصار اوتسون  
 دى لاروش سيدا عن أثينا وطيبة <sup>(١)</sup> . وتولى حكم الممالك البيزنطية اليونانية  
 تيسودور الاول لاسكاريس في نيقية والكسيوس الاول كومنينوس في طرابزون ، وميخائيل  
 الاول انجيلوس دوكاس كومنينوس في إبيروس .

يضاف الى هذه الإمارات اللاتينية واليونانية الإمبراطورية البلغارية  
 الثانية التي توالى على حكمها كالوجان ، يوحنا أصن الثاني ، ثم سلطنة  
 السلاجقة في قونية ، وأسهمت هاتان الدولتان في الحياة الدولية المحفدة  
 التي سادت ما قام من إمارات على انقاض الإمبراطورية البيزنطية وتحكمها فيها  
 وما كان من علاقات بينها وبين الغرب المسيحي ، والشرق الإسلامي <sup>(٢)</sup> ، ومن هذه  
 العوامل أيضا ، ما وقع بسين هذه الإمارات في القرن الثالث عشر من مصادمات .

---

Vasiliev: op. cit. P. 506

(١)

Vasiliev: op. cit. P. 506.  
 Diehl: op. cit. P. 139.

(٢)

اذ دأب اليونانيون على مهاجمة الفرنج والترك والبُلغار الذى اعتبروهم دغسلا •  
 وشبت المنازعات ايضا بين المونانيين انفسهم • فما وقع بينهم من اختلاف قومى  
 اضاف الى الحياة عاملا جديدا من عوامل التمزق والتفكك فزاد الحياة اضطرابا  
 ودار القتال بين الفرنج ( اللاتين ) والبُلغار وترب على كل هذه المصائد  
 الحرية • قيام محالفات دولية • غير أنها لم تلبث أن تحطمت (١) •

ولا بد هنا من استعراض الاوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التى  
 امارت الشرق الأوسط • سواء كانت مسيحية أو اسلامية حتى يتسنى دارسنا  
 ما كان من علاقات بين البيزنطيين والايوسين فى هذه المرحلة الممتدة من  
 أوائل القرن الثالث عشر الى سقوط الدولة الاموية سنة ١٢٥٠ • <sup>والظاهر قالموسه</sup> ان العلاقة  
 تكاد تنحصر فى علاقات تلك الدول بدولة السلجوقية فى آسيا الصغرى •

#### امبراطورية نيقية البيزنطية :

المعروف ان مؤسس امبراطورية نيقية البيزنطية هو تيودور لاسكاريس  
 الذى ينتمى الى بيت الانجيليين عن طريق زوجته آنة • ابنة الامبراطور الكسبروس  
 الثالث من جهة • والى بيت كومنين عن طريق الكسبروس الثالث من جهة أخرى •  
 وليس معروفا أصل اسرة الاشاكرا ( لاسكاريس ) المالكة ولا اسم موطن تيودور (٢) •  
 وكل ما هو معروف ان تيودور كان قائدا عسكريا استعمل فى قتال الصليبيين •

Vasiliev: op. cit. P 507, 508

(١)

Runciman: op. cit. vol 3 P. 112

(٢) اشتهر تيودور لاسكاريس بالنسبة للمؤرخين العرب باسم الاشكرى واطلق اللفظ  
 على بقية حكام الاسرة ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٨٠

اتشاء الحملة سنة ١٢٠٤ ، ورشحه رجال الدين اليونانيين بالقسطنطينية ، كما  
 يكون امبراطورا ، بعد فرار الامبراطور الكيسوس ، وكان مورتنوفيلوس غير أنه كان قد  
 هرب الى آسيا الصغرى عقب سقوط القسطنطينية ، ولحقه به ، فرارا من الصليبيين  
 عدد كبير من نبلاء بيزنطة المسكرين والمدنيين ، وبعض كبار رجال الكنيسة ،  
 وغيرهم ممن كرهوا الخضوع للحكم الاجنبى (١) . أما البطريرك اليونانى وهو يوحنا  
 كوماتيروس فلجأ الى بلغاريا ، ولم يلب دعوة تيودور بالقدوم الى نيقية .

وحكم تيودور لاسكليس فى نيقية من سنة ١٢٠٤ حتى سنة ١٢٢٢ ثم تلاه  
 على الحكم صهره زق ابنه ايرين ، يوحنا الثالث دوكاس فاتاتيزس ١٢٢٤ - ١٢٥٤ ،  
 وهما أعظم أباطرة نيقية . وانهمهم شأنا واكتوهم اتصالا بموضوع الرسالة - ثم  
 أعقب يوحنا ابنه تيودور الثانى ١٢٥٤/١٢٥٨ - ثم حفيده يوحنا الرايس  
 (١٢٥٨ - ١٢٦١) وكان صغير السن ، واستطاع خطفه ميخائيل باليولوحس  
 أن يستعيد القسطنطينية من أيدي اللاتين سنة ١٢٦١ (٢) .

والواقع أن وضع الدولة الجديدة فى يثينيا كان بالغ الخطورة . إذ هددتها  
 من جهة الشرق سلطان السلاجقة فى قونية الذى ملك كل الاجزاء الداخلية من آسيا  
 الصغرى ، وجزء من ساحل البحر الاسود شمالها . وتموضت دولة نيقية للضغط  
 من الغرب ، من قبل الامبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية ، التى جعلت من أهدافها  
 الاساسية تدمير دولة نيقية الناشئة (٣) . وكان لزاما على تيودور لاسكاريس ، الذى

Setton: op. cit. vol II P. 201

(١)

Diehl: op. cit. P. 139

(٢)

استمر حكمه أربع سنوات ، والذي اتخذ لقب طاغية لا امبراطور ،  
 أن يتحمل عبثا ثقيلا ، إذ سادت الفوضى في أنحاء بلاده ، وظهر في الدولة  
 حكام عديدون مستقلون مناوئون ، وأغلقت نيقية أبوابها على تيودور (١) .

واندلج عصيان اليونانيين والبلغار في شبه جزيرة البلقان ، واضطر الصليبيون  
 ( اللاتين ) أن يطلبوا من أوروبا الحساكر التي كانت موجهة الى آسيا الصغرى لقتال  
 تيودور لاسكاريس . وحلت بالصليبيين هزيمة ساحقة في أدرنه سنة ١٢٠٥ هلك فيها  
 زهرة الفرسان الغربيين ووقع بلدون في أسر البلغار ، حيث لقي مصرعه (٢) .

ازداد مركز الصليبيين حرجا . بعد معركة أدرنه ، فتحطمت آمالهم  
 وزالت سيطرتهم على آسيا الصغرى . أما البلغار واليونانيون بالبلقان فلم يتحقق  
 لهم إقامة مملكة يونانية عاصمتها القسطنطينية ، بل انفرط عقد التحالف بينهم  
 ورأى اليونانيون بالبلقان في ملك نيقية البيزنطى محذرا لهم من اللاتين ورمزا لآمالهم  
 وأمانهم القومية . واذ تحطمت قوة اللاتين بالقسطنطينية ، أضحت نيقية بنجوة  
 من خطرهم ، وشيئا لها الأمل في حياة جديدة ، فانصرف تيودور لاسكاريس السعى  
 تنظيم مملكته الناشئة وتقرر تعيينه بطريرك جديد في نيقية سنة ١٢٠٨ ، وهو الذي  
 توج تيودور ، في نفس السنة امبراطورا (٣) .

Vasiliev: op. cit. P. 508

Setton: op. cit. Vol II P. 203

Vasiliev : op cit. P. 511

(١)

(٢)

(٣)

أصبحت نيقية مقرا للامبراطورية والكنيسة معا . فالى جانب امبراطورية اللاتين  
 بالقسطنطينية قامت امبراطورية البيزنطية التى أخذت تحتل رودا وودا مساحة من  
 اراضى آسيا الصغرى ، ثم صارت ايضا تجتذب انتباه الرومانيين وأصبحت مصقفسه  
 آمالهم . ففى المعاهدة التى انضمت سنة ١٢١٩م بين تيودور لاسكاريس وممثل  
 البنادقة ( البرديشتا ) فى القسطنطينية اعترف البنادقة بلاسكاريس امبراطورا . وجاز  
 لرعايا الامبراطوريتين ممارسة التجارة فى بلاد الجانبين وتقرر اعفاء البنادقة من الرسوم  
 والضرائب ببلاد نيقية ، على حين التزم تجار نيقية بأن يؤدوا الرسوم القانونية نفسها  
 القسطنطينية وفى املاك البندقية . ووجد لاسكاريس بالآ يوسل سفنا حربية السلى  
 القسطنطينية الا بعد موافقة الموديشتا ( مثل البندقية ) والا يستخدم البنادقة  
 جندا مرتزقة الا بموافقة ايضا (١) .

ولم تلبث العلاقات أن تزدت بين الامبراطوريتين فى القسطنطينية ونيقية  
 التى قامت على انقاض بيزنطية . فلم يكن يوسعها أن يمشيا فى تألف وسلام ذلك أن  
 نيقية التى تقع على مسافة ٥٠ ميلا من القسطنطينية ، أصبحت عاصمة للامبراطورية  
 الجديدة . كما أن وقوعها فى طرق عدة جعل لها أهمية سياسية خاصة ،  
 واشتهرت نيقية فى التاريخ البيزنطى بما اتمقد فيها من مجامع مسكونية ، ثم صارت

عاصمة للسلاجقة بآسيا الصغرى أعادها الصليبيون لا لقسيس الامبراطور البيزنطى •  
فكان امبراطور نيقية امتدادا لسلسلة الاباطوة البيزنطيين • وما تعرضت الامبراطورية  
اللاتينية من الهزيمة على ايدى البلغار • ومن تجدد خطرهم على اللاتين • منسح  
اللاتين من الاستيلاء على نيقية • على أن ماتعرضت له نيقية ايضا من خطر السلاجقة  
كل ذلك أدى الى عقد هدنة بين نيقية والقسطنطينية (١) •

على أن مانشب من الحرب بين تيودور امبراطور نيقية والسلطان السلجوقى  
كان بالاهمية • نظرا لأن السلاجقة فى قوتية كانوا يملكون معظم آسيا الصغرى  
ولم يلق قيام دولة نيقية قبولا عندهم • لأنها حالت دون توسعهم نحو بحر ايجيه  
غريا • يضاف الى ذلك أن القيسوس الثالث انجيلوس • صهر تيودور لجأ الى  
السلطان السلجوقى يلتمس منه المساعدة لاسترداد عرشه الضائع • فلم يسمح  
السلطان السلجوقى الا أن ينذر تيودور • ويطلب اليه اعادة العرش لالامبراطور  
القسيس • ودارت معركة عنيفة بين البيزنطيين والسلاجقة على نهر ديانا فى كاريسا •  
وعلى الرغم من أنه لم يترتب على هذه المعركة تغييرات اقليمية هامة فى جانب  
تيودور • فانها احييت الامل فى نفوس اليونانيين فى آسيا وأوربا • واعتبرا نتيحة  
نواة وحدتهم المقبلة وانتعشت الآمال للاستيلاء على القسطنطينية (٢) •

---

Setton: op. cit. vol II P. 205

(١)

Vasiliev: op. cit. P. 510

(٢)

كل ذلك أثار مخاوف هنري فلاندر امبراطور القسطنطينية ، ولا سيما  
 انه لم يتوان له من القوة ما يكفل حماية أملاكه . على أن ما انعقد من صلح بين هنري  
 فلاندر امبراطور اللاتين بالقسطنطينية ، وتيودور لاسكارين امبراطور البيزنطيين ،  
 أقر الحدود التي قامت بينهما منذ سنة ١٢٠٤ ، إذ أن الجزء الشمالي الغربي  
 من آسيا الصغرى ظل بأيدي الامبراطورية اللاتينية حتى تيودور سنة ١٢٢٠ م بعد أن أقام  
 بآسيا الصغرى حكما ميلنستيا ، ووجد الدولة وشهد الاساس الذي أقام عليه  
 خليفته يوحنا الثالث دوكاس فاناتزيس ( ١٢٢٢ - ١٢٥٤ ) الامبراطورية بمسند  
 اتساعها وامتدادها .

يعتبر يوحنا الثالث من أنشط أباطرة نيقية . وحدث في عهده أن تنازع  
 السلاطة أربع قوى : امبراطورية نيقية ، الامبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية ،  
 واستبدادية ابيروس ، ومملكة بلغاريا .

وقامت سياسة يوحنا فاناتزيس الخارجية على الحروب من جهة ، وقف مسند  
 المحاللات من جهة أخرى . ونجح يوحنا في معالجة الموقف الديني المعقّد  
 بينما فشل . نصرته الثلاثة في البلقان ، لما وقع بينهم من المنازعات حول  
 الحروب والحاللات (١) .

ففي السنوات الاولى من عهد يوحنا فاناتزيس ، أضحت لنيقية التفوق  
 على امبراطورية القسطنطينية ، بمسند أن أنزل يوحنا الهزيمة



الساحقة بالخارجيين عليه من أخوه تيودور الاول والذين تلقوا التأييد من اللاتين (١) ، فأكملت له السيادة في آسيا الصغرى ولم يعد لللاتين بمقتضى معاهدة سنة ١٢٢٥ سوى الساحل الاسيوى المواجه للقسطنطينية والقرى التى تحيط بنيقوميديا ، وانتزع اسطول نيقية جزر لسبوس وخيوس وساموس ، واعترفت رودس بسيادة امبراطوريتها . وهذا توطدت اركان امبراطورية نيقية برا وبحرا ، وأخذت تتطلع لانتزاع الجانب الاوربى ، واعادة الامبراطورية البيزنطية (٢) الى سابق عهدها . وحدث أن اعترفت امارة ابيروس البيزنطية بسيادة حكومة نيقية عقب سقوط القسطنطينية فى ايدى اللاتين وذلك زالت اسباب الاحتكاك بين الدولتين البيزنطيتين فى آسيا الصغرى والبلقان ، نظرا لاتفاقهما فى المثل والاهداف ، غير أن تيودور شقيق ميخائيل انجيلوس حاكم ابيروس ، لم يلبث أن أنكر ولاه لنيقية بعد أن تولى العرش حوالى سنة ١٢١٥ وفضل بسالته استطاع أن يستولى على المملكة اللاتينية فى تساليا ومقدونيا سنة ١٢٢٤ بعد حصار طوس (٣) ، وزعم لنفسه حتى الامبراطور البيزنطى وتوجيه القتال ضد القسطنطينية ، وهذا ظهرت مقاومته لامبراطورية نيقية (٤) ، واذا تهيأ لامبراطور نيقية البيزنطى ، يوحنا فنانزيس أن يستولى

---

Ostrogorsky: op. cit. P. 384. (١)

Setton : op. cit. vol II P. 214 (٢)

Setton : op. cit. vol II P. 214 (٣)

Ostrogorsky: op. cit. P. 585 (٤)

على أدرنه ١٢٢٥ ترمى أن عودة الامبراطورية البيزنطية أصبحت وشيكة الوقوع (١) .  
لولا أن تعرضت مؤخرة قواته لهجمات أمير ابيروس البيزنطى ، تيودور انجيلسوس ،  
الذى ارغم قوات نيقية على أن الانسحاب بعد أن كاد يتحقق غرضه ، بالاستيلاء  
على القسطنطينية ، غير أنه تطلع الى هذا الهدف الاستيلاء على القسطنطينية  
قيصر بلغاريا أصن الثانى ( ١٢٢٨ - ١٢٤١ ) ولم يتطلع أصن لما هو أقل ممن  
اقامة امبراطورية بيزنطية بلغارية ، تتخذ القسطنطينية حاضرة لها (٢) .

وتم التوقيع على معاهدة التحالف بينه وبين فانانزيس فى سنة ١٢٣٥  
فى غاليلولى (٣) التى استولى عليها مؤخرًا فانانزيس ، وتم زواج تيودور الثانى  
لاسكاريس ابن الامبراطور البيزنطى فى نيقية من ابنة أصن التى كان مقبلاً  
أن تتزوج من بلدوين الثانى امبراطور القسطنطينية (٤) .

تقدم الحلفاء للقاء الحصار براً وخراً على القسطنطينية ، وعلى الرغم  
من صمود العاصمة بفضل مساندة اسطول البنادقة ، فان وضع اللاتين اضعف  
فى شدة الحبح حتى أن بلدوين الثانى غادر المدينة ، ليلتص المساعدة ممن  
الغرب ولم ينقذ القسطنطينية سوى ما وقع من نزاع بين المهاجمين .

- 
- Setton : op. cit. <sup>vol</sup> II. P. 215, (١)  
Ostrogorsky: op. cit. P. 387 (٢)  
Setton: op. cit. vol II P. 215 (٣)  
Setton: op. cit. vol II P. 216 (٤)  
Ostrogorsky: op. cit. P. 387, 388

وإذا توفي ابن سنة ١٢٤١ أخذت قوة بلغاريا في التفكك بسبب اغتارة  
المغول ، ولم يجد يواجه فلانينس ند خطير (١) .

وتوجه يوحنا فنانيس على رأس حملة سنة ١٢٤٢ لمهاجمة امبراطورية  
سالونيك ، ولما اقترب من العاصمة علم بغزو المغول لآسيا الصغرى ، فاضطر  
الى الانسحاب وعقد الصلح مع امبراطورية سالونيك . وترتب على هذه المعاهدة  
أن قبلت امبراطورية سالونيك التدخل نهائيا عن كل تنافس مع امبراطورية نيقية ،  
وتنازل امبراطور سالونيك عن رداؤه الامبراطور ووافق على أن يتخذ لقد طاغية  
الذي منحه له فنانيس (٢) .

على أن الغزو المغولي اثار كل شرق أوروبا والشرق الأدنى فتهوت روسيا  
في ايدي الغزاة ، وظلت مايزيد على مائتي سنة خاضعة للتتار لتهديد هم سلطنة  
قونية المتاخمة من جهة الشرق لامبراطورية نيقية (٣) .

وتعرضت لخطرهم ايضا امبراطورية طرابزون ، ولم تأمن نيقية ذاتها من  
خطرهم . وادى الخطر المشترك الى عقد محالفة بين يوحنا فنانيس وامبراطور  
طرابزون والحاكم السلاجقة بقونية سنة ١٢٤٣ (٤) ومن الدليل على ضعف المشرق

(١) Setton: op. cit. vol II. P. 223

(٢) Setton: op. cit. vol II. P. 223

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٩

(٤) Vasiliev: op. cit. P. 530-531

Ostrogosky: op. cit. P. 390

الصليبية ، أن السلاجقة استخدموا من اللاتين جنوداً مرتزقة بلغ عددهم نحو ألف رجل ، وبلغ من نفوذ <sup>اللاتين</sup> أنهم أسهموا في تولية غيسكات الدين كيخسرو الثاني سلطاناً ، وكان التحالف يتم بين السلاجقة واللاتين ، لولا أن كيخسرو كان ضعيفاً ، ولم يكن عدواً لفانانزيس فضلاً عن تحالف كيخسرو مع فانانزيس بعد غارة المغول ، فلم يسمه إلا الاعتراف بسيادة المغول ولانشاء اليهم ، بل أن سلطان السلاجقة التزم بدفع الجزية . ومقتضى هذه الشروط ، تهيأ لاسبراطور فلرابزون وسلطنة قونية السلجوقية أن يحافظا على بقائهما لأن المغول انصرفوا عنهما إلى ما هو أهم من المغامرات <sup>(١)</sup> ، على أن امبراطورية نيقية لم تتأثر بكل ذلك ، بل انها اتادت كثيراً من ضعف جيرانها .

فدخل سالونيك في ديسمبر سنة ١٢٤٦ ، دون أن يلقى شيئاً من المقاومة وهذا اختفت امبراطورية تيودور انجيلوس ، الذي اكتفى بالحصول على ضريبة بالقرب من مودينا <sup>(٢)</sup> .

فكر فانانزيس في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية سنة ١٢٣٤ مقابل أن يتخلى البابوية عن الامبراطورية اللاتينية ، غير أنه لم يلبث أن تخلى عن هذا المشروع ، بعد أن أدرك أن أيام الامبراطورية اللاتينية است معدودة <sup>(٣)</sup> . الواقع أن فانانزيس زاد من مساحة امبراطورية نيقية . إذ أن أملاكه بآسيا الصغرى

---

Ostrogorsky: op. cit. P. 390

(١)

Setton: op. cit. vol II. P. 223

(٢)

Setton: op. cit. vol II. P. 226

(٣)

Vasiliev: op. cit. P. 544-545

أضحت مستقرة آمنة بينما خضع لسلطانها الشطر الأكبر من شبه جزيرة البلقان ، وجرى التخلص من خصم نيقية السابقين . نهوت امبراطورية اليونان الغربية ، ولم يمسد يتعرض للخطر من قبل استبدادية ابيروس ومملكة بلغاريا ، أما الامبراطورية اللاتينية فانها تنحصر . اذ بلغ بها الفقر والمجزأ أن الامبراطور بلدون الثاني رهن ابنه وولى عهده فليب عند التيار البنادقة ، حتى يحصل على قرض يخفف عنه ضائقتهم وحاجته الشديدة للمال <sup>(١)</sup> واقتصرت املاك الامبراطورية اللاتينية على ما يحيط بالقسطنطينية من بلاد ، يحيط بها من كل جانب املاك فانانزيس امبراطور نيقية ولم يبق لاستكمال استعادة الامبراطورية البيزنطية الا القيام بمحاولة أخيرة ، وهي الاستيلاء على القسطنطينية التي قام بها امبراطور آخر بعد أن أعد فانانزيس كل الخطوات اللازمة ، وهو الذي يرجع اليه الفضل في استعادة الامبراطورية البيزنطية <sup>(٢)</sup> .

وما أحيزه فانانزيس من النجاح فيما اتخذه من التدابير الاقتصادية لم يكن اقل شأنًا ، اذ أن امبراطورية نيقية شهدت في عصره من الرخاء المادي ما لم تشهد في سنوات عديدة . اذ وجه الامبراطور اهتمامه الى اصلاح الزراعة وتربية الماشية واقام نموذجًا لذلك ، بأن جعل الضياع الامبراطورية مثالا يحتذى به ، فأظهر لرعاياه ما يتوافر من الثروة من الزراعة المحصولات

---

Setton: op. cit. vol II P. 225

(١)

Ostrogorsky: op. cit. P. 393

(٢)

وزارة الكروم وتربية الماشية (١) ، كما قام بحماية البلاد من الواردات الخارجية  
 وضع رعاياه من شراء الكماليات الباهظة الاثمان . ومع ذلك فقد نفق الى الامبراطورية  
 المماد من النفيسة والمنسوجات الثمينة ، من سلطنة السلاجقة المجاورة لها . وعلى  
 الرغم من أن الغزو المغولي خرب الامارات المجاورة لنيقية فان هذا الغزو كان بالسخ  
 الاهمية للبيزنطيين من الناحية الاقتصادية ، اذ أن الترك اشتركوا المواد الغذائية  
 من امبراطورية نيقية ، ودفعوا فيها اثمانا مرتفعة من الذهب والسلع التجارية (٢) ،  
 ولذا لم تفتقر نيقية الى الاموال ، ورغم انغماسها في حروب مستمرة وماساة من احوال  
 اقتصادية في دولة نيقية زمن يوحنا فنانانزيس ، كان اسلم واضح مما عرفت الامبراطورية  
 البيزنطية زمن اسرة كومنن وانجيلوس فلم تستغذ الدولة حيوتها ، وأضحى  
 استمادة الامبراطورية البيزنطية أمرا قريب الوقوع .

---

Ostrogorsky: op. cit. P. 394

(١)

Vasiliev: op. cit. II P. 546

(٢)

Gibbon: op. cit. vol VI P. 476

## امبراطورية طرابيزون البيزنطية والسلاجقة :

ارتبطت امبراطورية طرابيزون البيزنطية بعلاقات عدائية مع جيرانها من السلاجقة ، اذ تعرضت لحصار من قبل كيخسرو سلطان السلاجقة لطرابيزون سنة ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ م ، كما أن السلطان السلجوقي الجديد كيكافس الاول عمل على التوسع على حسابها ، فاستولى على سينوب ، وذبح دافيد حاكم المنطقة (١) ، وكان للاستيلاء على سينوب نتائج بعيدة المدى اذ اقتطع السلاجقة جزءا كبيرا من الحدود الغربية لطرابيزون ، ومنعوا اتصالها المباشر بامبراطورية نيقية البيزنطية (٢) .

وفي عهد ثانيا اباطرة طرابيزون اندرونيكوس الاول تعرضت العاصمة لخطر القتال المباشر ، اذ أن احدى سفن طرابيزون المحملة بالجزية من احدى الولايات البحرية ، وعلى ظهرها احد الارخونات وعدد من النبلاء ، تعرضت لمصافة شديدة فلبأت الى ميناء سينوب (٣) ، ووفقا للمعاهدة التي عقدها اندرونيكوس مع غياث الدين كيخرو بن السلطان السلجوقي كيقباز الذي وصل ارتقى عرش قونية سنة ١٢٢٠ م (٤) ، قام تابعه هيتوم بالاستيلاء على السفينة وشحنها ومخارتها كما أرسل السفن لنهب خيرسون ، وحين وصلت الانباء طرابيزون ، حشدت

(١) اسر السلاجقة كوفينوس حاكم طرابيزون وتمهد بدفع جزية سنوية للسلطان علاء الدين كيقباز .

Miller: Trebizond P. 19

(٢) Vasiliev: The foundation of Empire of Trebizond P. 26 speculum 1933 vol XI

(٣) Vasiliev: op. cit. P. 25

(٤) زاماور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ج ٢ ص ١٦٣

استولوا ، وجهه اندرونوكس الى سينوب حيث استولى على جميع السفن الرأسية  
في المينا .

أعد غياث الدين العدة واتجه الى طرابيزون ، في حين حصن  
اندرونوكس المدينة والطرق المؤدية لها ، حاصر غياث الدين المدينة وهاجمها  
من جهة البحر ، الا أن المدينة صمدت للهجوم ، ودعى الامبراطور البيزنطى  
الى عقد معاهدة سلام ، ودعا وفد سلجوقى لرؤية المدينة وتحصيناتها ، ولكن  
لم تلبث أن هبت عواصف دمرت معسكر السلاجقة ووقع غياث الدين فى الاسر ،  
فاستقبله اندرونوكس بحفاوة بالغة ، وأجلسه بجانبه ، وبعد ان استشار مجلسه ، تقرب  
ارسال غياث الدين الى بلاده ، وتجديد الشقاق السابق بين طرابيزون وقونية ،  
الذى يقضى بالاعتراف بالتبعية ، وتقديم الخدمات العسكرية والجنه والهدايا ،  
والتقى غياث الدين الملقى لعجب بتقديم طرابيزون .

كانت فترة الاستقلال هذه قصيرة المدى ، فقد تنازع جلال الدين  
خوارزمشاه السيطرة مع السلطان السلجوقى على غرب آسيا وأصبح جارا لطرابيزون الذى  
عقد تحالفا معها ، فلما حلت به الهزيمة على هزيمته سنة ١٢٣٠ نجأت بمسخر  
قواته الى طرابيزون ، ولقد كلفت هذه الخلطة اندرونوكس جميع الامتيازات التى  
حصل عليها من اتفاقه مع ملك ، وعادت طرابيزون تابعة لسلطان قونية حوالى سنة  
١٢٤٠ . (١)



### الامبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية :

لم تكن الامبراطورية اللاتينية التي تأسست بالقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، نتيجة للحطة الصليبية الرابعة ، من القوة ما يدهرها الى مساندة الفرنج فسمى الشام . اذ استنفذت جهود الصليبيين من الرجال والاموال ، بل انها اجتذبت اليها النبل الذين استقروا حتى وقتذاك بالشام .<sup>(١)</sup> واذ اتجهت معظم الجيوش الى القسطنطينية ، كان لزاما على الصليبيين في ملكة بيت المقدس أن يلتصقوا دائما الصلح مع المسلمين ، فكرر عقد المعاهدات بين الجانبين ( ١٢٠٥ - ١٢١٠ ) ، ١٢١١ - ١٢١٧ ، ١٢٢١ - ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ( ١٢٣٩ )<sup>(٢)</sup> ، وما يدعو الى الالتفات أن يوهند الرابع أمير انطاكية أعاد من الامبراطورية اللاتينية ، حينما تعرض للاخطار والفتن من قبل امراء أرمنيّة الصفري ، ورجال الدين بداخل انطاكية ، وطوائف الفرسان الرهبان من الاسبتارية والداوية ، بأن أعلن ولائه للامبراطور اللاتيني ، واعتباره الوارث الشرعي للبيزنطيين ، الذين اعتبروا انطاكية اصلا من ممتلكاتهم<sup>(٣)</sup> ، والواقع أن هذا

Gibbon: op. cit. vol VI P 488-489 (١)

Setton: op. cit. II, P, 532-533 (٢)

(٣) أعلن يوهند ولائه لزوجته هنري شامبني حين حضورها لبيت المقدس وعين بطريرك اغريقى وكان الاغريق المنصر الغالب في انطاكية .

الامبراطورية اللاتينية من الاضطراب السياسى والدينى ، وما كان من قيامها نفسى بلاد لمعادية بين اليونانيين الكارهين لللاتين <sup>(١)</sup> ، والذين بادروا الى التماس قادة لهم من الجهات المجاورة فضلا عن ارتكانها الى ما يتدفق عليها من الغسرب من المال والرجال ، واحتمال توقف هذه المساعدة فى أى وقت من الاوقات ، كل ذلك يجعل بقاء الامبراطورية اللاتينية متوقفا على ما يتصف به الصليبيون من بعد النظر السياسى . ومثال ذلك أن الابطاطرة اللاتين اعتبروا أن من السياسة السليمة الاغادة ما وقع بين اليونانيين من المنازعات الطبقة التى سبقت أن أدت الى تدمير الامبراطورية البيزنطية ، كان يساندوا الفلاحين ازاء سياساتهم السابقين ، وهذا تزداد مكانتهم فى الريف ، غير أن هذا الاتجاه كان يعيقهم عن تفكير القادمين من الغرب ومع ذلك فان اللاتين لم يفقدوا ما نهيا لهم من فرعون دبلوماسية وعسكرية <sup>(٢)</sup> ، وما لجأ اليه اللاتين من رد هجمات البلغار ، انما أدى الى تحالف البلغار مع اليونانيين ، يضاف الى ذلك أن اللاتينيين بالقسطنطينية ، لم يدركوا أهمية التحالف مع سلاجقة الروم فى قونية . أما حلفاءهم من الارمن فقد غشوه ولم يحتفلوا بما تعرضوا له

---

Ostrogorsky: op. cit. P. 370 (١)

Setton: op. cit. vol II. P. 199-200 (٢)

اللاتين من اخطار (١) ، ومع ذلك فان سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين  
أثار الاضطراب والتفكك في القوى المسيحية بالشرق الأدنى ، فمن ذلك ما تعرضت  
له حصن من الهجوم من قبل الاسبتارية في حصن الاكراد ، وتمدى الظاهر  
غازي صاحب حلب لهم . كما حدث ايضا أن قام القراصنة من جزيرة قبرص بمهاجمة  
سفن مصرية والاستيلاء على ما تحمله من السلع والاسرى ، زمن الوصاية على عرش  
بيت المقدس ( ١٢٠٥ - ١٢١٠ ) ، فخرج المادل الى الشام ، وإذا اجتج  
لدى الوصي على عرش بيت المقدس ، أعلن أن حاكم قبرص يدين بالولاء للقسطنطينية ،  
وليس له عليه سلطان ولم يلبث السلج أن عاد بينهما (٢) . والمعروف أن قيسام  
امبراطورية لاتينية بالقسطنطينية جعل البابا أول الامر في وضع حرج ، إذ أن البابا  
انوسنت الثالث قاوم تحول الحملة الرابعة لمهاجمة القسطنطينية ، وحرم من الكنيسة  
الصليبيين والبنادقة بعد الاستيلاء على زارا سنة ١٢٠٢ ، غير أنه لم يلبس  
أن أقر الامر الواقع بعد سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين (٣) ، بل أنه دعا  
رجال الدين وسائر الملوك والامراء ، وكل الشعوب والاقوام لمساندة بلدون

(١) كانت بعض قوات الحملة الرابعة اشتركت مع الصليبيين في الشرق . في مهاجمة

في مهاجمة الايوبيين ولكن هذه الهجمات لم تأت بنتيجة تذكر .

ابن حاضل : مفتي الكروب ج ٣ ص ١٤٦

(٢) ابن التير : الكامل ج ١٢ ص ١١٤

ابن خلدون : البروديان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٤١

امبراطور اللاتين في القسطنطينية ، واعرب عن أمله في أن سقوط القسطنطينية سوف ييسر الاستيلاء على الاراضى المقدسة واعادتها للمسيحيين <sup>(١)</sup> على أن البابا ارتاع لما وقع من نهيب بالقسطنطينية وما ارتكب فيها من الفظائع ، فضلا عن الطابع الديوى ، لمعاهدة التقسيم ، التى استهدمت كل نفوذ وتدخل من قبل الكنيسة <sup>(٢)</sup> .

١ وكان من اثر الحملة الرابعة ١٢٠٤ ، أن غلبت الصفة المملانية على الحركة الصليبية وأن انعرفت عن هدفها ، الذى يقضى بالتوجه الى الاراضى المقدسة فنفذ سنة ١٢٠٤ . لم يقتصر اهداف الصليبيين على توجيه قواتهم لمهاجمة المملوكين في مصر وفلسطين بل تحتم عليهم ايضا ارسالها الى املاكهم في بلاد الامبراطورية الشرقية لمساندتها ، فعطل ذلك من حركة القتال ضد المسلمين في الشرق <sup>(٣)</sup> وادرك البابا انرسنت ان امبراطورية اللاتين بالقسطنطينية ليس بمسديها أن تتولى توجيه حملة صليبية للشرق ، نظرا لما تصادفه من متاعب سياسية واقتصادية ودينية <sup>(٤)</sup> .

---

Runicman: op. cit. vol III P. 128

(١)

Vasiliev: op. cit. P. 467

(٢)

Vasiliev: op. cit. P. 468

Vasiliev: op. cit. P. 469

(٣)

Vasiliev: op. cit. P. 469

(٤)

✓ واذ ظفرت البندقية بنصيب الاسد عند اقتسام الاملاك البيزنطية،  
لم يحل ذلك دون تغيير سياستها مع المسلمين اذ حرص كل من المادل والكامل  
على المحافظة على الملاقات الطيبة مع البنادقة وجمهوريات ايطاليا •

ففي سنة ١٢٠٢ قسام سفير بيزا مارتوكو تورقي بمقد معااهدة  
مع المادل الحدث حرص السلطان على الاستمرار في تقديم كل التسهيلات اللازمة (١)  
وفي سنة ١٢١٥ م ارسلت جمهورية بيزا الى القاهرة سفيرا آخر • وكان بسبب  
قيام الحكومة المصرية بأسر عدد كبير من البيازنة وكان قد تم القبض عليهم فمضى  
كبيستهم وعقدت معاهدة ١٢١٦ م حددت فيها امتيازاتهم •

وعقدت البندقية بدورها معاهدة تجارية مع الملك المادل عقدها مارينو  
داودولو • وطرس من غلاطيل وهي مجموعة من المراسيم السلطانية التي صدرت من  
القاهرة وغلاطيل باسم السلطان الذي دمج البندقية وتنص النصوص بصورة  
اجمالية على حماية البنادقة وحسن معاملتهم في ارض السلطان وعلى حمايتهم  
من مصحبيهم للحج • وليس معروفًا على وجه التحديد السنة التي عقدت فيها  
المعاهدة والمرجح انها سنوات ١٢٠٦ - ١٢٠٨ ولكن لما كانت الجارتان

---

Heyd: Hist. du commerce du Levant Tome I. P. 404 (١)

Heyd: op. cit. Tome I P. 404 (٢)

Wiet: op. cit. P. 385 (٣)

اللتان ترد ذكرهما في هذه المراسيم ، وهما سيد ملوك المسلمين امير المؤمنين /

لما تضا الى القاب السلطان سوى في العام الهجرى ٦٠٤ هـ اذ كان تسارخ  
 صدور المرسوم حوالى ١٢٠٨ (١) . وفي نفس العام ارسلت جمهورية البندقية  
 الى مدينة حلب السورية سفيرا خاصا ، يدعى مارينونى ، فقام بعقد معاهدة  
 تجارية مع صاحب المدينة وهو الامير غياث الدين بن صلاح الدين ، ومطلع  
 التجار البنادقة في مدينتى حلب واللاذقية امتيازات ضخمة (٢) ، على الرغم  
 من أن البابا اليوسف الثالث اشار في المجمع الدينى الذى انعقد باللاتران سنة  
 ١٢١٥ هـ الى ما تقوم به المدن الايطالية من نقل المواد الاستراتيجية كالاخشاب  
 والحديد قبل أن من الايطاليين من خدموا في السفن الاسلامية ، مما اضعف  
 الروح الدينية (٣) فتردد على دهاط السفن من ابوليا والبندقية وبلاد اليونان (٤)  
 ومن الطبيعي أن البنادقة لم يقصدوا الا مصلحتهم الخاصة ، فما حدث من  
 سيطرتهم على القسطنطينية ومودون وكريت ، التى ليست الا محطات تجارية  
 فى طريقها الى مصر انما قصدوا به ان يتخذوا من دهاط والاسكندرية ، قاعدة  
 لتجارتهم بحد أن حصلوا على الامتيازات الضخمة فى القسطنطينية وسيطروا

Heyd: op. cit. Tome P. 403-404

(١)

Heyd: op. cit. Tome P. 374-375

(٢)

Wiet: op. cit. P 385

(٣)

على تجارتها ، وظفروا من طاقية ابيروس البيزنطى وامبراطور نيقية البيزنطية ايضا على امتيازات تجاريه بالفة الاهمية <sup>(١)</sup> ولذا أسهمت البندقية فى اعداد الحملة الصليبية الخامسة ومددا بالعتاد والرجال والسفن املا فى أن تخضع لها مصر مثلما خضعت القسطنطينية . اذ وجدت فيه فرصة نادرة للسيطرة على ذلك الثغر التجارى الهام الذى تستطيع ان تنفذ منه الى داخل البلاد المصرية <sup>(٢)</sup> . وترغبت الجمهوريات الثلاث حركة الممارضة عندما قدم الملك الكامل سنة ١٢١٩ عرضا بالجلاء عن دمياط والشواطىء المصرية فى مقابل اعادة الصليب الذى كان قد استولى عليه صلاح الدين عندما دخل بيت المقدس ، ورد الاسرى الموجودين فى القاهرة ودمشق ، وتسليم مدينة بيت المقدس مع دفع مبلغ من المال لاصلاح اسوارها . ولما اوقع المصريون بالجيش الصليبي فى سنة ١٢٢١ وسط مياه الدلتا ، اضطر زعمائها للموافقة على الجلاء . غير ان ممثلى الجمهوريات الايطالية فى الحملة ، رفضوا التسليم بذلك وهاجموا قصور الملك والداوية والاستبارية فى دمياط واستولوا عليها ، ونصبوا انفسهم سادة على المدينه ، ولم يتنازلوا عنها الا عندما شعروا بأن الشتاء مقبل عليهم بينما كانت المونة آخذة فى النفاذ . وكانت جمهورية البندقية اكثر حماسا من زميلاتها للبقاء فى مدينة دمياط حتى انها عندما ارضيت على الانسحاب حرمت على رعاياها التردد على موانى مصر والتجارة معها <sup>(٣)</sup> .

(١) ديل : البندقية ص ٤٥

Michaud: Histoire des croisades tome III P. 647 (٢)

Heyd: op. cit. Tome I P. 405-406 (٣)

وهددت باقضى عقوبات السجن والنفي والمصادرة للمخالفين ، وانزلت فى الادرياتيک  
 فى ١٢٢٦ أحد سفنها لتتجول فيه باحثه عن مخالف (١)

على انه فى الوقت الذى ثانت فيه الجمهورية تتبع سياسة معادية—  
 لمصر وللتجارة مع مصر ، كانت تحاول جاهدة ان تثبت حقوقها التجارية فى شمال  
 سوريا . وفى سنة ١٢٢٥ أرسلت لتلك الجهات السفير البندقى توماسينو فوسكارينى  
 الذى عقد معاهدات تجارية مع الملك العزيز صاحب حلب ، ومع صاحب اللاذقية  
 وصاحب حصن سيجون حصل البنادقة بمقتضاها على امتيازات فى تلك الجهات (٢) .  
 وعندما وجدت جمهورية البندقية ان الإمبراطور فردريك الثانى ، عقد معاهدة  
 سنة ١٢٢٩م مع الملك الكامل ، قامت بدورها بالفاء قرار تحريم التجارة مع مصر  
 وأرسلت سفيرا الى شمال سوريا عقد معاهدة مع صاحب حلب الملك العزيز حصلت  
 بمقتضاها على امتيازات أكثر . وفى سنة ١٢٣٨ أرسلت البندقية الى الملك العادل  
 الثانى سفيرين لعقد معاهدة تجارية جديدة حوت كثير من التسهيلات وجـاء  
 فيها لأول مرة ذكر قنصل البندقية كمشرف على تجارها فى الاسكندرية (٣) .  
 وفى ١٢٤٤ أرسلت سفارة اخرى حصل فيها سفيرها وكان السلطان هو الملك  
 الصالح نجم الدين ايوب على تأكيد بالامتيازات التى منحها والده ، الملك العادل  
 الثانى للبنادقة (٤) . وعندما هاجم الملك لوس التاسع دمياط ١٢٤٩ لعبت البندقية

Heyd: op. cit. Tom I P. 405-406

(١)

Heyd: op. cit. Tom I P. 375

(٢)

Heyd: op. cit Tome I P. 375

(٣)

Mas latrie: Traites Appedice P. 72-76

(٤)



سياسة ذات وجهين فهي لم تشترك في الحملة كسيرة وجنوه هو قان الغاء معاهداتها ،  
 الا انها عند ما اضطر ليس بعد وقوعه في الاسر ١٢٥٠م الى الاذعان لرغبات  
 السلطان بالجلاء عن دسباط ، ثارت عليه ثورة عنيفة ، وتحاربت مع زميلتها جنس  
 وبرزوا على مهاجمة الحجاج الفرنسيين عند عودتهم في البحر ، فانها كانت تأمل  
 انه في ظل الاحتلال الصليبي سوف تتمتع باعفاءات كاملة من الضرائب .



#### سياسة الايوبيين مع السلاجقة :

تمثلت هذه السياسة طوال فترة حكم كيخسرو الاول وكيكاوس وكيقباد ، فهي  
 تأمين الحدود المواجهة لمملكة قليقية . وفي علاقات ودية مع الفرنج ، وحياذ مع  
 اليونانيين ، وعداء اخوانهم المسلمين فانحازوا الى الفرنجة بأنطاكية لمناصرة  
 قليقية ، والى اللاتين والبنادقة بالقسطنطينية لمناهضة اليونانيين في نيقية ، والى  
 القبارصة . واستأجروا عساكر من الفرنج وتراسلوا مع البابوية ورحبوا بالبعثات التبشيرية  
 اللاتينية ، وذلك لمحاولة انتزاع رعاياهم اليونانيين من كل ما يربطهم ببيزنطة من  
 صلات . (١)

اما سياسة السلاجقة مع القوى الاسلامية ، فانها قامت على التوسع صوب  
 الجنوب الشرقي وكان السلاجقة قد استعملوا هذه في منتصف القرن الثاني عشر ،



(١) الميني : عقد الجمان حوادث ٦٢٦ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤

تاريخ . المقرئ : السلوك لمصرفة دول الطوك ج ١ ص ٢٣

ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ١٤٨

تخلوا عنها اثناء الخصومات الاسرية ولقوا المساعدة بما حدث من الاضطراب الناشب  
بين امراء الشام والجزيرة .

وذلك أن كيخسرو وكيكاوس اتخذا سياسة التحالف مع الظاهر غازي صاحب  
حلب ضد ليوانثاني ملك ارمينيا الصغرى ، وكان غازي الابوي يأمل من وراء هذا  
التحالف أن يجد فيه الحماية من عمه العادل الاول . وحينما مات الظاهر  
سنة ١٢٢٦ (١) اراد كيكاوس أن يساند ابنا آخر لصالح الدين وهو الافضل ،  
الذي كان يتولى سميساط منذ سنة ١٢٠٣ اقطاعا من السلاجقة ، وكان يرشحه  
لأن يتولى حكومة حلب ، غير انه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، بسبب ظهور الاشرف  
بن العادل . فرجع كيقيباد الى السياسة القديمة (٢) ، واستطاع بفضل التحالف  
مع الاشرف أن ينقذ من مودود الارثقي صاحب آمد وحصن كيفا ، كل ما يملك  
من حصون واقمة وراى الفرات ، وتمتد الى جنوب اذربيجان . فأضاف الى املاكه  
اذربيجان سنة ١٢٢٨ بعد ثلاث سنوات من وفاة اميرها بهرام شاه . وفي غمرة  
هذه الاحداث ، ظهر عامل جديد في سياسة غرب آسيا وهو الغوارزمية بقيادة  
جلال الدين خوارزمشاه . ولم يظهر السلطان السلجوقي شيئا من الكراهية لجلال  
الدين خوارزمشاه الذي لم يهدد سوى ارزهم التي يعادى صاحبها كيقيباد السلجوقي (٣)  
وسوى املاك الاشرف الشمالية الشرقية ، مثل اخلاط على بحيرة وان غير أن الامور  
لم تلبث أن تغيرت حينما ظهر أن جلال الدين يستعد لغزو الاناضل بعد أن دانت

(١) ابن واصل : مغزى الكروب ج ٢ ص ١٨٧

(٢) ابراهيم القنداز : المختصر ج ٣ ص ١٢٤

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٢٨

له اخلاط ، ولقى التأييد من جهان شاه صاحب ارزوم صار من اتباعه . واستطاع  
 كيقباز أن يحرض الاشرف الذى قدم بنفسه ، وكذا حكومة حلب ، فضلا عن السلطان  
 الايوبي الكامل ، على أن يرسلوا امدادا ، ونجحت القوات المتحالفة فى أن تنزل  
 الهزيمة بالخوارزمية فى سنة ١٢٣٠ فى غرب آذربيجان ، واذ تورط بهرام شاه  
 فى تحالفه مع الخوارزمية ، وحل به ما حل بهم من الهزيمة ، فقد ارزوم السنى  
 اضافها كيقباز الى بلاده فأصبحت املاك كيقباز تتاخم اطراف آذربيجان (١) .  
 واذ كانت جورجيا ( بلاد الكرخ ) مساندة للخوارزمية ، فان ما حدث من تهديد  
 السلاجقة لهم ، ارضهم - هم وحلفائهم - فى طرابزون على أن يتخذوا سياسة  
 المصالحة والمسالمة والولاء نحو كيقباز ، ولما لم يكن ثمة باعث للتعاون بين الايوبيين  
 والسلاجقة ، تصادمت اطماعهم ففى سنة ١٢٣٣ كان السلطان التاتارى يأمل فى  
 أن يفوز ببلاد السلاجقة ، بعد أن انتهى اليه بعض السوريين الذين كانوا بهم هذه  
 البلاد سنة ١٢٣١ ، انها بلاد ضعيفة ليس لها من يدافع عنها . واذ توقفت  
 الدكايل فى الجبال الواقعة شمال الشام توجه صوب الشمال الشرقى . بعد أن دعاه  
 لمساندته صاحب خرتبرت ، غير أن الحليفين الكامل واطقصر تعرضا لهزيمة  
 ساحقة . على يد كيقباز الذى ضم اليه (٢) . وذلك امتدت املاكه الى ما وراء نهر  
 الفرات ، بل انما اقام حامية فى حران فى جون بلاد الايوبيين ، والتقى لم يلبس

(١) ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ١٥٣  
 ابوالخاسن : النجم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٣

(٢) ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ١٦٢

المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٥٤

أن استردها الكامل دون تمبثم حاصر آمد . ولما مات كيقباز الاول سنة ١٢٣٧ وقع الخلاف بين ابنه غياث الدين والخوارزمية ، الذين فروا الى الجزيرة . فـ غـير أن ما حدث من وفاة الاشرف ثم الكامل هيا له أن يشترك في التحالف مع امراء الشام والجزيرة ضد الصالح أيوب بن الكامل ، والخوارزمية <sup>(١)</sup> . فدخل آمد نفسها التي تعتبر امع المعاقل في ديار بكر وأن يحاصر ميافارقين الواقعة وراء دجلة ، نامتدت السلاجقة الى نفس الحدود التي كانت للدولة البيزنطية من قبل ، بل انها اتجاهاها نحو الجزيرة قد تجاوزت حدود بيزنطة السابقة وهي تطابق منازل التركمان . على أن الدولة السلجوقية في قونية ، زمن كيقباز الاول ورغم تزايد الخطر المغولي في مستهل حكم كيخسرو الاول بلغت الذروة في القوة العسكرية وفي التوسع الاقليمي يحيط بها اتجاها أو حلفاء من كل جانب ، المسلمون في حلب والجزيرة ، المسيحيون وطرابزون رثيقية وقبرص ، التي كانت ترسل امداد كلما طلب اليها ذلك وكانت هذه ايضا هي الفترة التي اكتمل فيها نظم الدولة ونضجت الحياة الاقتصادية والعسكرية .

على أنه لسوء الحظ ان دولة السلاجقة كانت تخفى وراء واجهتهم القوة ما كان ينخر في داخلها من عوامل الضعف على حين أن الخطر المغولي بدأ يلوح في الشرق . ذلك أن المغول قد توغلوا في امالك السلاجقة وأخرايهم

---

(١) ابوشامة : الذيل على الروضتين ص ١٦٨

كيفية الاول وما حدث من مشاكل داخلية بين المشول هيا لكيسرو فترة من الراحة ليضع سنوات.

### الايوميون والحملة الصليبية السابعة :

ترتب على زوال شخصية الكامل القوية ، ان وقع الامراء الايوميون فـسـى مخصصات ومنازعات غيفة بالفة الاضطراب ، نابنه المادل ابوبكر الثاني ، الذى عينه خليفة له بعد استبعاد الصالح ايوب ، اعترف به القادة الحصريون ، الذين رشحوا ايضا الجواد يونس ( حفيد المادل الاول وزوج ابنة الاشرف الوحيدة ) ليكون اميرا على دمشق ، وطردهوا الناصر داود الى الكرك مرة أخرى . واتخذ جيش صاحب خطة الهجوم بدل الدفاع ، فانتزع معرة النعمان وحاصر حماه ، بينما قام اميرها بتجديد التحالف مع كيسرو الثاني ، ورفض التفاوض مع الصالح ايوب ، والمسالل الثاني والجواد (١) . لقي الصالح ايوب متاعب من الخوارزميين الذين تركوا خدمة كيسروا ودخلوا فى خدمة ارسلان الاثنى صاحب ماردين فهرب الى سنجار غير أنه حينما حاصره بسنجار بدر الدين لولو صاحب الموصل ، ارسل الصالح ايسوب قاضى سنجار متكررا الى الخوارزمية يطلب منهم الانحياز الى جانبه . فزحفوا على سنجار وهزموا قوات الموصل وطردها جيشا سلجوقيا كان يحاصر آمد . واستولوا

(١) ابوشامه : ذيل الروضتين ص ١٦٨

ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٠

على حصن نصيبين واقليم الخابور باسم الصالح ايوب ، مقابل انه جعل لهم بلاد  
مصر ( في غرب الجزيرة ) (١) .

وحوالي نهاية سنة ١٢٣٨ ، خشي الجواد صاحب دمشق ان يتعرض  
للفزو من قبل مصر بالاشتراك مع الناصر داود ، فطلب الى الصالح ايوب ان يأخذ  
دمشق مقابل ان يعطيه بعض الجبهات في الجزيرة . غير انه صار لا يوب من الشهرة  
ما أقلق جيران دمشق . ولذا فانه بعد ان توطد مركزه في دمشق توجه الى  
فلسطين ليتجهز لفزو مصر ، غير ان عمه الصالح اسماعيل خرج من بعلبك وحسب  
معه المجاهد امير حمص ، وانتزعا دمشق من يد المنيف عمر بن الصالح ايوب ( ٣٠  
سبتمبر ١٢٣٨ م ) واذ تخلص عن ايوب عساكره فلم يبق معه سوى ثمانين ملوكا .  
وقع في اسر الناصر عند نابلس ، وتقرر حبسه في الكرك (٢) .

وفي مصر سارت الامور زمن العادل الثاني من سي الى أسرا (٣) ، فما  
اشتهر به العادل من الاسراف البالغ ، بدد ما تركه الكامل من رصيد كبير من  
الاموال ( الذي بلغ نحو ستة ملايين دينار ، عشرون مليون درهم ) وشارت الصدادة  
الصريحة بين الاتراك والكرد في الجيش المصري ونزع الصالح الى  
التمرد والثورة (٤) ، وما كان من المبادرة الى أن يدخل في النظام الايوبي

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٧٥

(٢) ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٣

ابوشامه : ذيل الروضتين ص ١٦٩

(٣) Setton: op. cit. Tome II. P. 706

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٧٥ ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٠

قوة جديدة وعرض جديد ، إنما اتخذها العظمى في الدين الثاني صاحب حملة .  
ولما اشتهر به من الاعتقاد في سياسة التحالف مع مصر ضد الحلفاء اتلبدى المؤلف  
من دمشق وحمص وعلب ، كان من الامور البالغة الاهمية عند أن يكون بمصر سلطان  
قوى . كى آماله تركبت حول الصالح ايوب<sup>(١)</sup> . بعد أن خلف له انه في مقابل ما يذله  
داود له من مساعدة لولاية الحكم بمصر يجعل الصالح ايوب له حكومة دمشق والجزيرة ،  
وفي نفس الوقت نفذت الرسائل الى الخوارزمية ، تحثهم على أن يهاجموا حلب وحمص<sup>(٢)</sup>  
وابتسم الحظ لا يوب بعد أن ظل حتى وقتذاك عابسا في وجهه . وبينما كان  
المادل الثاني يتجهز للمسير الى فلسطين للقاء داود وايوب ، القى القبض عليه  
عساكره من الترك في ٤ مايو ١٢٤٠ ، وجرى انقاذ رسالة عاجلة الى ايوب ، انذرى  
دخول القاهرة في ١٨ مايو هتفوا به سلطانا<sup>(٣)</sup> . ونتيجة لذلك عقد الصالح ايوب مع الخوارزمية  
الصليبيين تنازل فيها عن صعد وشقيف عرتون وما تبقى من صيدا وطبرية وانصهرت  
الصالح الى اعادة تنظيم مملكته في مصر بدلا من أن يهتم بما جرى في الشام  
من أحداث .

في مايو سنة ١٢٤٢ تعرضت حملة مصرية قادمة من جهة الممزرية بالقبرب  
من بيت المقدس على ايدي الناصر داود صاحب الكرك والدأوة ، ومع ذلك فانه

(١) القرزى : السلوك ج ١ ص ٢٨١

(٢) ابي القدا : المختصر ج ٣ ص ١٨٠

Runicman: op. cit. vol III P. 210

(٣)

حدث بعد شهر قليلة أن اشترك الفاضل داود مع قوات مصرية من غزة للقوام بغارات انتقامية على اهل تلك المصبات بعد أن اغتروا على نابلس في ٣١ أكتوبر. فـ...  
 أن ما احرزه المفلول من انتصارات حمل الايبويين على المبادرة الى تـ...  
 منازعاتهم غير أن المناوشات جـ... لا رتياب الصالح اسماعيل في الصالح ايوب.  
 فلجأ اسماعيل الى تجديد التحالف مع الفرنج ، وفي ربيع ١٢٤٤ تنازل لهم عن بيت  
 المقدس (١) ، بعد موافقة داود صاحب الكرك والـ... صاحب حصن . فما ارتكبه  
 الكامل من حماقة قبل خمس عشرة سنة حصار امرا مسلما به بلى تجاوز الحد بـ...  
 سلم اليهم قبة الصخرة .

طى أن بغاوة الصالح اسماعيل تستند الى اساس سليم ففي يونيو  
 ١٢٤٣ أرسل المنظر صاحب حماه ، الذي يصل بالاشناق مع الصالح ايوب ، سفارة  
 الى الامراء المشاركة وبغداد ومن تـ... لرئيس السفارة أن يتصل بالخوارزمشاه  
 في طريقة ، وأن يدعو زعيمهم بركتخان لمساندة ايوب ازاء أعدائه بالشام (٢) ، وفي  
 صيف سنة ١٢٤٤ انساب ما يزيد على عشرة آلاف منهم في البقاع واستولوا على بيت  
 المقدس بعد حصار قصير الامد ( ٢٣ أغسطس ) واحتلوا فلسطين وانحازوا الى  
 القوات المصرية بغزة (٣) . قام المنصور صاحب حصن مرة أخرى بالمبادرة الى عقد

(١) التقييرون : السلوك ج ١ ص ٣٩٥

السيفي : عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤١

ابرايم عاسن : التيجون ا زاهرة ج ٦ ص ٣٢٢

(٢) ابرشاة : الذيل على الـ... ص ١٧٤

(٣) Howarth: History of the Mongols. vol III P. 456



حلف مؤلف من المسلمين والفرنج بالشام لفتحهم وحفت على غزو الجيوش المتحالفة من مصر ودمشق والكرك <sup>(١)</sup> . دلى أن الخوارزمية والصريين بقيادة الأمير ركن الدين سيررازلوا الهزيمة الساحقة بالفرنج فلم ينج من القتل سوى نحو (٥٠) من الداوية والاستنارية) ، أكتوبر ١٢٤٤ يادر بيوس بقواته لحصار عسقلان بينما استولى حكام الصالح ايوب على السلطة بفلسطين وكان حادث استيلاء الخوارزمية على بيت المقدس سببا مباشرا من أسباب الحملة السابعة .

ولنحطة السابعة أهمية خاصة في تاريخ الحروب الصليبية وفي تاريخ مصر ، نظرا لأنها عاصرت تلك نهاية الدولة الايوبية وبداية دولة المماليك ، وقصد بدأت الدعوة لائحة سنة ١٢٤٥ فاستجاب لها الملك لبيس التاسع الذي اشتهر بالتقوى والصالح <sup>وكانت</sup> احوال العالم المسيحي وقتذاك شديدة الملائمة <sup>(٢)</sup> ، اذ اجتاج انتار العالم الاسلامي حتى وصلوا لتخيم بغداد ، وبعد هزيمة السلاجقة اصبح الطريق الى بلاد الشام مفتوحا <sup>(٣)</sup> . وفي سنة ١٢٤٣ م قاموا بهجوم على سوريا عن طريق مينا قارقين وماردين والرها وتقدموا عبر الفرات الى حلب ووصلوا الى باب جيلان ويشير ماثيو باري الى أن أهلها دفعوا بجزية . <sup>(٤)</sup>

Camp Med. Hist. vol. IV. P. 636

(١)

(٢) ابن السبكي : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦

(٣)

Howorth: op. cit. vol III P. 456

Howorth: op. cit. vol III P. 456

(٤)

ونظر المسيحيون الى قوة المفلول وتهديدها للعالم الاسلامي نظرة ارتياح ورأوا من الخير لهم ترك كلا الفريقين يصارع الآخر حتى يقضيا على بعضهما البعض وعندئذ يصبح بوسع البابا التأثير عليهم ودفع سائر المذاهب عن طريق نشر المسيحية . وهذا يتوقف توسعهم اتجاه اوروبا واعتقد البابا ان باستطاعته تأليف حلف صليبي مفلولي فيصبح الشرق الاوسط بين شقي الرخا فيهجم المفلول على الشرق الاسلامي من الناحية الشرقية في حين يقوم لويس التاسع بالهجوم على فلسطين والشام من ناحية البحر المتوسط (١) . ولقد تناسى البابا شيئا هاما وهو أن المفلول قد قاموا بالفعل بمهاجمة البلاد المسيحية مثل انطاكية وجورجيا وهنغاريا وطرابزون ، واستنجد الحشيشية بالضرب للوقوف امام هذا الخطر المشترك ولكن لم يجدوا آذانا صاغية ولم يجدوا استجابة الا عند فردريك بربروسه .

ارسل البابا مبعوثين ١٢٤٥ م لمحاولة اقناع المفلول بتنفيذ هذا

التحالف فأرسل

ولكن الخاقان اصر على أن يدخل البابا وجميع امراء الغرب في طاعته أولا . وأخبره أن المفلول لا ينفخون الا الفتح . ولكن البابا اتوسنت الرابع مازال مؤمنا بجسدي التحالف مع المفلول فأرسل أحد الدونسيكان

في سلالة ثالثة فرحل عبر سوريا وقابل حاكم المفلول في تبريز سنة ١٢٤٧ . وكان المفلول مستعدين لمناقشة امر التحالف ضد الايوبيين اذ كانوا يعدون العدة لمهاجمة بغداد (٢) وكان اشتباك الصليبيين مع الايوبيين سيشفل مسلي سوريا عن مسد

(١) زيادة : (محمد مصطفى) حملة لويس التاسع على مصر ٨٣

Camb. Med. Hist. vol IV, P. 638.

(٢)

الممن إلى الخلافة العباسية ، وأرسل الخاقان إلى البابا مبعوثين ولكنه كان دورهما مقصورا على التشاور لا اتخاذ خطوات ايجابية . وأرسل مبعوثا البابا رسالة يبدى أسفه على عدم تحقيق التعاون ضد الأيوبيين . (١) وحسب شرح لوس في أعداد الحملة جعل وجهتها مصر نظرا لأن الدولة اللاتينية فسبى القسطنطينية لم تعد تثير اهتمام العالم الغربي ، فيسمى لانقاذها واستفريق الأعداد للحملة ثلاث سنوات وبلغت أثناء تلك الاستعدادات الصالح أيوب عمن طريق الأبرار الحورية نودريك الثاني الذي أنبأه لوس بصفته صاحب الحق في عكا . (٢)

ولم تشارك البندقية في الحملة في البداية حرصا على مصالحها التجارية في مصر ، واشتركت بدلا منها بيزا وجنوة (٣) . وغادرت الحملة فرنسا ١٢ أغسطس ١٢٤٨ ورحلت إلى ليبيا حول عاصمة قبرص ورأى لوس أنه إذا استطاع الاستيلاء على دمياط فانه سيستخدمها وسيلة للمساومة على بيت المقدس وسوف يفرج النصارى البندقية للاشتراك في الحملة (٤) . وصل لوس التاسع إلى قبرص في سبتمبر ١٢٤٨ ، ظل مقيما بقبرص مدة طويلة حتى يكمل احتشاد العساكر . غير أن أرجاء المسير كان له آثار سيئة ، منها وفاة كثير من النبلاء المشتركين ، ومنها ضياع فوج مواتية لمهاجمة مصر ذلك أن السلطان الصالح أيوب توجه على رأس جيشه

(١) Runicman: op. cit. vol III P. 260

(٢) أبوالمحسن : النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٢١١

(٣) Heyd: op. cit. Tome I P. 404

(٤) Grousset: op. cit. Tome II P. 434

الى الشام وهاجم الناصر امير حلب ، وانصرف عساكره لحصار حصن اثناء شتاء ١٢٤٨ - ١٢٤٩ . والواقع ان هذه الشهور كانت فرصة مواتية للمبادرة بالمسير الى مصر . فالانتظار حتى فصل الربيع ليس له من معنى سوى ان الصليبيين سوف لا يأملون في أن يقيموا رأس جسر قبل حلول الفيضان فيصير اجتياز الدلتا أمرا يكاد يكون مستحيلا وأن اثمرت تلك الفترة علاقات مع اطراف عديدة كالمغول والسلاجقة والبيزنطيين وأمراء اللاتين بالقسطنطينية - وأمراء المورة . فسمى الملك لويس الى التحالف مع المغول ووصل اليه اثنان من التساطرة

بعضهم القائد المغولي نائب الخاقان الاعظم

وكان الخطاب يتحدث عن التقارب بين المغول والصليبيين وارسل لويس معهم وأخوة الذي يتكلم المربية ولكن الخلقان كيوك كان قد توفي وتولت الامر (١) بدلا منه " زوجته ولقد اخذت عن عقد تحالف بسبب الصحاب التي تعرض الحملة في تلك الفترة وتمنعها من ارسال حملة للغرب . ولم تصل الحملة الا بعد ثلاث سنوات ١٢٥٢ م بعد فشل الحملة وكانت تحمل خطاب كلك التي يرسلها السادة الى اتباعهم ، وتطلب الانتظام في ارسال المهلدايا . وارادت القسطنطينية استفلال الحملة لصالحها بعد

أن أضحى بلدوين الثانى امبراطور القسطنطينية فى حالة من الفقر يرثى له —  
 وتردت امبراطوريته فى مهاوى الانهيار وخاصة بعد ازدياد قوة حاكم نيقية —  
 ولم تعد ملكة اللاتين فى القسطنطينية الا رقعة ضيقة (١) حول القسطنطينية —  
 ولم يعد بينه وبين اتباعه الا ولا • اسى ليس له وزن ولم يعد مستقبل الامبراطورية —  
 شيئا جوهريا • فرغم امكانيات الاتباع المادية والبشرية فانهم آثروا الاشتراك فى  
 حملة لويس التاسع على مصر على انقاذ امبراطوريتهم ومن هؤلاء الاتباع حاكم اخيا وحكلم  
 المورة • ارسل المملوكون برجانديا لما اشتهر به هو وفرسانه من قوة وشجاعة —  
 ولقد قضى الدوق الشتاء فى اثناءه فى الاشتراك فى الحملة • ولقد اشترك بما  
 يقرب من اربع وعشرين سفينة حربية كاملة المتاد والمؤن وبدلا من ان يسمى لويس  
 بالتماس المساعدة من امبراطور القسطنطينية • سعى هذا الامبراطور الياس السى  
 الملك لهنرى التاسع (٢) • رأى بلدوين فى تلك الحملة بارقة أمل لانقاذ امبراطوريته  
 فسمى الى تنفيذ سير الحملة كما حدث فى الحملة الرابعة وتوجيهها الى البيزنطيين  
 فى نيقية أو مساعدتهم على الاقل ببعض قوات الحملة • وأرسل الامبراطور بلدوين

---

Miller: Essays of the latin Orient P. 91 (١)

Joinville (Jean Sire de: The History of st. Louis. Trans. joan Evans P. 41 (٢)

زوجته ماريا <sup>(١)</sup> برسين ابنت حنظلي بيهون لمحاولة التأثير على لويس ، وكانت تمت له بصلة القرابة . اورد جوفانفيل مؤرخ الحملة ، وصفا لتلك الرحلة . كان جوفانفيل يعمل لحكام القسطنطينية اللاتين ، وتبادل مع بلدوين الرسائل المتديدة ، وكان جوفانفيل وحضر الامراء الصليبيين يعملون الى مساعدة القسطنطينية . واستقبلها جوفانفيل وحملها رسائل تأييد من حوالي مائتي من الصليبيين يظهرهم الود واستمدادهم لتأييد بلدوين ، بل أكد لها انه وحوالي ثلاثمائة فارس على استعداد للذهاب فوراً الى القسطنطينية اذ وافق الملك لويس ، بل وانتهى الى لويس رغبته . ولكن لويس رفض هذا الرجاء فعلى الرغم كان يحيل الى الاستجابة لرجاء الإمبراطورة ماريا برسين فانه صارحها بأنه من الاجدى ان تنجح الحملة الى المسلمين والى مصر بالذات نظراً لانهم لا يحتمل تشتيت قواته وتوجيهها الى جبهتين . وكان لويس شديد الاقتناع بالاجدى من مساعدة القسطنطينية . وكل ما فعلته ماريا ان عقدت زواج شقيقها حنا دى برين صاحب عكا على كونتيسة مونفيرات .

أما موقف الايوبيين من الحملة السابعة ، فان الصالح أيوب كان يعتقد أن الحملة ستوجه الى الشام . ولكن بعد أن تبين له أن الحملة موجهة الى مصر

وسارح بالعودة الى اشهر طناح ليكون في مقابلة الفرنج اذا وصلوا الى دمياط (١)  
 وارسل الجيش بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيخ وامر باعداد دمياط وتجهيزها  
 بمستودعات الذخيرة والاسلحة والمؤن واعداد اسطول نهري ، ولكن لويس استطاع  
 الاستيلاء على دمياط وانسحب فخر الدين بجيشه ، ورحل الصالح بالجيش  
 الى المنصورة ، وتأخر لويس في الزحف الى القاهرة ، وبدأ ارتفاع النيل ولم يكن  
 امراء الصليبيون الذين يرافقون لويس يبدون اهتماما بالحملات وحصونها .

وفي الوقت الذي اتخذ فيه لويس طريقه الى المنصورة توفي الصالح ايسوب  
 في ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩ . ولم يكن لوفاته تأثير مباشر على الموقف بفضل الادلة القوية  
 التي أنشأها ، وهي الماليك التي استكر منهم وما اشتهرت به زوجته شجر الدر من قوة  
 الشخصية ، ان اخفت خبر وفاة الصالح وتولت الادارة باسمه بموافقة المواليك البحرية  
 ثم استدعت توران شاه بن الصالح من حصن كيفا غير أنه لم يصل حتى نهاية فبراير  
 سنة ١٢٥٠ م (٢) .

وبعد فشل حملة لويس التاسع على مصر سنة ١٢٥٠ م سعى حاكم طرابلسون  
 الى التقرب الى لويس اثناء حصار صيدا ، كما ذهبت وفود من السلاجقة بالهدايا  
 الى لويس التاسع سعيا للتخالف ضد مصر (٣)

- (١) التهميز : نهاية الارب في فنون الادب ج ٢٧ ورقة ٩٠ ومخطوط رقم ١٤٩٥ تاريخ  
 ابن واصل : مفتي الكروب ج ٢ ورقة ٢٥٥ (مخطوط رقم ٥٣١٩) تاريخ  
 (٢) لم يلبث توران شاه في الحكم سوى شهر حتى قتل على يد الماليك واهم ما ترتب على  
 مقتله من تطور في تاريخ الشرق الاسلامي وسقوط الدولة الايوبية وقيام دولة الماليك  
 زيادة حملة لويس التاسع ص ٢٠٦

( الفصل السادس )

\* الملاحظات الختامية \*



العلاقات الاجتماعية - تبادل الزيارات - التسامح الدينى -  
التأثير الحضارى المتبادل بين العرب وميزنطة - أثر  
الحرب الصليبية على الايوبيين والبيزنطيين - اثر العرب  
وميزنطة فى الحضارة الايطالية - التجارة - الاجراءات  
الجمركية ...



## الملاقات الاجتماعية :

## تبادل الزيارات :

تحتل الامبراطورية البيزنطية موقعا ممتازا ، اذ تقع في ملتقى الاتصال بين آسيا واوربا وافريقيا ، وتربطها كل الطرق البرية والبحرية التي تصل بين اوروبا الشرقية والبحر المتوسط (١) ، ورغم قيام الحروب الصليبية واضطراب التجارة ، ثم سقوط القسطنطينية ، وتحذر السير ، وصعوبة الرحلة لاسباب سياسية وطبيعية ، فضلا عن العلاقات العدائية ، فان كثيرا ممن الرحالة العرب زاروا القسطنطينية التي نزلت بها جاليات اسلامية ولا سيما من سوريا (٢) ، والملاحظ ان البيزنطيين لم تجذبهم الرحلات لتدوين تقارير عن مشاهداتهم في الشرق ، بعكس الرحالة العرب الذين زاروا بيزنطة وعرضوا صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية ، والمعاملات ، والتجارة ، والادارة ، ساعدت المسلمين في فترة فتوحهم الاولى على تنظيم احوالهم الادارية .

وصف العرب الطرق المؤدية الى بيزنطة ، والزمن الذي يستغرقه المسافرين في رحلته ، بل اعطوا صورة عن التسامح والمعاملة الطيبة التي لقيهم بها العرب من الحكام البيزنطيين (٣) ، فلم يتعرضوا للكراهية التي تعرض لها اللاتين (٤) ، بل ان التسميات الجغرافية التي

(١) Baynes ( N. ) : Byzantium. P. 67

(٢) المدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١٥٨

(٣) Baynes : op. cit. P. 68.

(٤) كلارى : فتح القسطنطينية ص ١٣٢

أوردها العرب لبيزنطة ، اعتمد عليها الجغرافيون الغربيون ، وكتب  
كثير من الرحالة العرب عن القسطنطينية في الفترة السابقة للحروب  
الصليبية أمثال هارون بن يحيى الذي كان أسيرا في القسطنطينية  
ثم ابن خرداذبه (١) .

أما فترة الحروب الصليبية التي ساد فيها انهيار بيزنطة ،  
فإن الرحالة العرب بهرتهم بيزنطة بحضارتها وثرائها وآثارها  
وعجائبها ، وأبدوا إعجابهم بالمدينة التي وصفها روبرت كلاري بأن فيها  
ثلثي ثروة العالم ، فزارها الرحالة العرب الهروي ، والأدريسي في حكم  
آل كومنين و (٢) .

وكتب الجغرافيون العرب عددا من الكتب الجغرافية - انطوت  
فصول منها على وصف كامل لبيزنطة ومدنها وتقسيماتها الجغرافية عمن هؤلاء  
الجغرافيين ياقوت الحموي الذي ذكر الفترة التي كانت فيها بيزنطة في يمد  
الفرنج (٣) ثم ابن الأثير الجزري الذي ألف كتابا جمع فيه بين جميع كتابات  
الرحالة الذين زاروا القسطنطينية في تلك الفترة . وتشرح تلك  
الرحلات الملاقة الوثيقة بين الجانب الإسلامي والبيزنطي

- (١) Brooks : Arabic lists : P 27 (journal)  
of Hellenic studies vol: xxi. (٢)  
Miller : op. cit. P. 262.  
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١٠ ص ٣٦٠

قال الهيرودس الذي زار القسطنطينية في عهد مانويل بهرته عظيمة  
 بيزنطة وشروطها ، وكان الهيرودس مقربا من الملك الظاهر بن صلاح الدين ،  
 ويورد الهيرودس وصفا لاسواقها وبياديتها وآثارها ومنازلاتها ، ويعتقد  
 مقارنة بين منارة الاسكندرية ومنارة القسطنطينية "المنارة المجيئة"  
 بمدينة القسطنطينية ، منها منارة موشوقة بالرصاص في البصر وهو الميدان  
 ويورد وصف لبلاط الملك ويذكر الصليب المجنون وحكايته ، والبيمارستان .  
 ثم يذكر التسامح الذي يتمتع به الرحالة والمعاملات الطيبة التي يلقاها  
 المسلمون ، والتي لقيها هو من الامبراطور مانويل . كما يذكر كنيسته  
 ابا صوفيا اذ اشار الى انه سيذكر ترتيب هذه الكنائس وتعلقها وابوابها  
 وعلوها وطولها وعرضها والممد التي بها وعجايب هذه المدينة وقواضعها  
 والسك الذي بها ، وباب الذهب وجميع ما بها من الآثار والمجايب ،  
 مما فعل الملك مانويل معى من الخير والاحسان ، في كتاب المجايب . كما ذكر  
 كما تقدم ان شاء الله تعالى وهذه <sup>المدينة</sup> (القسطنطينية) اكبر مدن  
 اسمها نسأل الله تعالى ان يجعلها دار الاسلام بينه وكرم (١)

( ١ ) الهيرودس : الاشارات الى معرف الزيارات ورقة ١٩٧

( مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٧٤٧٤ جغرافيا )

اما الرحالة الثاني فهو الادريسي الذي رسم صورة تقريبية لما اورد، الهروي

فتحدث عن المزارات الاسلامية وقد رأى الكهف "اصحاب الكهف فهم نسي  
كهف في سلق ونيقية" وتحدث عن بيزنطة، ومدنها وشواطئها  
وموانئها كطرابيزون وسنية وسالونيك فالساحل للبيزنطى كله اجوان وجبال  
\* وتكلم عن قوة منشآت بيزنطة التي اقامتها لحماية شواطئها ومدنها،  
وعن خليج القسطنطينية، الذي يصل بين القسطنطينية وبحر الشام  
وطوله، وعن المآصر والابراج، وكلي للخليج، فوهتان احدهما  
تصل ببحر الشام في جهة الجنوب، وتحدث الادريسي عن تقسيمها  
الجغرافي (١) في حين لم يعط المؤرخون الغربيون معلومات وافية عن  
ذلك ولقد وصفها صفا دقيقا. لم يرد لدى اى مؤرخ يوناني قسارود  
في البلونيز ١٣ مدينة وأشار الى نباتات كورفو واثينا.

واجمع رحالة ذلك العصر على الاشادة بما نعموا به من  
معاملة طيبة، وما يلاقيه المسلمون، رحالة وتجار، من حسن  
معاملة. وكان جميع الرحالة على دراية بعملها اليونان وفلاسفتهم  
وابدوا اعجابهم بهم.

وما حدث من تبادل السفارات بين المسلمين والبيزنطيين

كان لها مراسيم استقبال خاصة ، تجرى على أسلوب دقيق عند كسلا  
 الجانبين ولقد اتفق الاباطرة البيزنطيون الاموال الضخمة على  
 البعثات والضيوف الذين قاموا بزيارة القسطنطينية متشبهين بالسلطان  
 الشرقى (١) . وشغل عرب المشرق مركزا وفيما عن عرب المغرب  
 في البلاط البيزنطى ولقى سفراء الايوبيين من قبل نور الدين  
 والعباسيين كل تكريم (٢) ، وتدلتا الحوليات البيزنطية على أن  
 الاباطرة اهتموا بتزويد سفرائهم بالثروة حتى يبهروا العالم الاسمى .  
 وكانت مظاهر الاحتفال تتمثل فى المجاملات الدبلوماسية ، وعسكرة  
 القوات العسكرية ومشاهدة آثار العاصمة ، وكتاب الامبراطور قسطنطين  
 الذى الف فى القرن العاشر والمعروف باسم بمرصوفها لمراسيم  
 السلطان البيزنطى للاستقبالات (٣) ورغم فترة الضعف والانحسار  
 الاقتصادى ، امتازت بعثات بيزنطة الى الشرق بالفخامة . ولقى  
 البيزنطيون من الجانب الاسلامى كل اهتمام وكانت البعثات اسلامية  
 والبيزنطية تصحب عادة مترجمين يجيدون اللغة العربية واليونانية ،  
 وكان كل من البيزنطيين والمسلمين ، يسعى الى اختيار سفرائه  
 من الاشخاص المقربين الموثوق بهم (٤) وكانت البعثات البيزنطية الى الخارج

(١) Runciman : op. cit. vol. III. P. 475.

(٢) Baynes : op. cit. P. 312.

(٣) Baynes : op. cit. P. 312.

(٤) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٨٦

ترحل في حاشية كبيرة ، محملة بالهدايا والاطعمة السنية والجواهر  
والذهب والحرير والحيوانات النادرة ، وكذلك امتازت سفارات الجانب  
الاسلامي ايضا بالبذخ ، واهتم المباسيون بامر التقاليد الدبلوماسية ،  
وكان السفراء يوضعون عادة تحت رقابة دقيقة (١) واستمرت تلك التقاليد  
سائدة في عهد الدولة الایهية التي حرصت على علاقات الصداقة  
والود •

وحرص ديوان الانشاء على استخدام صيغ وعبارات خاصة ، فسي  
الكتابة الى الاباطرة البيزنطيين •

كانت هناك صيغة خاصة يخاطب بها امپراتور القسطنطينية  
او باسيليوس مراتب التفخيم ، وكانت الصيغ في الحرب تختلف عنها  
في السلم بما تشمله من دعاوى وتقديم وتفخيم ، وفي الفترة التي تلت  
مقوط القسطنطينية ١٢٠٤ وانقسامها الى ممالك اتخذ ديوان الانشاء  
صيغة تلائم كل حاكم ، اذ جعل صيغا خاصة بحكام نيقية وصيغا خاصة  
بحكام سالونيك ، ومن الالفاظ التي اعتادت الدبلوماسية اطلاقها على  
الامپراتور نمطان (٢) ، النمط الاول ، اكثر مافيه صفات الشجاعة مثل  
الاسد الضرغام ، الهمام ، الفضنفر ، الباسل ثم القاب مركبة •

(١) رنسان : الحضارة البيزنطية ص ١٨٥

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ج ٨ ص ٤٣





والفترة الاولى من حكم الایوميين تخللتها سفارات عديدة من كلا الجانبين وهي فترة حكم صلاح الدين وابنه العزيز وحكم اندرونيكس واسحق انجيلوس من الجانب البيزنطى (١) . اما الفترة التى تلت سقوط القسطنطينية فلم تتبادل فيها سفارات ، ثم كثر تبادل السفارات زمن المالک واسرة باليولوجوس وحرض صلاح الدين على استقبال السفراء البيزنطيين ، وتفويض العادل فى رعايتهم كما حدث فى السفارات التى استقبلها من قبل كل اندرونيكس واسحق (٢) ، اما سفارته الى الجانب البيزنطى كسفارة سنة ١١٨٥ فكانت تحصل نفائس وحيوانات وانواع البهار التى يهتم بها الشرق البيزنطى ، ولقد قدرت بما يقرب من ٦٦٢٥ هيبادوس (٣) .

وكان رد اسحاق على ذلك بهدايا تضارعها فى الفخامة منها تاج مرصع واستقباله الرسل فى قصر متين ~~استقبل~~ استقبالاً عظيماً واحاطهم بمظاهر الاحترام . وفى سنة ١١٩١ م ارسل اسحاق مرة اخرى رسولا وهدايا وقام العادل باستقبالهم ، وكان يصحب كل تلك السفارات مترجم يجيد اليونانية والعربية ، والفرنسية وكان صلاح الدين يرسل من يشق فيهم

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٢٩

(٢) ابوشامة : الروضتين ج ٢ ص ٣١٩

(٣) عملة بيزنطية

من السفراء ومن يجيدون اللغة اليونانية ، فأرسل ابن البوزار المصري سفيرا (١)  
ولما كانت تتطلبه تلك المهام من مهارة ودقة ، بل ان بعض السفارات الشرقية  
حظيت بما لم تحظ به سفارات الغرب وكان القرض من تلك السفارات  
الحري على اقامة الشعائر الدينية واقامة جبهة ضد اللاتين .

التسامح الديني :

نعم مواطنو كلا الجانبين البيزنطي والاسلامي برعاية الطرف الآخر  
للسلمو حالة والتجار سواء ، ونعم المسلمون برعاية لم يحظ بهما  
اللاتين (٢) . وتردد صدع الصاملة الطيبة التي لقيها المسلمون فسي  
كتابات الرحالة ، وفي رسائل صلاح الدين الى اباطرة القسطنطينية ، فالمزارات  
الاسلامية تنتشر في طول الاراضي البيزنطية وعرضها وظلت كذلك حتى  
بعد سقوط القسطنطينية زمن اللاتين . كما ان ~~القسطنطينية~~  
~~القسطنطينية~~ وابن سعيد المغربي النجدي عاصروا تلك  
الفترة .

(١) المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٢٩

(٢) بنيامين : رحلة بنيامين ص ٧٧

وكان مما استوحى انتباه الهروى كثرة المزارات الاسلامية ومقابر المسلمين ،  
 الذين استشهدوا في القسطنطينية التي تلقى كل رعاية من الدولة واحترام  
 من البيزنطيين . وكذلك اشار الى الجوامع المقامة في القسطنطينية والتي  
 يتردد عليها المسلمون ويؤدون شعائهم بلا حرج ولا ضغط من  
 السلطات البيزنطية . ففي جانب سورها قبر ابو الايوب الانصاري  
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه خالد بن يزيد ، وبها  
 الجامع الذي شيده مسلمة بن عبد الملك والتابعون ، وفيه قبر رجل  
 من ولد الحسين . بل نجد ان في مدينة كسالونيك ونيقية ان الكنائس  
 تجاورت التي الى جانب الجامع . وفي مدينة قونية قبر افلاطون الحكيم  
 بالكنيسة الى جانب الجامع - في مدينة لاموق وهو موضع ببلاد السرم  
 يزار في الافاق ويقال ان بها شهيد مصر بن الخطاب يقال انهم لا يملسون  
 وهناك كنيسة لطيفة ومسجد فان كان الزائر مسلما اتوا به الى المسجد وان  
 كان نصرانيا اتوا به الى الكنيسة ، وزار مدينة ابيس<sup>(١)</sup> ، وبها  
 الكهف الذي ذكر في القرآن ، فحول الهروى خير مثال على مدى  
 العلاقات الوليدة وعلى مدى التسامح ، رغم ان الفترة التي زار فيها  
 القسطنطينية وهي فترة حكم مانويل<sup>(٢)</sup> ، كانت تتخللها الحملات على مصر .

(١) ابيس هي افسسوس

(٢) الهروى : الاشارات الى معرفة الزيارات ص ١٩٧

واهتم صلاح الدين وخلفاءه بمعاورة جامع القسطنطينية وارسال المقرئين اليه ، ونحوه من المسلمين بالرعاية والعملية من الملحقين <sup>(١)</sup> البيزنطية .

ولقى البيزنطيون الرعاية من صلاح الدين وخلفائه ، فكما اهتمهم صلاح الدين بمعاورة مسجد القسطنطينية اهتم اسحق بأمر الكنائس اليونانية والشمائر والسماح للمسيحيين بتأديتها ، والسماح باخراج موتاهم بالشيوخ . بل وارسال صلاح الدين الى بوزطة الصليبيات ، واشتھر ملوك الايوبيين بتسامحهم كما لقي المسيحيين اليونانيون وخاصة في انطاكية معاملة طيبة ، بل ان صلاح الدين حول بعض الكنائس التي استولى عليها الى المذهب الارثوذكسي ، وكان اليونانيون في بيت المقدس يفضلون حكم المسلمين على اللاتين ، ونعم المسيحيون عامة رغم الحروب الصليبية بتسامح كبير من الحكام الايوبيين ، وامتاز الملك الكامل بتسامحه وكرمه وقامت علاقات بينه وبين الامبراطور فردريك الثاني <sup>(٢)</sup> ، فأفاد من تلك المعاملة الطيبة المسيحيون جميعا سواء اللاتين او اليونانيون ، وكان صلاح الدين في بداية حكمه قد استغنى عن خدمات المسيحيين ففسى الدواوين ولكن لم يلبث ان اعادهم سنة ١٢٢٧م الى اهلهم لدرائتهم

(١) الهروي : الاشارات الى معرفة الزيارات ورقة ١٩٢

Lane - Poole : A Hist. ory of Egypt. P. 240

بالاعمال الديوانية في تلك المصور ، واتخذ المادل كاتباً قبطياً  
 من أسرة النحال ، ووافق القبط صلاح الدين في غزواته <sup>(١)</sup> ، وكان  
 القاضي شهاب الدين الطوسي قد أطلق كنيستين فأمر صلاح  
 الدين بفتحهما ، وكان في خدمة الملك الكامل الطبيب ابو شاكسر <sup>(٢)</sup>  
 ووفر الكامل تمويل مسجد بجوار الكنيسة المحلقة  
 بمدينة القسطنطينية ، بناء على رجاء طبيبه ، وصر بعض الاقباط في  
 الملم المربية ، وابدى بعض الاثوذكس كنهلاً من سرورهم بوجودهم  
 في مصر ، لأن المادل أحسن معاملتهم ، من الكاثوليك على خلاف  
 ما كان يفعله الصليبيون ، وكان عدد الكنائس يربو على مائة  
 كنيسة ، وكان المسيحيين يتعرضون لضرب المسلمين خلال فترات  
 قسمل الحملات الصليبية فقط ، على حين ان الصليبيين كانوا  
 يعتدون على اراضي كل من المسلمين والمسيحيين .

### التأثير الحضارى المتبادل بين العرب وبيزنطة :

ظلت الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية قروناً عديدة على  
 اتصال وثيق برغم المدا والسفر والحروب التي نشبت بينهما وتأثرت

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٢٤

(٢) النويري : نهاية الارب ج ٢٢ ص ١٠

كل منهما يالاخرى في النواحي الحضارية والفنية والفكرية ، اذ استمد كل منهما حضارته من التراث الكلاسيكى الاغريقى ، فالفتح العربى امتدت الى مراكز الثقافة الهلنسية اشمال انطاكية فى الشام وقيصريّة وخرّبه فى فلسطين والاسكندريّة بمصر ثم حران ومراكيز الحياة الفكرية الهلنسية ، (١) كما افاد العرب من الحضارة الفارسيّة والحضارات القديمة فى العلم والفن قبل أن يدخلوا فى عداد الامم ذات الثقافة ، وما قلم من علاقات ودية وسن تبادل السفارات بين المسلمين والبيزنطيين اسهم الى حد كبير فيها تأثر بسن المسلمين من النظم البيزنطية .

أما بيزنطة فقد تأثرت بالشرق العربى حتى أصبحت تحف بأنها دولة بيروقراطية نصف شرقية .<sup>(٢)</sup>

ولكن قيام الحروب الصليبية دفعت العالمين البيزنطى والاسلامى الى توجيه انظارهم وقواهم الى المجال العربى والعسكرى وصرفهما عن

Camb. Med. Hist. col IV. P. 774

(١)

Baynes : op. cit. P. 322.

(٢)

المجال الحضارى وسجال توطيد العلاقات السلمية فى الفنون والآداب . فلم تحدث اشتباكات وحروب مثلما حدث فى الفترة السابقة <sup>(١)</sup> . وإن كان العنصر الاسلامى الذى تأثر ببيزنطة فى تلك الفترة هو سلاجقة الروم فوخصت ملاحظتهم بالحديث عن خروجهم من بيزنطة . وكان السلاجقة على اتصال وصراع دائم بالقسطنطينية ونشأت بينهم علاقات عديدة وتمسرت الحضارة البيزنطية اليهم تأثر ببناء المساجد فى قوتيه بالانماط اليونانية والتقاليد الفنية البيزنطية <sup>(٢)</sup> . وسعى البيزنطيون للتبشير بالمسيحية ونجحوا الى حد ما فى الفترة الاخيرة من التاريخ السلجوقى ، وارتبط بعضهم بمقعد القاهرة مع البيزنطيين . ولكن هذا لا يمنع من وصول بعض التأثيرات البيزنطية فى تلك الفترة اذ كان من التجار سواء من العرب والبيزنطيين يجد لغة الآخر كما اشار

---

(١) Bayens : op. cit. P. 222

(٢) Miller : Essays on the Latin orient p.527

(٣) كان لكل من كونت طرابلس وحاكم انطاكية حرس من المسلمين الاتراك كانوا من المولدين من امهات يونانيات .

Miller ; op. cit. P. 527

كما اشار الى ذلك ابن جبير<sup>(١)</sup> ، وتسربت كثير من اللفاظ  
 المصرية الى اللغة اليونانية ولاسيما في المجال التجاري كلفاظ  
 Admiral, Dinarus وكذلك اسما بعض المنسوجات  
 ودفع لومس التاسع فديته بالدينار البيزنطي<sup>(٢)</sup> . وهناك بعض  
 امثلة قليلة للتمازج في المجال الثقافي فنجد المصر المباسسي  
 اعتاد الطلاب التردد على القسطنطينية للتزود بالعلم . ففي  
 اواخر القرن الحادي عشر كان يتسرد على القسطنطينية طلبة  
 من العرب بل من بغداد نفسها وقام احد علمائهم وهو باسوليوس  
 بدراسة الآداب المصرية واليهودية القديمة<sup>(٣)</sup> . فما زالت  
 التأثيرات البيزنطية المعمارية واضحة في العمارة في مصر الايوسى ،  
 وما زال بعض المهندسين اليونانيين يسممون في المعامير  
 الاسلامية ، ومن الدليل على ذلك الثلاث بوابات التي بنيت

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٢١٣

Wiet : op. cit. P. 282

(٢)

(٣) ريسان : الحضارة البيزنطية ص



في عصر المميز علم ١٠٧٨ م وهي باب النصر ، باب زويلة ، باب  
الفتح والتي قام ببنائها ثلاثة اخوة من الرها وكانت على الطراز  
البيزنطى وتم تجديد تلك البوابات بواسطة احد الرهبان  
اليونان في العهد الايوبي (١) .

وتشمل عمائر صلاح الدين الحربية في القاهرة قواعد الفسح  
الحرسى المعماري في المدرستين اللاتينية ، العربية البيزنطية  
أحسن التمثيل وتوضح مدى التفاعل بينهما الحصون في بلاد الشام  
يبدو فيه هذا التأثير (٢) ، وكان الفرنج يسهرون وفق التأثير

البيزنطى وان كان التأثير العربي يتسلسل ظاهرياً  
واهتم الامبراطور البيزنطى بعمارة الكنائس والاحبار بالزخارف  
والفسيفساء اليونانية ولا سيما كنيسة بيت لحم (٣) ، واشتهر البيزنطيون

بصناعة الفسيفساء والفنون الصغرى الخفسر البارز الذى يروعوا فيه  
وخاصة الذهب والمينا ، وحاول المسلمون تقليد هم وان كانت الامثلة  
الاسلامية في هذا المجال نادرة . واورد المسقري في قائمته عن  
الكنوز الفاطمية ، لوحات ذهبية مزخرفة بالمينا متعددة الالوان وشرفس

(١) Lane-Poole : A Hist. of Egypt. P. 247.

(٢) سحداوى : الحرب والسلم زمن العدوان الصليبي مر ٢٠٨

Brooks : the relation between the Empire and

Egypt P. 285 (Byzantinische Zeitschrift xxii

هناك الصور الفخيفة - الجدارية الموجودة في ابو غوش بلد المنسوب ،  
وهي اعمال يونانية من القرن الثاني عشر .

اطلال القسطنطينية على قرص من المعدن عليه زخرفة نباتية وكتابة بالميناء  
المحوتة بحواجز دقيقة Cloisine يرجع الى العصر الفاطمي (١)  
واهم النماذج البيزنطية المصروفة في صناعة المعادن الموحرفسة  
بالميناء طار من النحاس الاحمر محفوظ بمتحف فيرديناند بمدينة  
Innsbruck وفي هذا الطاس زخرفة مخفورة ، في وسطها  
جامة مرسوم فيها صورة ، تمثل صعيد الاسكندر ، وحولها جامات اخرى  
فيها حيوانات خرافية ، على ارضية من اشجار النخيل ، واشكال قائمة  
بذاتها ومع ان هذا الطاس بيزنطي الطراز فان عليه كتابة تثبت انه  
صنع لامير من امراء الدولة الارمنية في بلاد الجزيرة حكم حوالي النصف  
الثاني من القرن الثاني عشر (٢) ، وقد كانت بيزنطة تستورد بمصر  
النباتات الحية لديها من الدولة الابوية كالبلسان المستعمل في  
المواد الطبية والشب الذي يستعمل في الصلقة ، والبهار (٣) .  
واثر سقوط القسطنطينية على النهضة الحضارية ان تشتت السكان ،  
وتوقفت اعمال المدارس وتقاليدها ، ولم تكن الظروف مواتية لنهضة  
الاداب والفنون وازدهارها . واستمادة مجدها القديم . واصبحت

(١) زكي محمد حسن : الفنون الاسلامية ص ١١٣

(٢) زكي محمد حسن : تراث الاسلام ص ٣٥

(٣) ابن الاثير : تحفة المجانب ، ص ٥٢٠ - ٥٢١

ومخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٩٩ جغرافيا

القسطنطينية في حالة من الفقر والضعف حتى اختفى كل ما كان مسند  
اتصالها وسيطرتها على الكنائس الارثوذكسية ومنذ سقوط بيزنطية  
عام ١٢٠٤ م صار نفوذ بيزنطة وتأثيرها على الدول الاسلامية بالـ  
الندرة (١) .

### تأثير الحروب الصليبية على الايوبيين والبيزنطيين : =====

وللحروب الصليبية باعتبارها ظاهرة تاريخية لها تأثير كبير على  
كلا الجانبين الاسلامي والبيزنطي سواء من الناحية السياسية او الحضارية  
فحين بدأت هذه الحروب كانا المراكز الاساسيان للحضارة هما القاهرة  
والقسطنطينية ، ولما انتهت انتقلت الحضارة الى ايطاليا والى مسند  
الغرب الخفية ، تأثر الاوروبيون بكل من العرب والبيزنطيين ، فأبدوا  
اهتماما عظيما بمعلوماتهم في الادب والصناعة والفن . وكان الغرب فـسـى  
المرتبة الثالثة كما يشير جيبون ، ولكن الاحداث التي دارت حـول  
الغربيين فتحت اعينهم على العالم (٢) .

(١) ونيسمان : الحضارة البيزنطية ص ٣٥٩

(٢) Gibbon : op. cit. vol vi. P. 484

وعلى الرغم من أن الشعوب الغربية تفتقر إلى الخيال ، حتى تتصور ما يفيض به الشرق الإسلامي من ثروة وخيرات ، فإن الأسيى والحجاج الذين رأوا القسطنطينية والقاهرة وتحدثوا عن جمالها وعظمتها ورائحتها المذي كلوا له أكبر الاثر فيما عاد من فائدة على الغرب بينما عانى البيزنطيون والمسلمون من تلك الحرب ، ففي البداية تعرض العالم الغربي لهجوم الاعداء من جميع الجهات من النورمان والمرب والمجريين الذين جعلوا اقطارا اوسيا الغربية في حالة من الفوضى ، ثم كانت المرحلة الثانية في القرن الحادي عشر حين خرج المسيحيين الغربيين في اعداد ضخمة الى الشرق في الحروب الصليبية (١) وبدأت العلاقات بينهم وبين الشرق في مد وجزر ، وازدادت معلومات الغرب وتقدم خلال المائة عام التالية من الجروب ، وبدح كثير من الفلاسفة هذه الحروب ولكن تأثيرها صدم التقدم الحضارى في الشرق البيزنطى والصربى واذا كان الغرب قد استفاد من الناحية الحضارية فان حياة واعمال مليون من الناس ضاعت هباء في الشرق ، كان من الافضل ان تستخدم في النهوض بأحوال العالم الغربى (٢) . واذا نظرنا لتأثير الحرب بالنسبة للجانب الاسلامى فان الضرر كان اخف وطأة من التدمير

---

Gibbon : op. cit. vol IV. P. 486

(١)

Miller : op. cit. P. 572

Gibbon: op. cit. vol vi p. 486

(٢)

الذى اصاب لبيزنتيه (١) . فليست الحروب هي السبب الاساسى فى انهيار العالم الاسلامى كما حدث لبيزنتيه ، اثر التوسع التركى فى الخلافة العباسية ، وكانت عوامل الضعف تنخر فيها . اما الخلافة الفاطمية فان ما تعرضت له من الفوضى والاضطراب ، وما توالى على البلاد من الازمات الاقتصادية ، فضلا عن المصادمات بين الوزراء وقادة المناصر العسكرية المختلفة ، كل ذلك اسهم فيما يلحقه الدولة الفاطمية من الانهيار ولم يكن للصليبيين دخل فى ازدياد قوة الترك ، اذ امد الترك الاسلام بقوة جديدة ، على ان تأثير الفتح المغولى كان اكثرا ضررا بالنسبة للعالم الاسلامى والحضارة الاسلامية من تأثير الحروب الصليبية (٢) ولا يمكن القاء تبعة استدعاء المغول على الصليبيين فرغم ان الصليبيين سموا الى التحالف مع المغول ، فان من اهداف المغول الاساسية مهاجمة العالم الاسلامى والخلافة العباسية والابويين (٣) ولكن الصليبيين كانوا ، سببا فى ضعف موقف المسلمين تجاه المغول وتشتت قواهم ، وكان قيام الولايات الصليبية داخل فلسطين وبلاد الشام له تأثيره السىء على تلك الاقطار ، ولم ينجح من ذاكرة المسلمين على مصر المصور ولم يحاول

- 
- (١) Runciman : op. cit pol. III.P. 474  
 (٢) Runciman : op. cit. Pol. III.P. 473  
 (٣) Pirenne : the Tides of the History.Pol.II p. 185.

اهل البلاد تعلم عادات وتقاليد الخزاة \* فلم يسمح لهم  
دينهم بذلك \* وحاولت اخلاقهم البسطة دون محاكاة عاداتهم  
في السلم والحرب (١) \* أما البيزنطيون فانهم شعروا بحوزاتهم  
اللاتين بنوع من الترفع اذ احسوا بتفوقهم في الحضارة والفكر ولهذا  
كسب يقلل عنهم في المستوى الفكري والحضاري \*

وأعلن البيزنطيون انشاء خضوعهم لللاتين كراهيتهم الواضحة لسادتهم  
الجدد \* ولم تجد نفعا محاولة كل امبراطور لاتيني في التقرب من اهل  
القسطنطينية \* على ان قدم الصليبيين اسما الى الخلافة المباسمية  
فالنظرية الاسلامية في الحكم تعتمد على ان الخلفاء الذين يستمدون سلطانتهم  
من احد اركانهم من نسل النبي (٢) \* وكانت الخلافة في تلك الفترة عاجزة عن  
قيادة العالم الاسلامي من الناحية السياسية والجغرافية اذ خضعت  
للبيهيين ثم السلاجقة ثم الخوارزميين واصبح الخلفاء الموقفي يد ذرائعهم  
وقادتهم \* أما القادة الذين تولوا القتال ضد الصليبيين امثال  
نور الدين وصلاح الدين الايوبي فلقوا كل تقدير في سبيل توحيد العالم  
الاسلامي \*

Gibbon : op. cit. vol. VI. P. 483.

١

Runciman : op. cit. vol. III. P. 473

٢

اعترفوا بالسيادة الاسمية للخلافة العباسية فهم لا ينتمون للنبي بـسـل  
ان كيانهم قائم على انتصاراتهم وفتوحاتهم . فالحروب الصليبية  
واخطارها هي التي هيات لبني ايوب الظهور . وكما اقمين عن العالم  
الاسلامى ، فهم يمثلون القوة الحقيقية . ولقد ظل وجودهم مرتبطا  
بقيادتهم بالدفاع عن المملكة الاسلامية ضد الصليبيين . واذ تهاونوا  
كان ذلك اذانا باقول نجمهم . وقام الايوبيون بذلك الدور خير  
قيام .

وامتد اضطهاد الصليبيين الى اخوانهم فى الدين الارثوذكسى  
الذين ينتمون الى الكنيسة الاغريقية البيزنطية (١) على حين ان  
صلاح الدين طامح الى المسيحيين الارثوذكس من اللاتين . واعاد اليهم  
كنائسهم . فالاسلام لم يعرف التحصب ومع ان كل عقيدة جديدة  
تسمى لاضطهاد اتباع المقائد الاخرى ، فان العقيدة الاسلامية  
اعتبرت المسيحيين واليهود اهل ذمة ولم تسمى اليهم (٢) . والمصروف  
ان المسيحيين قاموا بنشاط مجيد فى المجتمع ، بل ان عددا من  
المفكرين والكتّاب العرب كانوا مسيحيين ، وكان الاطباء مسلمة

---

( ١ ) Runicman : Op. cit. vol. III. P. 473

( ٢ ) ابن الصبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٣

وكان الاطباء معاندة عن المسيحيين<sup>(١)</sup> . وكانت حرية العقيدة مكفولة بنصوص  
 القرآن وحدث أثناء نشوب الصراع بين البيزنطة والمسلمين ان  
 قامت علاقات ودية وسفارات<sup>(٢)</sup> جرت مراعاة الناحية الدينية .  
 رغم ان الصليبيين اشتهوا للمسيحيين قاصدا بالاعضاء على الاراضي  
 المقدسة الاسلامية واسلاف المسلمين المسلمين فان العلماء  
 الذين اتهمهم به المسيحيون الشرقيون  
 استمروا .  
 ولقد اتهم صلاح الدين واسرته تجاه المسيحيين ولا سيما  
 اتباع كنيسة بيزنطة بظلمة قاصدا على التسامح والشجاعة  
 والفروسية حتى اشار مؤرخ غربي انه لا يمكن اطلاقا ان نقارن بين  
 صلاح الدين ومحاكمته المنة تجاه الصليبيين بالخوارزمية أو  
 المفلول واحسن صلاح الدين الى المسيحيين في شطرنج دولته مصر  
 والشام ، لم يفرق بينهم في المذهب ، فان الشعب الاسلامي

( ١ ) ابن الصبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩

( ٢ ) Runciman : Op. cit. vol. III. P. 473

( ٣ ) Runciman : Op. cit. vol. III. P. 473, 474



كان يكن الكراهية العميقة لفكراته ولم يترددوا في بعض الأحيان  
من مواجهتهم بالمثل .

ومن ناحية بيزنطة ، لم يدر بخلد البابا ايربان الثاني  
حين طلب الى الصليبيين القيام بحملة لمساعدة المسيحية الشرقية  
وانقاذها ، أن الحملات الصليبية ستوجه الى الحضارة البيزنطية ،  
وستكون معول هدم للمسيحية الشرقية ، وللامبراطورية التي طالما  
كانت مركزا من مراكز القوى المسيحية (١) . فالمعروف ان الشعوب  
اذا اتصلت وتبادلت الزيارات تيسر الوصول للتفاهم . كانت  
علاقة بيزنطة والغرب اول الامر محدودة ، اقتصر على موقف بيزنطة  
من الحجاج الغربيين والجنود الذين اجتازوا بلادها وزاروا القسطنطينية  
فاستقبلهم الملك . ثم عادوا ليتحدثوا عن بيزنطة وشرائنها  
الذي بهر كل من زارها حتى في فترات ضعفها كما تحدث عنها  
الرحالة العرب والحجاج الفرنجة (٢) . وقال عنها روبرت كلاري  
ان بها ثلاث ارباع ثروات العالم (٣) على ان المشكلة الاساسية التي  
اثارت النزاع ، فتشغل في محاولات البابوية فرض سيطرتها على

(١) Runciman : Op. cit. vol. III. P. 476

(٢) Baynes : Op. cit. P. 322

(٣) كلاري : فتح القسطنطينية ص ٢٢ ، ١٣٦

الكنيسة البيزنطية ، فلما قرر النورمان مد سلطانهم في البحر المتوسط ، تصادمت مصالح بيزنطة والعالم الغربي (١) ، وحين بدأت الحروب الصليبية كان لبيزنطة دور في الدعوة اليها ، غير انه لم يلبث ان ظهر الاختلاف بين هدف الامبراطور من الحملات الصليبية وهدف اللاتين (٢) اذ كان الامبراطور يرى ان تقوم الحملات الصليبية باستعادة حدوده التي استولى عليها الاتراك السلاجقة بينما كان هدف الصليبيين استعادة الاراضي المقدسة من اجل المقيدة لا لمصلحة بيزنطة ومنسزع الصليبيون الى اقامة امارات مستقلة ، ولم يرغب قادتهم عما طلبه منهم الامبراطور من تقديم الولا والتبعية ، اضحى الجنود والحجاج انفسهم يحمشون في بلاد يختلف سكانها عنهم نفسى العادات والتقاليد واللغات والمقيدة التي يعتبرونها مخالفة لمقيدتهم ، واشتبك افراد تلك الحملات مع الاهلين وخرسوا اراضي كثيرة من الولايات البيزنطية ما دعا بيزنطة الى اتخاذ موقف محاد في بعض الاحيان وقيام جنودها بكبح جماحهم ،

---

Runciman : Op. cit. vol.III. P.476 (١)

Miller : OP. cit P. 534 (٢)

ففكر الصليبيون في غزو بيزنطة ، فنصح قادة لوي السابح  
 وساقفته بمهاجمة القسطنطينية ولكنه رفض ، وكذا للتراودت تلك  
 الفكرة فردريك بربروسه ولكنها لم تتحقق حتى جاءت الحملة الرابعة  
 التي استولت على القسطنطينية واقامت مملكة لاتينية بها (١)  
 وكان هذا تشيئا للحركة الصليبية ، فبدلا من تكتل القوى الصليبية  
 لاستعادة الارض المقدسة ، فانها توجهت لقتال بلاد مسيحية  
 بالغة الاهمية ، وقلب على البابوية نفسها المصالح الدنيوية  
 بان اقرت ما حدث من الاستيلاء على القسطنطينية ، ولم تجمل  
 للصليبيين في الشر الادنى ، وحينما استعادت بيزنطة  
 عاصمتها كان قد انتاب الكيان البيزنطي كثير من التدمير ، وحاول  
 اللاتين استعادة نفوذهم دون جدوى ، ولم يكن سوى الغربيون  
 للاحاق الاذى ببيزنطة واراضيها الا تدميرا لا لبيزنطة فحسب ، بل  
 تدميرا للحضارة الاوربية ، فالقسطنطينية كانت مركز الحضارة  
 المسيحية العالمية ، وتعرضت الحضارة البيزنطية للتدمير على  
 ايدي اللاتين وانتقل مركز الاشعاع الحضاري الى ايطاليا في

---

(١) Runciman : Op. cit. col. III. P. 476.

(٢) Runciman : Op. cit. vol III. P. 476

القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أما من الناحية السياسية فلم تستطع بيزنطة استعادة مجد الامبراطورية القديم فبعد عام ١٢٠٤ م لم تعد هناك امبراطورية واحدة بالمعنى القديم انما قامت امارات عديدة متنازعة متنافسة ، تواجه عداء الغرب والولايات البلقانية المجاورة ولا تستطيع حماية البلاد طويلا ضد التتار ، فالصليبيين هم فعلا الذين حطموا الجبهة المسيحية الاولى ، وتسببوا في السماح للتتار بالعبور الى جوف اوروبا ولم تكن ضحايا المسيحيين الحقيقيين هم الفرسان الذين سقطوا في قرون حطيم ولا على اسوار عكا ، بل اولئك المسيحيين في البلقان والاناضول (١) كما ان الحروب لم تسيء الى يونانيين بيزنطة بل الى اليونانيين في الممالك اللاتينية ، اذ تدخلوا في شكاثر الكائس وتخلوا عن حمايتها من المسلمين ، بل تعرض اولئك للسخط من قبل المسلمين فيما بعد لمحاولتهم التقرب من المغول لاعتقادهم ان المغول سوف يبدلون لهم الحرية عن غير انه لم يؤد ذلك الا لضياع اراضيهم

وتخريب الساحل الشامى (١) ورغم خضوع اللاتين للتأثيرات البيزنطية وارتباطهم بروابط المصاهرة مع بيزنطة لم تحاول اى اميرة بيزنطية تزوجت فى المانيا ان تعارض الدعوة لبلادها . (٢)

افاد الصليبيون من صلاتهم بالمرب وبيزنطة . اذ كان الفسرب بالغ التخلف ، فلما انتهت الحروب الصليبية بدأت نهضة جديدة فى الغرب (٣) افادت من حضارة الشعبين المريقين فالبيزنطيين والمسلمين ، اللذين استمدا حضارتهما وراثتهما من الشعب القديمة مارحطى بالغرب من مظاهر الترف وما وصل اليه الحرير والسكر والسهم والارز واللبون والبطيخ والتم كل ذلك عن كل من الاغريق ومصر (٤) .

ايقظت الحروب الصليبية الفكر الغربى ودفعت رجال الغرب لدراسة الاداب المختلفة لليونانيين والمرب وعلومهم . وتسربت بعض

---

(١) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٩١

(٢) Runciman : Op. cit. vol. III. P. 472, 478

(٣) Gibbon : Op. cit. .vol. vi P. 483

(٤) Gibbon : op. cit, vol. VI. P. 485

الاثار البيزنطية الى الغرب في الفترة السابقة على الحروب الصليبية ،  
ثم عن طريق المصاحرات التي قامت بينهم ، ثم الاتصال مع الغرب  
عن طريق التجار الايطاليين وسردينيا ، ومع ذلك فان الغرب كان ينظر  
الى البيزنطى وقتذاك نظرة الكراهية المقرنة بالاحتقار بوصفه مشقا (١)  
ولكن ثراء القسطنطينية وما بها من وسائل الترف جعلها مدينة الاحلام ،  
فالى جانب اهتمام الغرب فى تلك الفترة بالآداب والفلسفة ، اهتموا بالرياضة  
والطب ، واقتضت الحاجة القيام ببعض الترجمات لتلك الاعمال  
الشاملة ونشر اعمال افلاطون وروائع هوميروس (٢) ، وان وصلت  
تلك المؤلفات الكلاسيكية اليونانية مثل مؤلفات  
ارسطو وجالينوس على يد الغرب وليس بطريق مباشر من بيروت المصرية  
الوسطى ، فما زال ارسطو مجهولا بالنسبة لجامعات الغرب ، ولقد  
سمى الغربيون الى الحصول على ترجمات لتلك الاعمال عن طريق اليهـود  
وهن طريق عرب اسبانيا على الأرجح لا عرب الشرق اذ نقلوا الى الغرب  
الفكر اليونانى وان كانت بعض الترجمات مشوهة (٣) وفى بعض حالات تأثروا

(١) رنمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٦٥

(٢) Gibbon : Op. cit. vol. VI. P. 485

(٣) Gibbon : Op. cit. vol. VI. P. 485

فى معظم الحالات كانت الترجمات من العربية تسبق زنيا الترجمة عن اليونانية  
بماشور : الحضارة القارونية ص ١٨٤

بالشرقيين ونقلوا عن الغرب الفلك والهندسة ، كما ان ليونارد وفيلونشي طاف بمصر وسورية (١) ، وهو اول عالم غربي اشتغل بالجبر . وفي فترة الستين عاما التي قضاها القسطنطينية خاضعة للاتيكنس ، توقع اللاتين عن ثقافة تابعيهم وحضاراتهم التي كانت اكثر تقدما انما جاءوا للنهب والسلب والتدمير دون ان يتصوروا للتصميم والتدمير . وكانت الوثائق والكتب هي الشيء الوحيد الذي تمتع به اهل القسطنطينية وكان للتجار الايطاليين وحدهم هم الذين قادروا هذه الينا ببيع الحضارية .

وتأثر الغربيون لا سيما حكام الممالك اللاتينية بالشرق بالمسلمين فدخلت بعض المصطلحات العربية فاذا الغرب يستعمل مصطلحات عربية في التجارة مثل Tarft , Diner ; Bazar وفي الشؤون البحرية Admiral , ولكن ليس من الحق انها جاءت نتيجة للحروب الصليبية . فرما انتقلت الى البيزنطيين من قبل ثم انتقلت الى الغرب عن طريق بيزنطة (٢) .

ومن الناحية التجارية ازداد النشاط التجاري بين الشرق والغرب سواء مع العرب او بيزنطة . وسيطرت المدن الايطالية التجارية عليه مما ادان الى تدفق البضائع الشرقية على الغرب الاوروبي (٣) وقامت

( ١ ) زكي محمد حسن : الفنون الاسلامية ص ١٢٣

( ٢ ) زكي محمد حسن : الفنون الاسلامية ص ١١٢

( ٣ ) Miller : Op. cit P. 526

اسواق تجارية هامة في جميع انحاء الغرب مثل فلاندر - الراين -  
 لمبارديا . وادى هذا الى تدفق الثروات وازدياد قوت القومونات  
 الاله لالية والاهتمام بالناحية البحرية والطرق التجارية . ولكن برغم  
 اهمية تجارة الشرق المربى بالنسبة للعالم الغربي فانه لم تنتشر  
 دراسة لغاتهم ومعلوماتهم في مدارس اوربا (١) . فيما حرصت عليه  
 البابوية عدم انتشار مصطلحات القرآن (٢) . ومع ذلك فان بعض الفرنج  
 كان يتكلم العربية ، وهناك تقود تحمل الطابع المربى والفرنجى برغم  
 قرارات الحرمان التي أصدرها البابا . وربما كان علم الحساب والارقام  
 المربية راجعة الى التجارة التي راجت بين ايطاليا والشرق (٣) .

أخذ اللاتين بعض فنون بناء القلاع وبعض التقاليد الحربية البيزنطية  
 فجهزوا جيوشهم على النظام البيزنطى . واخذوا عن العرب حـمام  
 الزاجل واستعمال الشارات (الرنوك) والماب التطاحن واستعمال  
 الدروع واستخدام المنجنيق واكياس البارود . وانواع القود وذلك رغم  
 اصلها البيزنطى (٤) ، وكان لكونت طرابلس وحرص من المسلمين (٥) .

(١) Camb - Med. Hist. . vol. IV. P. 324

(٢) Gibbon : Op. cit. vol VI. P. 485

(٣) Runsiman : Op. cit. vol. III. P. 471

(٤) زكى محمد حسن : تراث الاسلام ص ١١٥

(٥) Miller : Op. cit. P. 520



صاعات جديدة في الغرب نتيجة لاتصالهم بالغرب وبيزنطة فالموسلين

من الموصل والاقمشة القطنية من مصر والدمشقية من دمشق والاقمشة

الحريية الثقيلة التي تعرف باسم Samiter

الاقمشة القطنية المتينة البيضاء التي تسمى الاقمشة dâmeties

واقمشة الكتان التي تجلب من بيزنطة (١) ، اما بالنسبة لبيزنطية

فان كل ما حبر من عليه الحجاج - الحصول على المخلقات المقدسة

في القسطنطينية أو القدس واساء هذا الى العقيدة الكاثوليكية فهذا

التخريب للحصول على المقدسات اساء الى السكان ، ودل على

مدى التأخر الذي عاشوه ،

وان كان الامبراطور فردريك الثاني هو الوحيد الذي كان ذا فكر

ثوري فأخذ عن بيزنطة الفكر والطرائق التي تستخدمها حكومة

الامبراطورية وهب ثنها القديم (٢) وذلك بسبب تحالفه

(١) زكي محمد حسن : الفنون الاسلامية ص ١١٢

(٢) Gibbon : Op. cit. vol. VI P. 485

(٣) رنسان : الحضارة البيزنطية ٣٦٥

مع اباطرنتيكية ومصهارته لهم ، وخلافه مع البابا ثم علاقته الودية  
مع العرب واجادته العربية وعلومها وآدابها و صداقته للمادل والايوبيين  
عامه (١) .

" لقد انطلق اللاتين في القسطنطينية والنفول في فارس وبلاد  
الجزيرة السبيل امام اعانتماش سواء كان للمسلمين العرب ام للتقاليد  
الاغريقية المسيحية ، فبذلك نرى ان الحضارة الايطالية والغربية عامة  
هم المستفيدين الوحيدين من انهيار البيزنطة (٢) .

اثر العرب وبيزنطة في الحضارة الالهية :  
=====

كان للاتصال الحضاري بالمسلمين والبيزنطيين وستوياتهما  
المالية تأثير حاسم في غرب اوربا ، بل كان ذلك الاتصال من اهم  
عناصر في تطور الحضارة الاوربية كلها في العصور الوسطى وظهر ذلك  
من ناحية في نشأة التقاليد البلاطية الارستقراطية الجديدة في غرب  
اوربا وفي نهضة الادب الاوربي القوي الجديد ، كما ظهر من ناحية  
اخرى في دخول التقاليد العلمية العربية اليونانية وقيام الحركة الفكرية  
الجديدة في الغرب الاوربي ، وظلت تلك المؤثرات واضحة فسي  
سواء المحرفة حتى سطمت الى جانبها مؤثرات حركة النهضة

(١) ونسان : الحضارة البيزنطية ص ٣٦٥

Baynes : Op. cit . P. 325

(٢)

Gibbon : Op. cit. vol. VI M. 485

الاوربية الكبرى وهي مؤثرات نابذة من احياء التقاليد الكلاسيكية ووافق ذلك فتح الاتسراك العثمانيين للقسطنطينية وانصهر الى غرب اوريا عن العالم الاسلامى حتى اذا انتهت العصور الوسطى ادارت اوريا ظهرها للشرق واخذت تنظر غربا شطرس المحيط الاطلسى (١) .

كان للاسلام والحضارة البيزنطية اثر كبير فى تقدم الحضارة الايطالية ترجع صلة ايطاليا ببيزنطة والعرب الى الفترة السابقة على الحروب الصليبية اذ صانت بيزنطة للنهضة الايطالية كنوز الادب والفكر الكلاسيكى ، وفى البداية كانت رافنا من مستلكات ايطاليا (٢) ، ويبدو اثر الصراع الدينى فى الناحية المعمارية ، وتجلى هذا فى الفسيفساء والصور ، ثم ظهرت البندقية على مسرح الاحداث كوسيط تجارى بين الشرق البيزنطى والصين ، ورغم ان لغتها لاتينية فقد كان فيها بيزنطى وكنيسة القديس مرقس صورة من كنيسة الرسل القدامى ، وكانوا يرسلون ابناءهم فى نهاية القرن الحادى عشر الى القسطنطينية .

- 
- (١) داون (كريستوفر) : تكوين اوريا (ترجمة زياد نوحا شور) ص ٣٧٠  
 (٢) رانسمان : الحضارة البيزنطية ص ٣٦١

تأثرت فرنسا أيضا بالحضارة البيزنطية . وظل اثر الاسلام  
باقيا في صقلية التي حكمها العرب لعدة قرون ، وانتشرت  
فيها الحضارة والثقافة العربية حتى بعد سقوطها في ايدي  
النورمان ، اذ اهتم ملوكها بالثقافة العربية والحضارة واجساد  
بعضهم العربية .

وعندما سقطت بيزنطة في يد اللاتين ، لم يتأثر حكامها  
الجدد بحضارتها ، . ودفعهم جشعهم لتدمير المدينة ،  
اما البنادقة فاهتموا بتلك الحضارة (١) . وقد رأوا أن  
سقوط بيزنطة يعنى انهيارا لحضارتها التي وجدت صدرا رحبها  
في ايطاليا (٢) ، وازداد الاهتمام بالدراسات الانسانية نتيجة  
للحالة الرابعة والحضارة البيزنطية ولكنها لم تصل الى ما وصلت  
اليه (٣) لولا فضل بيزنطوق الاسلام فان لهما تأثير على اصول  
النهضة الايطالية ، فان تلك المعلومات الكلاسيكية التي  
حفظها ورعاها البيزنطيون ، والعرب ، كانت أساسا للنهضة  
الاوربية في ايطاليا ، ويكفي هذا دليلا على اثر بيزنطة والاسلام  
في النهضة الايطالية (٤) .

Gibbon : Op. cit. vol . VI. P. 485

(١)

Baynes : Op. cit. P. 323

(٢)

Runciman : Op. cit. vol. III. P. 477

(٣)

Baynes : Op. cit. P. 325

(٤)

## التجارة :

كانت حياة بيزنطة قائمة على تجارتها ، فهي التي امتدت  
أجهزتها السياسية بنفقاتها الضخمة ، ولما انهارت تجارة بيزنطة  
اقترن هذا بانهارها السياسي (١) ، ولم تكن الفتوح العربية  
مسئولة عن انهيار تجارة بيزنطة بل كانت بيزنطة والاسلام قطبي  
التجارة كما كانا قطبي الحضارة فاقسما مناطق النفوذ . ولما فتح  
العرب الشام ومصر ، سيطروا على البحر الابيض المتوسط والمحيط  
الهندي وكان ايدانا يسقط مملكة اثيوبيا التي كانت سفنها  
تمخر البحار بين الاسكندرية والخليج الفارسي ، وكان  
البيزنطيون يسمون الى استيراد المتاجر الشرقية التي تعتبر ركنا  
اساسيا في تجارتهم . اصبحت الطمانينة التي تمتعوا بها  
عن هذا الطريق عاملا قرب هذه المتاجر للدولة البيزنطية  
وازال المقبات التي اقامها الفرس ، وكانت تجارة الشرق تجتاز  
طرقا عديدة ولكن معظمها كان يمر باراض بيزنطة او موانئ  
بيزنطية (٢) .

وكان للعملة البيزنطية احترام كبير وكان لها قيمتها في السوق  
الدولية فرغم ان اللابويين علمتهم الخاصة فلم يمنع ذلك من

Pirenne : Op. cit. vol. II. P. 125

(١)

Heyd : op. cit. Tome I. P. 21

(٢)

التعامل بالدينار البيزنطى الذى استخدمه اللاتين ايضا فيما  
 بعد (١) وكذلك اهتموا بالموازين البيزنطية ولقد كان للمسلمين  
 جالية كبيرة فى طرابيزون ، والضرب فى الامرانه رغم الاحداث التى مر  
 بها التاريخ البيزنطى والتي اصبحت فيها العلاقات البيزنطية  
 الاسلامية تكاد تصبح سرايا ، كثر اعتماد المسلمين فى  
 طرابيزون بعد سقوط القسطنطينية (٢) .

ومما جعل لبيزنطة أهمية تجارية : موقعها عند التقاء آسيا  
 وأوروبا وأفريقيا ، وكل الطرق البرية والبحرية التى تصل بين أوروبا  
 الشرقية والبحر المتوسط ، وهذا الموقع الجغرافى كان له أهمية  
 من وجهة النظر السياسية لأن الولايات الإيطالية والدانوب أو آسيا  
 الصغرى لن تستطيع التوسع دون محاولة الاعتداء على الاراضى الاغريقية ،  
 كما منحت الطبيعة لبيزنطة موانئ ومضائق طبيعية مثل سالونيك (٣) .

استمرت تجارة بيزنطة مزدهرة من القرن الخامس الى الحادى  
 عشر الميلادى (٤) وشهدت الفترة من القرن السادس الى العاشر  
 الميلادى ازدهار التجارة بين العالمين الاسلامى والبيزنطى  
 وبلغ من اهتمام بيزنطة بتجارة الشرق ان أوروبا احتكرت الصناعات

(١) Baynes : Op. cit. P. 68

(٢) ابن سميذ : الاخبار الطوال ص ١١٨

(٣) Baynes : Op. cit. P. 68 , 70

التي تقوم على الواردات الشرقية مثل صناعة الحرير والمجوهرات والنقش على العاج والاحجار وازداد دخل الدولتين من المكوس التي كانت تجبى على التجارة سواء في القسطنطينية او القاهرة (١) و اقيمت الفنادق والاسواق ، وتحدث عنها الرحالة الفارسى - ناصر وخسرو واتبعت نظاما يتعلق باقامة التجار فى المدن ، وكانت المكوس فى الجانب الاسلامى تبلغ المشر ، وكذلك بيزنطة كليتة حصل على حوالى ١٠% (٢) .

مع بداية القرن الحاد عشر بدأ ضعف الامبراطورية وبداية انهيار تلك التجارة العالمية ، مقترنا بضعف الاسطول ، اذ ظلت التجارة البيزنطية تخسر المحيطات فى حماية اسطولها من القراصنة ، بل ان التجارة البيزنطية الى ايطاليا فى البداية حطمتها تجار من اليونان ، ويرجع المؤرخون اسباب عدة لذلك الانهيار ، منها ما هو داخلى مثل تدخل الحكومة المستمرة فى شئون الصناعة والتجارة وفساد الادارة الحكومية (٣) ، ولكن للاسباب السياسية اهمية بالغة ، اذ ان باسيل الثانى اهل السياسة البحرية ، يضاف

Pirenne : Op. cit. vol. II. P. 186

( ١ )

Heyd : Op. cit. vol. I. P. 58

( ٢ )

( ٣ ) رنسان : الحضارة البيزنطية ص ٢٠١

الى ذلك السلاجقة وانتزاعهم ولايات آسيا الصغرى الفقية<sup>(١)</sup> ، وفي  
خلال القرن الحادى عشر كان التوسع الثورمانى المصوب بنقل  
صناعة الحرير الى صقلية . وفي نفس الوقت نتج عن الحروب  
الصليبية الثلاثة الاولى نقل مركز التجارة من القسطنطينية الى  
ايطاليا ، وهذا يرجع لسياسة بيزنطة التجارية التى كانت تهدف  
الى فتح اسواقها لجميع الامم ومنحهم الامتيازات الواسعة فكسدت  
اسواقها<sup>(٢)</sup> .

وكان من اسباب انهيار بيزنطة الاقتصادى انها لم تكن دائما  
البادية بالهجوم ، بل استكانت فتيات الفرصة للترك للمهجوم وكنت  
للمدن الايطالية عن نشر نفوذها ، اذ قضى الفزوال سلجوقى بدايته  
على تنظيم الجيش والاسطول الامبراطورى ، واضاع مصدر تمويل  
هام ، فركن البيزنطيون الى مساعدة المدن الايطالية ، وأدت هذه  
المساعدة رويدا رويدا الى السيطرة الكاملة على تجارة بيزنطة<sup>(٣)</sup> ، وكانت  
الحروب الصليبية تدعما لهم فلم تعد البضائع تنقل الى طرابيزون وعبر  
آسيا الصغرى ، نظرا لان السلاجقة اغلقوا هذه الطرق ، بل فكانت  
تنقل الى السفن الراسية ، فى موانى سورية اللاتينية ، حيث تحملها

(١) Gibbon : Op. cit . vol. VI, P. 1486

(٢) Baynes : Op. cit. P. 64 , 65

(٣) Miller : Op. cit. P. 56



المغن الايطالية الى الغرب رأساً ، لذلك تتجنب الرسوم الجمركية التي تفرضها بيزنطة ، مما أدى الى سيطرة التجار الايطاليين على تجارة بيزنطة ، ويقول شارل ديل : " ان القسطنطينية ظلت اهم مركز تجارى فى العالم حتى سقوطها " (١) ولكن الامبراطورية لم تستفد من موقعها ، بل استفاد منه البنادقة الذين اصبحوا السادة الحقيقيين للعاصمة . وفى البداية حرص الابطاطرة على تضيق نطاق هذه السياسة وحرصوا على منع تجار البندقية من الاتجار فى الاخشاب والمواد الحربية مع حكام المسلمين ، ثم اخذ الابطاطرة من آل كومنين وانجيلوس يفتحون البندقية عنده مميزات خاصة بتخفيض الرسوم الجمركية ، ثم منحوها لبيزا وجنوة (٢) ، فأصبحت الرسوم لا تتجاوز ٤ % ، اما الكسيوس فقد فتح الباب على مصراعيه لتصبح تجارة البندقية من سنة ١٠٨٢ م تجارة عالمية ناعفوا من الضرائب والتفتيش الجمركى وعدم دفع الرسوم عنده الاستيراد والتصدير واكد هذا خليفته يوحنا (٣) سنة ١١٢٦ م ومايويل سنة ١١٤٧ م اللذان وسما الحى البندقى فى

( ١ ) ديسيل : البندقية جمهورية ارسقراطية ص ٣٠

( ٢ ) Hayd : Op. cit. Tome. I. 109, 110

( ٣ ) Camb . Med. Hist. - vol. IV. P. 762

القسطنطينية وجملا لهم في كريت وقبرص مالمهم من الامتيازات ومن  
بعدهما اكد هذه الامتيازات اسحق انجيلوس ١١٨٢ والكسيوس

الثالث ١١٩٨ م.

واذا نظرنا للملاقات التجارية بين بيزنطة والجانب الاسلامي  
في تلك الفترة يضح لنا أن الايطاليين لم يسمحوا فقط الى السيطرة  
على تجارة بيزنطة ، بل سمحوا الى السيطرة ايضا على التجارة بين  
بيزنطة والشرق العربي ثم السيطرة على التجارة العالمية <sup>(١)</sup> واتخذت  
الملاقات التجارية مع بيزنطة زمن الايوبيين مراحل عديدة .  
✓ في المرحلة الاولى التي تمتد من اواخر الدولة الفاطمية حتى  
نهاية حكم العادل الايوبي وهي الفترة التي تشغل الفترة السابقة  
على سقوط القسطنطينية كسر تسلسل البنادقة الى اراضي كل  
من بيزنطة والايوبيين غير ان ذلك لم يمنع من قيام علاقات مباشرة  
بين الايوبيين والبيزنطيين ومن الدليل على ذلك تواجد طوائف  
التجار في اراضي الجانبين وهذه الفترة انتهت سنة ١٢٠٤م بسقوط  
القسطنطينية ، وبدأت فترة جديدة تم فيها اخضاع بيزنطة  
وسمى البنادقة الى السيطرة على مصر نفسها .

ففي الفترة الاولى نرى ازدهار الحياة التجارية في كل من الاسكندريسة والقسطنطينية فكانت المتاجر تأتي الى الاسكندرية بالبضائع من بيزنطة وجميع انحاء العالم واشتهرت بأسواقها وفنادقها وصناعتها وخاصة صناعة الاقمشة (١) . وكذلك كان الامر بالنسبة لبيزنطة فقد جنى اباطرتها دخلا من التجارة الخارجية والضرائب الجمركية والخانات تجاوز عشرين الف فلورين ونرى انعكاسا لهذا الوضع في جميع كتابات الرحالة الذين زاروا كل من القسطنطينية والشرق الاسلامي خلال الحكم الايوبي تحدث بنيامين التديلي عن ثراء كل من بيزنطة والاسكندرية وضممتها التجارية ونكسر العلاقات الوطيدة بين الجانبين وشاهد السفن البيزنطية في موانئ الاسكندرية (٢) ، وذكر أن بيزنطة لا تقارن الا ببغداد في نشاطها التجاري وثرائها وقارن بين منارة الاسكندرية وبين منارة بيزنطة (٣) . كما فصل الهروي الذي زار بيزنطة في فترة متقاربة وتحدث عن الفساد والتجار العرب الذين رأهم .

ولقد لقي البيزنطيون وتجارهم الرعاية والاهتمام في مصر وحظوا برعاية السلطات المصرية .

- 
- (١) وهي فرجة بلاد المغرب والاندلس ، وجزائر الترك ، وبلاد الروم والشام ابن الاثير تحقيق الرحالة ص ١٥٢
  - (٢) بنيامين رحلة بنيامين القبطي ص ٧٩
  - (٣) المدينة حركة الدائن من التجار القادمين اليها من بال وشنسيار (اسم وادي الرافدين في التوراة) بنيامين القبطي ص ٧٩

وكذلك نعم التجار المسلمون في بيزنطة بكل وسائل الراحة والمعاملة  
الطيبة واتيح لهم تأدية شعائهم الاسلامية في جامع القسطنطينية  
الذي اهتم كل من صلاح الدين وابنه العزيز بعمارتها وكانت لهم  
فنادقهم واسواقهم الخاصة (١) ، ولكن عند سقوط القسطنطينية لقى  
التجار المسلمون الاضطهاد على يد اللاتين كما لقيه الافريق وقد قامت  
علاقات تجارية بين بيزنطة وقونية ، وخاصة حول حرم فانوس  
لمتواد مواد التصوف الشرقية وحسرم والتجسيلة مع  
الهند قونية (٢) .

استوردت بيزنطة من الشرق الاسلامي التوابل والمطور التي  
كان يأتي بها التجار من الهند فيشتريها تجار بيزنطة وغيرهم  
من التجار ، فضلا عن سلع اخرى دج البيزنطيون وملكهم على  
طلبها وهو دهان البلسان ، وكان سلاطين الايوبيين يحرصون على تلك  
المادة لاهميتها في صناعة الادوية ، فيشتريه ملوك النصارى من  
الحبشة والروم والفرنج فيستهدونه . وظلت الاسكندرية الى عهد  
طويل مركزا من مراكز التجارة العالمية وحين يذكر بنيامين التجار

(١) الهروي : الاشارات الى معرفة الزيارات ورقة

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ١٠٩

الذين ترددوا على الاسكندرية يطلق على البيزنطيين لفظ روسان  
تمييزا لهم عن التجار الفرنجة من البندقية وغيرها (١).

وقد قامت علاقات تجارية بين مملكة وقونية قائمة على التبادل  
فقدم اهل قونية الفضة والذهب وادوات الترف في مقابل المسود  
الغذائية ، وكان اهم ما سعى السلاجقة لاستمراده مصنوعات طيبة  
من المنسوجات الحريرية ، ونتيجة للفرز المفعول وتخريجه  
للأمارات المجاورة ازدهرت حركة التجارة بين الطرفين وزادت اهمية  
طرابيزون بعد سقوط الخلافة ١٢٢٨ على يد هولاكو فقد حصل  
المخول التجارة تمر عبر الشرق الى طرابيزون والبحر الاسود بدلا  
من البحر المتوسط فانتمشت الحركة التجارية (٢).

✓ في الفترة التالية سيطر البنادقة على التجارة بين الايبيين  
والقسطنطينية نتيجة للماهدات الجديدة التي عقدها مع الايبيين  
ومكتسبهم من احتكار التجارة في الدولة الايوبية ، بشطبها مصر والشام  
واجاد كثير من التجار اللاتين اللغتين المرموقة اليونانية واستمر احتكار  
البنادقة للتجارة الشرقية الى سقوط الدولة اللاتينية في القسطنطينية  
في ايدى آل باليولوجس .

(١) بنيامين : رحلة بنيامين ص ٧٩

Ostrogorsky : Op. cit. P. 345

## الاجراءات الجمركية :

=====

اتبع البيزنطيون والمسلمون نظاما جمركيا ~~خطيا~~ كثيرا من المورخين العرب ذكر تفاصيل ذلك النظام فكان يأخذ المشر حوالى ١٠% من دخل الصادرات والواردات سواء من بيزنطة أو المسلمين .

واتخذت الجمارك الاسلامية خطة دقيقة ، وغير مثال يصطفيه ابن ماتي وابن جبير فقد كان اكثر ما ضايقه في حلقته في مصر هو الاجراءات الجمركية فكان يصعد الى المركب مندوب من قبل السلطان يقيد جميع ما جلب فيه ويحصر جميع ما في السفينة ويكتب اسماهم وحنائهم ويسأل كل واحد عما لديه من سلح ، وما لديه من مال ، بل احيانا يصل الامر الى التفتيش الشخصي " ، والضرائب على الصادرات والواردات تصل الى الخمس بالنسبة للتجار الروم كما يذكر ابن ماتي (١) .

والمعروف انه جرى تشييد الفنادق لتقيم بها التجار ، وكانت اقامة التجار تخضع لرقابة واشراف الحكومة فلا بد للتاجر ان يحصل على تصريح خاص من الحكومة . وكان في بيزنطة كثير من التجار

---

( ١ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٧ ، ابن ماتي : قوانين الدواوين

وخاصة من سوريا ، وجميع المواد الخام احتكارا للدولة ولم  
تسمح ببيزنتية للتجار الاجانب المسلمين بالاقامة اكثر من ثلاثة  
اشهر (١) ولم يختلف الوضع في هذه الناحية عند المسلمين اذ كان  
للتجار فنادقهم وكان الفندق يتألف من طابقين : الاعلى للاقامة ،  
والادنى لحفظ البضائع ، ونعم التجار بحماية الدولة ولقبضاتهم  
ولاشخاصهم (٢) وأقام التجار اللاتين في فنادق طرابلس وحلب  
واللاذقية ودمشق وفي القاهرة حتى غرف بحى الروم - وفي بغداد دار الروم (٣)  
ترتب على الانهيار التجارى انهيار للعملة البيزنطية التى  
كانت لها قيمتها من قبل العهد الاسلامى ، وقد اتخذ الدينار  
البيزنطى اساسا للعملة الذهبية في القرن التاسع والعاشر الميلادى ،  
وظلت الموازين البيزنطية مستعملة في البلاد الاسلامية ولا سيما فى  
سوريا وصر لمدة طويلة في القرن الحادى عشر اصبحت  
Nonisima , besant عملة عالمية تعد الامبراطورية بأداة فعالة .  
وأصبح Besant لأهمية بالنسبة للعالم الخارجى ولكن بمقد  
سنة ١٢٠٤ انهارت قيمتها ، ومع ذلك فان البنادقة استعملوا فى  
تجارتهم العالمية فى الشرق وفى ممتلكات الدولة الايوبية فى الشام

( ١ ) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٦٣ ، رنسان : الحضارة  
البيزنطية ص ٢٠٦

( ٢ ) Heyd ; : Op. cit. Tome. I P. 332

( ٣ ) المدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية  
ص ١٢٨

عملة كانت تعرف باسم *Byzantium Saraceni* العملة البيزنطية  
 الإسلامية وهي عملة ذهبية ضربها اللاتين للتعامل مع المسلمين  
 الإسلامية البعيدة عن الشاطئ (١) ، وكان على هذه القطع  
 نقوش عربية وبعض آيات من القرآن إشارة إلى النبي وتاريخ هجرى وظلت مستعملة  
 حتى عام ١٢٤٩ م . ودفع لويس التاسع فديته بالدينار البيزنطى  
 فالدينار البيزنطى ظل إلى مدى طويل له قيمته ، ولقد أصدر  
 البابا قرارا بحرمان كل من يتعامل بالعملة السابقة فظهرت عملة  
 جديدة ، فصنعوا عملة مشابهة بنقوش مسيحية وتاريخ ميلاد المسيح  
 بالمرية و صليب فى منتصفها ، وبدأ التعامل بها سنة ١٢٥١ م .  
 وظهر نظام جديد خاص بتقييد مالى للميل من حساب فى المصارف  
 وتأسست البيوت المالية فى جيوة وبيزا والبندقية (٢) .

---

( ١ ) رنسان : الحضارة البيزنطية ص ٢١٠ - ٢١١

( ٢ ) رنسان : الحضارة البيزنطية ص ٢١٢



ملاحق الرسالة

---

- ١ - جدول بأسماء حكام الشرق الاسلامي ، والدولة البيزنطية ( ١٠٨١ - ١٢٦٠ م ) .
  - ٢ - رسالة صلاح الدين الى الخليفة المماليكي يمدد ماله من فضاء في قتال الفرنج وبيزنطة .
  - ٣ - وصف القاضي الفاضل لبعض رسائل الامبراطور البيزنطي الى صلاح الدين .
  - ٤ - رسالة الكايخوسرو الى صلاح الدين .
  - ٥ - مدينة القسطنطينية في رحلة الفاضل الهريري .
  - ٦ - وصف مدينة القسطنطينية لابن الأثير .
-

الملحق الاول

جدول بأسماء حكام الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية

١٠٨١ - ١٢٦٠ م

أولا : الخلفاء العباسيين : (١)

١٠٩٤ - ١٠٧٥	المقتدى
١١١٨ - ١٠٩٤	المستظهر
١١٣٥ - ١١١٨	المسترشد
١١٣٦ - ١١٣٥	الراشد
١١٦٠ - ١١٣٦	المكتفى
١١٧٠ - ١١٦٠	المستنجد
١١٨٠ - ١١٧٠	المستضيء
١٢٢٥ - ١١٨٠	الناصر
١٢٢٦ - ١٢٢٥	الظاهر
١٢٤٢ - ١٢٢٦	المستنصر

(١) - اسد رستم : الروم ج ٢ ص ٣١٤

ثانياً - الفاطميون : (١)

١٠٣٥ - ١٠٩٤	المستنصر
١١٠١ - ١٠٩٤	المستملك
١١٣٠ - ١١٠١	الأمير
١١٤٩ - ١١٣٠	الحافظ
١١٥٤ - ١١٤٩	الظاهر
١١٦٠ - ١١٥٤	الفائز
١١٧١ - ١١٦٠	الماضي

ثالثاً - الأيوبيون : (٢)

(١) - القاهرة :

١١٩٣ - ١١٧٤	* صلاح الدين
١١٩٨ - ١١٩٣	* المنصور
١١٩٩ - ١١٩٨	المنصور
١٢١٨ - ١١٩٩	* المعادل الأول
١٢٣٨ - ١٢١٨	* الكامل
١٢٤٠ - ١٢٣٨	* المعادل الثاني

(٢٥ ١) أسد رستم : الروم ج ٢ ص ٣١٥  
 \* هذه العلامة تدل على الجمع بين القاهرة ودمشق.

- ١٢٤٩ - ١٢٤٠ \* الصالح أيوب  
١٢٥٠ - ١٢٤٩ \* المعظم توران شاه  
١٢٥٢ - ١٢٥٠ الاشرف موسى

(٢) - دمشق :

- ١١٩٦ - ١١٩٣ الافضل  
١٢١٨ - ١١٩٦ \* المادل الاول  
١٢٢٧ - ١٢١٨ المعظم عيسى  
- ١٢٢٧ الناصر داود  
١٢٣٧ - ١٢٢٨ الاشرف موسى  
- ١٢٣٧ الصالح اسماعيل  
١٢٣٨ - ١٢٣٧ \* الكامل  
١٢٣٩ - ١٢٣٨ \* المادل الثاني  
- ١٢٣٩ \* الصالح ايوب  
١٢٤٥ - ١٢٣٩ الصالح اسماعيل  
١٢٤٩ - ١٢٤٥ \* الصالح ايوب  
١٢٥٠ - ١٢٤٩ \* المعظم تورانشاه  
١٢٦٠ - ١٢٥٠ الناصر يوسف

\* هذه العلامة تدل على الجمع بين القاهرة ودمشق \*

اسد رستم : الروم ج ٢ ص ٣١٥

### رابعاً - سلاجقة الشام : (١)

١٠٩٤ -	تتشي بن الب ارسلان
١١١٣ - ١٠٩٥	رضوان بن تتشي ( بحلب )
١١٠٣ - ١٠٩٥	دقاق بن تتشي ( بدمشق )
١١١٤ - ١١١٣	الب ارسلان بن رضوان ( بحلب )
١١١٧ - ١١١٤	سلطان شاه بن رضوان ( بحلب )

### خامساً - سلاجقة الروم بآسيا الصغرى :

١٠٨٦ - ١٠٨١	سليمان بن قتلмыш
١١٠٧ - ١٠٩٢	قلج ارسلان الاول
١١١٦ - ١١٠٧	ملكشاه الاول بن قلج ارسلان
١١٥٦ - ١١١٦	مسعود الاول بن قلج ارسلان
١١٨٨ - ١١٥٦	قلج ارسلان الثانى
١١٩٢ - ١١٨٨	ملكشاه الثانى
١٢٠٠ - ١١٩٢	كيخسرو الاول
١٢٠٣ - ١٢٠٠	سليمان شاه الثانى بن قلج ارسلان
١٢٠٤ - ١٢٠٣	قلج ارسلان الثالث بن سليمان شاه

١٢١٠ - ١٢٠٤	كيخسرو الاول ( مرة ثانية )
١٢١٩ - ١٢١٠	كيكاوس الاول بن كيخسرو الاول
١٢٣٦ - ١٢١٩	كيقيان الاول بن كيخسرو الاول
١٢٤٥ - ١٢٣٦	كيخسرو الثاني
١٢٥٧ - ١٢٤٥	كيكاوس الثاني
١٢٦٧ - ١٢٥٧	قلج ارسلان الرابع
١٢٨٣ - ١٢٦٧	كيخسرو الثالث
١٢٩٦ - ١٢٨٣	مسعود الثاني
١٣٠٠ - ١٢٩٦	كيقيان الثالث

سادسا : ابا طرة بيزنطة : (١)

### أسرة كومننوس :

١١١٨ - ١٠٨١	الكسيوس الاول كومننوس
١١٤٣ - ١١١٨	يوحنا الثاني
١١٨٠ - ١١٤٣	مانويل الاول
١١٨٣ - ١١٨٠	الكسيوس الثاني
	يوصاية مارية الانطاكية
١١٨٥ - ١١٨٣	اندرونيكس الاول

أسيرة انجيلوس :

١١٨٥ - ١١٩٥	اسحاق الثاني ، انجيلوس
١١٩٥ - ١٢٠٣	الكسيوس الثالث
١٢٠٣ - ١٢٠٤	الكسيوس الرابع
١٢٠٣ - ١٢٠٤	اسحاق الثاني
١٢٠٤ -	الكسيوس الخامس ، مورتنوفلوس

سابعاً - اباطرة نيقية : (١)

١٢٠٤ - ١٢٦١ م

أسيرة الأشمـاكرة :

١٢٠٤ - ١٢٢٢	تيودور الاول الاشكرى
١٢٢٢ - ١٢٥٤	يوحنا الثالث ، دوكاس
١٢٥٤ - ١٢٥٨	تيودور الثاني ، الاشكرى
١٢٥٨ - ١٢٦١	يوحنا الرابع ، الاشكرى

(٢) ثامنا - اباطرة القسطنطينية اللاتين :

١٢٠٤ - ١٢٦١ م

١٢٠٥ - ١٢٠٤	بندون الاول ، فلاندرز
-------------	-----------------------

Ostrogorsky: op. cit. P 516 (١)

Ostrogorsky: op. cit. P. 516 (٢)

١٢٠٦ - ١٢١٦	هنرى فلاندرز
١٢١٧ -	بيتر كورتناي
١٢١٧ - ١٢١٩	يولانسد
١٢٢١ - ١٢٢٨	روبرت كورتناي
١٢٢٨ - ١٢٦١	بلدين الثانى
(١) ١٢٣١ - ١٢٣٧	حنا بوسين
<u>تاسما - اباطوة طرابيزون : (١٢)</u>	
١٢٠٤	الكسيوس الاول
١٢٢٢	اندرنيكس الاول
١٢٣٥	حنا الاول
١٢٣٨	مانويل الاول
١٢٦٣	اندرنيكس الثانى
١٢٦٦	جورج
<u>عاشرا - حكام ايروس : (١٣)</u>	
<u>١٢٤٤ - ١٢٤٦ م</u>	
١٢٠٤ - ١٢١٥	ميخائيل الاول

( ١ ) - حكم حنا پرين قتره بالا شتراك مع بلدوين الثانى

( ٢ ) - Miller: Trebizond P. 125.

( ٣ ) - Ostrogorsky: op. cit. P. 517



(٢٥٣)

١٢٢٤ - ١٢١٥	توودور
(١) ١٢٣٠ - ١١٢٤	
١٢٤٠ - ١٢٣٠	مانويل
١٢٤٤ - ١٢٤٠	جسسا
١٢٤٦ - ١٢٤٤	ديمتريوس

---

(١) - توودور في اوائل هذه الفترة امبراطورا ، وحمل منذئذ حكام ابيروس  
لقب امبراطور •

### المحقق الثاني

رسالة صالح الدين الى الخليفة الحباسي  
يعدد ماله من فضائل في قتال الفرنج وبيزنطية (١)

لم يكن سبب خروج المملوك من بيته الا وعد كان انعقد بينه وبين نورالدين رحمه الله في ان يتجاذبا طرفي الخزاه من مصر والشام المملوك بعسكره بده ويحضره ونورالدين من جانب سهل الشام ووعده فلما قضى الله بالمحتوم على أحدهما وحسدت بعد الامور أمور اشتهرت للمسلمين عوارات وضاعت شغور وتحكمت الاراء القاسية وفورقت المحاج القاصدة وصارت الباطنية بظانة من دون المؤمنين والكفار محمولة اليها جزى المسلمين والامراء انذين ناثوا للاسلام قواعد وثابت سيوفهم للنصير موارد يشكون ضيق خلقات الاسار وتطرق الكفار بالبناء في الحدود الاسلامية ولا خفاء ان الفرنج بعد حلولنا بهذه الخطة قاموا وقصدوا واستجدوا علينا انصار النصرانية في الاقطار وسيروا الصليب من كسى مذابحهم وهددوا طاغية كفرهم باشرط القياسه وانفذوا البطارقة والتسيسيين برسائل صور من يصورونه ممن يسمونهم القديسين وقالوا ان الفعله وقعت اوقعت فيما لا يستدج فارطه وان كلا من صاحبه قسطنطينية وصاحب صقلية وملك الالمان وملوك ماوراء البحر واصحاب الجزائر والبندقية والبيشانية والجنوة وغيرهم قد تأهبوا بالممائر البحرية والاساطيل القوية وللإسلام بأمر المؤمنين ناصر لاسيما وهم ينصرون باطلا وهو ينصر حقا وهو بعيد خالقا وهم يعبدون خلقا .

### الملحق الثالث

وصف القاضي الفاضل لبعض رسائل  
الامبراطور البيزنطي الى صلاح الدين (١)

" ينهي المملوك وصول رسول ملك الروم بما في صحبته من هدية ، وما عسى  
لسانه من رسالة ، وما على يده من كتاب • وحضر بين يدي الملك المادل ، وجرى  
من المناوضة ما أبدته امتنان الملك بكونه لم يجب رسول تلك الامان وصاحب صقليسة  
وغيرهم من جيوش الفرنج الى الموافقة على حرب السلطان واطلاق طريقهم • وامتنع  
وسد الدريندات وحفظ عليهم الطرق وأوصى أرباب الحصون بالتيقظ والمنع عنهم •  
وجعل عذره ليلتمس موافقته أن البلاد في هذه السنة غالية السحر والمصلحة تقتضي  
أن لا تكون الحركة الابقوة على تمكن من العبور • وتأخير الحركة الى السنة الأخرى  
ثم قال " هذا ملك الروم خائف من الفرنج على بلده مدافع عن نفسه وان تم له الدفيع  
ادعى انه بسببنا • وان لم يتم ادعى انه غائب عن مقصده ومقصدنا • • وجماع  
ما أورده من أن يقال أن البطارقة في قاحته من قبله وأن ينقل من ولاية الفــــرنج  
الى أن يوليها الطاغية من أهل عمله سببا ييسط به غدره بزعمه عند أهل جنســــه  
ويدفع عن نفسه • لاسيما مع اقامته الخطبة الاسلامية • ونقله المنبر • ونسخته في الصلاة  
واعزاز الكلمة الاسلامية • أرغم الله بها أنفه • وجعل يسيقها حتفه • ومولانا أبقت الله  
يتثبت في الاجمية ولا يجيب الى ما على الاسلام فيه غضاؤه ولا الى ما للكفر فيه تمســــوة

( ان ينصركم الله فلا غالب لكم ) •

ومن كتاب آخر (وصل الى المملوك كتاب يذكر وصول رسول الملك العتيق من قبرص اليه • يخبره بمصيانه على ملك اتكلتيره • وكاشفته بالمداد والحرب • وانسه قد كاتب السلطان اعز الله نصره يبذل له من نفسه العبودية والطاعة والمظاهرة على ملك اتكلتيره والانباء متواترة • بأن الملك أحرق مواتي قبرص ووعدها وقطع الميرة عن الساحل • ولا شبهة أن مولانا يتقبل من المذكور • ويقوى نفسه على هذه البايضة • فان في تخاذلهم نصرة الاسلام وشغل بعضهم ببعض • وانفراق كلمتهم المجتمعة وقطعا للميرة عن الشام وأما لجانب كثير من جوانب البحر • وهذا الملك العتيق قد صار لمولانا صديقا • وما سعى العتيق الا لأنه صار لمولانا عتيقا ولا اعتبر صار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية في انا ننجده على قبرص • فانا انا وعدناه بالنجدة عليها • لما كانت بيد عدونا • والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع أن يكون صديقا • ولا حتى أن يكون عدوا وكذلك صاحب الغرب • (١)

## المحقق الرابع

### رسالة الكايخكوس الى صلاح الدين (١)

ولقد وصل الى السلطان كتاب من الكايخكوس ، وهو مقدم الأرمن — وهو صاحب "قلمة الروم" (٢) — التي على طرف "الفرات" .

"كتاب الداعي المخلص" الكايخكوس " ما اطالع به علم مولانا ومالك السلطان الناصر ، جامع كلمة الايمان ، رافع علم العدل والاحسان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، آدام الله اقباله ، ضاعف جلاله ، وصان مهجته وكمل نهاية آماله ، بمظمته وجلاله .

من أمر ملك الامان وما جرى له عند ظهوره ، وذلك أنه أول ما خرج من دياره ، ودخل بلاد الهنكر (٣) غصبا ، وغصب ملك الهنكر بالانعان والدخول تحت طاعته وأخذ من ماله ورجاله ما اختار ، ثم أنه دخل أرض مقدم الروم " ، وفتح البلاد

(١) — ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٥٧

(٢) — قلمة الروم : هي قلمة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينهما وبين سميساط ( معجم البلدان ج ١٣ : ٣٩٠ — ٣٩١ )

(٣) — بلاد الهنكر : المقصود بها بلاد هنجاريا أو المجر ( الآن )

ابن واصل : مفتاح الكروبي ج ٢ ص ٣٢٠

وهبها وأقام بها ، وأخرج ملك الروم إلى أن أطاعه ، وأخذ رهائنه ، ولده وأخساء  
وأربعين نفرا من خلصائه ، وأخذ منه خمسين قنطارا ذهبا ، وخمسين قنطارا فضة ،  
وشياها أطلس بمبلغ عظيم .

واغتصب المراكب وعاد بها إلى هذا الجانب ، وصحبته الرهائن السى أن  
دخل حدود بلاد الملك " قليج أرسلان " ورد الرهائن ، ومضى سائرا ثلاثة أيام  
وتركان<sup>(١)</sup> الأوج<sup>(٢)</sup> " يلقونه بالانغام " والبقر " والخيل والبضائع ، فدخلهم الطمع ،  
وجمعوا جموعا من جميع البلاد ، ووقع القتل بين التركمان وبينه ، وضايقوه ثلاثين  
وثلاثين يوما وهو سائر .

ولما قرب من " قونية<sup>(٢)</sup> " ، جمع " قطب الدين ولد قليج أرسلان " المساكر  
وقصده وضرب معه مصافا عظيما ، فظفربه ملك الألمان ، كسره كسرة عظيمة ، وسار  
حتى أشرف على قونية " فخرج إليه جموع عظيمة من المسلمين ، فردهم كـمـرورين  
وهجم على " قونية " بالسيف . وقتل منهم عالما عظيما من المسلمين والفرس ، وأقسام  
بها خمسة أيام ، فطلب " قليج أرسلان " منه الأمان فأمنه الملك ، واستقر بينهم  
قاعدة أكيدة ، وأخذ الملك منه رهائن ، عشرين من أكابر دولته ، وأشار على

---

( ١ ) - صنف من الأتراك فيما وراء سيوهون ( معجم البلدان ج ٣ : ٧٦ )

( ٢ ) - قونية : مدينة كانت من أعظم مدن الاسلام بالروم ( آسيا الصغرى )

( معجم البلدان ج ٣ : ٤٢٥ )

الملك أن يجعل طريقه على " طرسوس " (١) و " المصيصة " (٢) نفعل وقيل منه .

وقيل وصوله الى هذه الديار اختيارا أو كرها ، اقضى الحال انفسا  
 المملوك حاتم ، وصحبته ما سأل ، ومعه من الخواص جماعة للقاء الملك ، وجواب كتابه  
 وكانت الرخصة ( معهم ) أن يمرؤا به على بلاد " قليج أرسلان " ان أمكن ، فلمـ  
 اجتمعوا بالملك الكبير أعادوا عليه الجواب ، وعرفوه الاحوال بالانحراف ، ثم  
 كثرت عليه المساكر والجمع ، ونزل على شط بعض الأنهار ، وأكل خبزا ونام ، وانتبه  
 فتأقت نفسه الى الاستحمام في الماء البارد ، ففعل ذلك وخرج ، وكان من أمر الله  
 أن تحرك عليه مرض عظيم من الماء البارد ، فمكث أياما قلائل ومات .

وأما " ابن لاون " فإنه كان سائرا يلقي الملك ، فلما جرى هذا المجـرى  
 هرب الرسل من المعسكر ، وتقدموا اليه وأخبروه ( بالحاد ) ، فدخل في بعض حصونه  
 واحتس هناك .

وأما ابن الملك ، فكان أبوه منذ توجهه الى قصد هذه الديار غصب ولـسده  
 الذي معه عرضه ، واستقرت القاعدة ، وبلغه ( هرب ) رسل ابن لاون فأنفذ واستعطفهم

( ١ ) - طرسوس : إحدى مدن ( آسيا الصغرى ) وكانت ثغرا من ناحية بلاد الروم  
 ( آسيا الصغرى ) على ساحل البحر الشامى ( الأبييض المتوسط )  
 ( ياقوت ج ٣ : ٢٨ - ٢٩ ) .

( ٢ ) - المصيصة : من ثغور الشام بين أنطاكية وآسيا الصغرى ، وكانت من الأماكن  
 التي يربط بها المسلمون .

وأحضرهم وقال : " ان أبى كان شهذا كبيرا ، وما قصد هذه الديار الا لأجل حج بيت المقدس ، وأنا الذى دبرت الملك ، وعانيت المشاق فى هذه الطريق ، فمن أطاعنى والا قصدت دياره ، واستمطف ابن لاون ، واقتضى الحال الاجتماع ( به ) ضرورة .

وبالجملة فهو فى عدد كثير ، ولقد عرض عسكره فكان اثنين وأربعين مجفجا (١) وأما الرجال فما يحصى عددهم ، وهم أناس متفاوتة على قصد عظيم ، وجد فى أمرهم ، وسياسة طائفة ، حتى أن مدجنى منهم جناية فليس له جزاء الا أن يذبح مشمس السماء .

ولقد بلغهم عن بعض أكابرهم أنه جنى على غلام له وجاوز الحد فى ضرره ، فاجتمعت القسوس للحكم ، فاقتضى الحال والحكم الممام ذبحه ، وشفع الى الملك منهم خلق عظيم فلم يلتفت الى ذلك وذبحه ، وقد حرروا الملاذ على أنفسهم حتى أن من بلغهم عنه بلوغ لذة هجره وعزروه ، كل ذلك كان حزنا على بيت المقدس . ولقد صح عن جمع منهم أنهم هجروا الثياب مدة طويلة (وحرموها على أنفسهم) ، وحرموا ما حصل ولم يلبسوا الا الحديد ، وحتى أنكر عليهم الاكابر ذلك ، وهم من الصبر على الشقاء والذل والتعب فى حال عظيم .

طالع الملوك بالحال ، وما يتحدد بعد ذلك يطالع به ان شاء الله تعالى .

---

( ١ ) - مجفجا : أى يلبسون التعفاف وهى آلة يلبسها الانسان أو الفرس تصنع من عديد أو غيره للرعاية أثناء الحرب ، وهى كلمة ليست من اصل عربى .  
( القاموس المحيط ، والمنجد ) .



### الملحق الخامس

#### مدينة القسطنطينية في رحلة الفاضل الهريري (١)

مدينة القسطنطينية في جانب صورها قبر ابن ايوب الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه خالد بن زيد ولما قتل دغنه المسلمون وقالوا للروم هـذا من كبار أصحاب نبينا فوالله ان نهيى لادق بناقوص في الارض السرب أبدا وسهـا الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك والتابعون وهـ قبر جل من ولد الحسين رضى الله عنه وسهـ الاصابم النحاس والرخام والعمد والطلسمات المجيبة والصابر السـذى تقدم ذكرها والآثار التي ليس في البرج المسكون مثلها وسهـ ايا صوفيه وهى الكنيسة العظمى عندهم ويقولون بها ملك من الملائكة مقيم بها وقد عملوا دابر مكانه درابزايسن من الذهب ولها حناية عجيبة نذكرها موضعها وسأذكر ترتيب هذه الكنيسة وهيكلها وارتفاعها وابوابها وعلوها وطولها وعرضها والعمد التي بها وعجايب هذه المدينة واضاعها وصفة السمك الذي بها وباب الذهب والابرجة والافيلة النحاس وجميع ما بها من الآثار والمجايب وما فصل انملك مانهل معنى من الخير والاحسان في كتاب المجايب كما تقدم ان شاء الله تعالى وهذه المدينة اكبر من اسمها نسأل الله تعالى أن يجعلها دار اسلام يمنه وكرمه ان شاء الله تعالى مدينة صالونيك (٢) يقصدها الروم

والله اعلم

(١) الهريري : الاشارات الى مصرفات زيارات ورقه ١٩٢ ( مخطوط بدار الكتب

٢٤٧ جغرافيا )

(٢) يقصد مدينة سالونيك

أما مدينة نيقية من أعمال اسطنبول على البر الشرقى وهى المدينة التى اجتمع  
 بها ابناء الملة المسيحية وكانوا ثلاثة وثلاثون عشر وثمانية عشر ابا يزعمون ان المسيح  
 عليه السلام كان معهم فى هذا الجمع وهو أول المجامع لهذه الملة به اظهروا الامانة  
 التى هى اصل دينهم وصورهم وصورة المسيح على كراستهم بهذه المدينة فى بولتيه  
 ولهم فيها الاعتقاد المظلم الطريق من هذه المدينة الى بلاد الروم الشمالية قبر ابي  
 محمد البطال على تل فى حد تخوم البلاد عمره بها قبور جماعة استشهدوا مع المحتشم  
 رحمهم الله تعالى واثار عجيبة ذكرها فى موضعها سلطان وكى وهو موضع معروف ويقال  
 له أيضا الثيرما بالرومى ويقال له أوكوم وهو على تخوم البلاد وحد الكافر وهذا الموضع  
 اثار ازواج معقودة وتحتها الماء الذى ليس مثله فى البلاد فى صفائه وحرارته وحلاوته  
 ومنفحة تقصده اصحاب الامراض من البلاد وسنذكر صفته والحياة التى به فى كتاب  
 المجائب ان شاء الله تعالى مدينة قونية بها قبر افلاطون الحكيم بالكنيسة التى السى  
 جانب الجامع ورأيت فى بستان فخر الدين سريرا من الرخام عليه صورة رجل وامرأة نيام  
 تحت ازار والجميع مسترخين من جسم الرخام وزرعه طولا وعرضا وسألتى ذكره فى كتاب  
 المجائب ان شاء الله وبالله التوفيق ونعم الرفيق مدينة قيصارية بها جسر محمد بسن  
 الجنفية بن على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه وسها جامع البطال وسها البضمر  
 به اثار قديمة وسها قبة الخيالة وسها الحمام الذى ذكرنا أن بلباس الحكم عليها  
 للملك قيصر تحمى برج الله اعلم وعندها جبل عصب به قبر مرء القيس شاعر العرب العظمى

قال - اجارتنا ان الخطوب تنوب - وانى مقيم ما اقام عسيب  
 اجارتنا انا غريبان ها هنا - وكل غريب للغريب نسيب

فذكر ~~الابرق~~ وهو موضع ببلاد الروم يزار في الافاق ويلقى أن ~~بـ~~  
 شهداء عهد عمر بن الخطاب وانهم لا يملون ، ويحلقون رؤسهم وقلمون اظافرهم فقصده  
 لها نظرة حقيقية ذلك وهو في لجف جبل اليه يدخل من باب برج ومشى الداخل  
 تحت الارض الى أن ينتهي الى موضع واسع وهو جبل مكشوف تبين السما من قوتـه  
 وفي وسطه بحيرة ودايرها بيوت الفلاحين وهم قوم من الروم \* زرعهم تظهر الموضع  
 ويوتهم داخله وهناك كنيسة لطيفة ومسجد فان كان الذاكر مسلما اتوا به الى المسجد  
 وان كان نصرانيا اتوا به الى الكنيسة ثم يدخل الى بهو فيه جماعة قد قتلوا وآثار  
 طعنات الاسنة وضربات السيوف فيهم ومنهم من قد راح بعض اعصابه وعليهم ثياب  
 من القطن لم تتغير وهناك في موضع اخو اربعة قيام قد سندوا ظهورهم الى حائط  
 المفارة ومعهم صبي قد وضع رأسه على يد واحد منهم طوال من الرجاں اسير اللـه  
 وعليه قياد من القطن مفتوح كأنه يمايح ورأس الصبي على زنده والى جانبه رجل عـلى  
 وجهه ضربه قد قطعت شفته العليا وظهرت اسنانه وهم بعمائم وهناك مفارة كالفـسـفة  
 فيها امرأة وعلى صدرها صغير ماسك بشديها وحملت في فيه وهناك ايضا في موضع  
 عال سرير عليه اثنا عشر رجلا فيهم صبي مخضوب بالحناء يدرأه ورجلاه والروم يزعمون  
 أنهم منهم والمسلمون يقولون هم من اصحاب عمر بن الخطاب ورضى الله تعالى عنه  
 ماتوا هناك صبرا وما حلق رؤسهم وتقليم اظافرهم فليس لذلك صحة الا انهم قوم قـد

## الطحق السادس

### وصف مدينة القسطنطينية (١)

ارض الروم هو اقليم عظيم ومه مدن وضياع وقرى وساتين ونواكه مختلفة الثمار  
وهي على جانبي البحر القسطنطيني من الجهتين الى المحيط المظلم وهي حى من حى  
الروم وبين بحر القرم ودونه من جهة بلاد الارض احد عشر عمل عمل حربية فيه خمس  
حصون وعمل الارسق من عشرة حصون وعمل الافشين ومه اربعة حصون وعمل خيرسون  
ومه اربصون حصنا وعمل النقلان وفيه ستة عشر حصنا وعمل الارسان وفيه خمس عشر حصن  
وارمن الروم وهي بلاد اليونان فعليت الروم عليها وقال انه ببلاد الروم مابه جزيرة  
فى البحر كلها مدن عامرة وقرى متصلة ورساتيق وحصون منيعة • ومدنهم المشهورة  
القسطنطينية هي جديدة مثله الشكل منها جانبان فى البحر وجانب فى البر وفيه بساب  
الذهب طولها تسعة اميال وعليها سور حصين ارتفاعه احد وعشرون ذراعاً يحيط بها  
فصل داير ارتفاع سمكه عشرة اذرع ومنها من الابواب مائة باب واكثرها الباب المصمت  
وهو الباب الكبير • وهو مسمى بالذهب وسها القصر المشهور ومه الديدرك وهو  
الدرب الذى ينوص منه الى القصر وهو من عجائب الدنيا وهو مطعب وزقاق يمشى  
فيه من شطرين من صور متفرعة من نحاس يديح الصنعة على شكل الادميين والخيل

(١) — ابن الاثير : تحفة المجائب وطرفة الفرائب ورقة ١٥٧ — ١٥٨  
نقل من الاثير معلوماته من كتب الرحالة المناهج والمناهج للرواقى المجائب  
للقرهني المسالك والممالك الشرقية للجهانى والاشعارات للهروى

والفيل والسباع • وغير ذالعهوى اكبر من الاشكال الموضوعة على مثالها وبالقصر وما دار  
صغوف من المعجائب وفى المدينة منارة موقوفة بالرصاص والحديد اذا هبت الريح مالت  
معهما يمينا وشمالا وخلفا واماما ويدخ الناس تحتها الخزف فتطحنه وسها ايضا منارة  
قريبة من مرساها قد قلب قطعة واحدة وليس لها باب وفيها ايضا منارة قريبة من مرساها  
قد البست جميعها فحاسبها وعليها قبر قسطنطين وهو راكب وقوائم الفرس  
محكوم بالرصاص حاملا يده اليمنى بأنها مطلق قسلييه فى الهوى كأنه ساير وثى يسسده  
اليسرى كره ويده اليمنى مفتوحة كأنه يشير نحو بلاد الشام وهذه المنارة تبين على مسيرة  
نصف يوم فى البحر يقولون ان فى يده طلسم يمنع العدو وقيل ان على الكره مكتوب  
ملك الدنيا حتى بغيت فى يدى كالكره وخرجت منها هكذا الا املك شيئا وسها ايضا  
قنطرة يمجز الواصف عن ذكرها وخرج الى حد التذويب وسها من النقوش ما لا يحصره  
الواصف •

### المراجع

- اولاً : المصادر العربية المخطوطة والمصورة .
- ثانياً : المصادر العربية المطبوعة .
- ثالثاً : المراجع العربية الحديثة .
- رابعاً : المراجع الأوروبية .

-----

أولا : المصادر المخطوطة والمصورة

ابن الاثير : ( عز الدين ابو الحسن على الجزري ) :

تحفة المجائب وطرף الفرائد

مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٩ جغرافيا

ابن أبيك : ( ابوبكر عبد الله ) :

كنز الدرر وجامع الفهر

الجزء السابع وضمماته "الدار المطلوب في اخبار بني ايوب"

مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ

ابن واصل : ( جمال الدين محمد بن سالم ) :

مفج الكروب في اخبار بني ايوب

صورة شمسية بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ مأخوذة من

نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بباريس

المني : ( بدر الدين محمود الحنفى ) :

عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان

الجزء ١٨ مخطوطة بالتصوير الشمسي بدار الكتب

المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ

النويسري

: ( شهاب الدين احمد ) :

• نهاية الارب في فنون الادب •

الجزء ٢٧ مخطوطة بالتصوير الشمسي بدار الكتب

المصرية رقم ٥٤٩ معارض عامة •

الهروى

:

• الاشارات الى معرفة الهياوات •

رحلة الفاضل الهروى

مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٤٧٤ ( جغرافيا )



( ٢٧٠ )

ثانيا : المصادر المطبوعة

ابن الاثير : ( عز الدين ابو الحسن على الجزري )

\* التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية

( القاهرة ١٩٦٣ )

\* الكامل في التاريخ ( ١٢ جزءا )

ابن تغري بردى : ( جمال الدين يوسف ابو المحاسن ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

( القاهرة ١٩٣٦ )

ابن جبير : ( ابو الحسن محمد ابن احمد )

الاستبصار في عجائب الامصار

رحلة ابن جبير

( القاهرة ١٩٠٨ )

ابن الجوزي : ( شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزواغلي )

مرآة الزمان في تاريخ الاعيان

( حيدرآباد ١٩٥٢ )

( ٢٧١ )

ابن خلدون : ( عبد الرحمن بن محمد )

المبر وديوان المبتدأ والخبر

( القاهرة ١٣٢٢ )

ابن خلكان : ( شمس الدين ابو المباس احمد )

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان •

٣ اجزاء

( القاهرة - ١٩٤٨ )

ابن رسته :

الاملاق النفيسة

( لندن - ١٨٩١ )

ابن سعيد المغربي :

كتاب بسط الارض في الطول والعرض •

تحقيق خوان قرنيطنيسى

( تطوان - ١٩٥٨ )

ابن شاعر الكتبي : ( صلاح الدين محمد )

الوافى بالوفيات

( جز ١ ان في مجلدين )

( مطبعة بولاق )

( ٢٧٢ )

ابن شداد : ( القاضي بهاء الدين )

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

( القاهرة ١٣١٧ هـ )

ابن العبري : ( غريغوريوس العنطسي )

تاريخ مختصر الدول

( بيروت ١٩٥٨ )

ابن المديم : ( كمال الدين عمر بن احمد )

زبدة الحاسب في تاريخ حلب

جزءان نشرهما سامي الدهشان

( دمشق ١٩٤٥-١٩٥١ )

بقية الكتاب مخطوطة بدار الكتب

ابن الممجاد : ( عبد الحى بن احمد الخنيلي .

شذرات الذهب في اخبار من ذهب

طبعة مكتبة القدس ١٣٥١ )

ابن القلانسي :

ذيل تاريخ دمشق

( بيروت ١٩٠٨ )

( ٢٢٣ )

ابن مسكويه : ابو حيان التوحيدى  
تجارب الامم

( مصر ١٣٢٢ )

ابن مائسى : ( الوزير الاسعد الخضير شرقى الدين ابن الكارم )  
قوانين الدواوين .

( القاهرة ١٢٩٩ )

ابن النديم : ( محمد بن اسحق بن ابي يعقوب )  
الفهرست

( القاهرة ١٩٠٧ )

ابن واصل : ( جمال الدين محمد بن سالم )

مفج الكروب فى اخبار بنى ايسوب

نشره وحققه جمال الدين الشبال حتى نهاية سنة ٦١٥ هـ  
فى ثلاثة اجزاء .

بقية الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب

( القاهرة ١٩٦٠ )

ابن الوردي

: ( ابو جعفر زين الدين عمر ) :

تكملة المختصر في اخبار البشر  
المعروف بتاريخ ابن الوردي

( القاهرة ١٢٨٥ هـ )

ابوشامة

: ( شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن المقدس ) :

كتاب الروضتين في اخبار الدولتين

( القاهرة ١٢٨٢ )

ذيل الروضتين ( القاهرة ١٩٤٢ )

ابوالفدا

: ( الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ) :

المختصر في اخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الفدا

( القاهرة ١٢٣٥ هـ )

ابوالحاسن

: ( جمال الدين يوسف بن تفرى بردي ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

( القاهرة ١٩٢٩ م )

الادريسي

: محمد بن محمد عبدالله بن ادريس :

نزهة المشتاق في اختراق الافاق في ذكر الانصار والاقطار

والبلدان والبحر والمدن والافاق

( روما ١٨٢٨ م )

الاصفهانى

: ( عماد الدين محمد ) :

\* تاريخ دولة آل سلجوق ( القاهرة ١٣١٨ )

\* الفتح القسى في الفتح القدسى ( القاهرة ٣٢٢٥ )

( ٢٧٥ )

البنداري

: الفتح بن علي بن محمد

زبدة النصرة ونخبة العصر وهو مختصر نصرة الفترة

وعصر القطرة لعماد الدين الكاتب الاصفهاني

( القاهرة - ١٣١٨ )

التطيلي

: ( بنيامين بن يوتيه )

الرحلة

( بغداد - ١٩٤٥ )

الطبري

: محمد بن جرير

تاريخ الام والملوك

( القاهرة - ١٣٢٦ هـ )

القريني

: زكريا بن محمد بن محمود

عجائب المخلوقات

( مطبعة التقدم القاهرة )

القلقمندى

: ( ابو العباس احمد )

صبح الاعشى فى صناعة الانشا

١٤ جزء

( القاهرة - ١٩١٣ )

(٢٢٦)

المحمودى : على بن الحسين بن على المسمودى  
مرى الذهب ومعادن الجواهر  
( اربعة اجزاء )

( القاهرة ١٢٨٢هـ )

المقدسى : ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد  
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم

( ليدن ١٨٧٧م )

المقريزى : ( تقى الدين احمد بن على )

\* السلوك لمعرفة دول الملوك  
تحقيق محمد مصطفى زيادة

( القاهرة - ١٩٣٦ )

\* المواعظ والاعتبار

( مصر ١٣٢٥ )

\* اتحاف الحنفى

( لينز ١٩٠٩م )

( ٢٧٧ )

التوبىرى : ( شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب )

نهاية الارب فى فنون الادب

( القاهرة - ١٣٢٤ هـ )

ياقوت : ( شهاب الدين ابو عبد الله الحموى )

معجم البلدان - ٥ مجلدات

( القاهرة - ١٣٥٩ هـ )

الانطاكي يحيى بن سعيد :

التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق

( بيروت - ١٩٠٩ )



(٢٢٨)

ثالثا : المراجع العربية الحديثة

أوغيبالد ( ليس ) :

القرى البحرية والتجارة في عرض البحر المتوسط

ترجمة أحمد محمد عيسى

( القاهرة )

بينز (نورمان) :

الامبراطورية البيزنطية

ترجمة حسين مؤنس

( القاهرة ١٩٥٠ )

جشي ( حسن ) :

الحروب الصليبية الاولى

( القاهرة ١٩٤٧ )

نور الدين والصليبيون

( القاهرة ١٩٤٨ )

حسن ابراهيم حسن :

تاريخ الاسلام السياسي

( القاهرة ١٩٤٨ )

( ٢٧٩ )

حسن ( زكى محمد ) :

الرحالة المسلمون في العصور الوسطى

( مصر ١٩٤٥ )

تسرات الاسلام

( القاهرة ١٩٣٦ )

حسنين (عبد النعيم) :

سلاجقة ايران والمراق

( القاهرة ١٩٥٩ )

داوسون ، كروستوفر :

تكوين اوربا

ترجمة سميد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة

( القاهرة ١٩٤٧ )

ديل ( شارل ) :

البندقية جمهورية ارسقراطية

ترجمة احمد عزت عبد الكريم ، وتوفيق اسكندر

( القاهرة ١٩٤٧ )

( ٢٨٠ )

ونسمان ( ستيفين ) :

الحضارة البيزنطية

ترجمة عبد المزيذ توفيق جاويد

( القاهرة ١٩٦١ )

زامبور :

معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى

ترجمة زكى محمد حسن وحسن احمد محمود

( القاهرة ١٩٥١ و ١٩٥٢ )

زيادة (محمد مصطفى) :

رحلة لويس التاسع على مصر وهزيمة فى المنصورة

( القاهرة ١٩٦١ )

زيادة ( نفولا ) :

الرحالة المسرب

( القاهرة ١٩٥٦ )

زيدان ( جورجى ) :

تاريخ آداب اللغة العربية

( القاهرة ١٩١٣ )

( ٢٨١ )

سمدأوى ( نظير حسان ) :

الحرب والسلام زمن المدوان الصليبي

( القاهرة ١٩٦١ )

خمسة من مؤرخو الحروب الصليبية

( القاهرة ١٩ )

الضياد ( فؤاد عبد المصطفى ) :

المغول فى التاريخ

( القاهرة ١٩٦٠ )

عاشور ( سعيد عبد الفتاح ) :

الحركة الصليبية ( جزآن )

( القاهرة ١٩٦٣ )

المدوى ( ابراهيم احمد ) :

الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية

( القاهرة ١٩٥١ )

( ٢٨٢ )

: المريش ( السيد الباز )

الدولة البيزنطية

( القاهرة ١٩٦١ )

الشرق الاوسط والحروب الصليبية

( القاهرة ١٩٦٣ )

مؤرخو الحروب الصليبية

( القاهرة ١٩٦٠ )

مصر في عصر الايوبيين

( القاهرة ١٩٦٠ )

: فشر ( هـ . ل )

تاريخ اوربا العصور الوسطى

ترجمة محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز المريش \*

( القاهرة ١٩٥٤ )

: موسى ( عمر )

ادب الدولة المتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك

( دار الفكر الحديث - لبنان )

: كلارى : ( روبرت )

فتح القسطنطينية على يد الصليبيين

ترجمة محمد جوشى

( القاهرة ١٩٦٤ )

( 1 )

رابعاً : المراجع الاوربية

Bayns (N), Moss:

Byzantium an introduction to East  
Roman Civilization.

Oxford 1948.

Berry :

The Second Crusade, in setton :  
History of the crusades I ch. XV.

Branrd:(Charles):

Saladin and Byzantium.  
(speculum 1945 vol xx).

Brooks, E.W.,:

The Arab in Asia minor.

Arapic lists of the Byzantine  
themes.

(Journal of Hellenic Studies vol xxi

Brooks (E.W.)

The Relation Between the Empire and  
Egypt (Byzantisch Zeitschrift 1939  
XX II .

Cahen (C.):

La Syrie du Nord à l'époque des  
Croisades.

(Paris 1940)

Cambridge Med. Hist.

(Camb. 1957)

Chalandon (F.):

Essai sur le Règne d'Alexis  
Comnène.

(Paris 1900)

Chalandon (F.):

Histoire de la Première Croisade.  
(Paris 1925)

Les Comnènes. 2 vols.

Paris 1900-1912.

( 2 )

Davis (Rev. E. J.):

The invacion of Egypt by Louis IX  
of France.

London - 1897

Diehl, Charles (H.):

History of the Byzantine Empire

(N.Y. 1945).

Encyclopedia of Islam

London 1913

Gibb(H.A.R.):

The Claphite and the Arab State.

in Setton: History of the

crusades vol. I.

( )



Gibbon (E.):

Decline and Fall of the Roman Empire.

vol. VI

London 1957

Grousset:

Histoire des Croisades 3 vols.

Paris 1936.

Heyd:

Hist. du commerce du Levant au

Moyen Age. 2 vols.

(Leipzig 1923).

Howorth, Henry (H.):

History of the Mongols.

London 1880.

Joinville:

Histoire de Saint Louis Led. N. de

Wailly) -

Paris 1874

( • )

Joinville:

History of Saint Louis (by Joon Evans)

( )

La monte :

Byzantine Empire and crusading states

( Byzantion 1932  
Tom vii)

(Bruxelles 1932)

Lane-Poole (S.):

Saladin and the fall of the Kingdom  
of Jerusalem.

( London 1926).

A History of Egypt in the middle ages

(London 1901)

Miller, William:

Trebizond, The last Greek Empire

(London - 1920)

Essays of the latin Orient.

(Camb. 1921-1925)

Ostrogorsky (G.):

Hist. of the Byzantine State  
(Trans. by Joan Hussey).

(Oxford 1956)

Runciman (S.):

A Hist. of the Crusades. 3 vols  
(Camb. 1954)

Setton:

A Hist. of the Crusades 2 vols  
(Philadelphia

Pirenne Jacques:

The Tides of History. 2 vols.

Wiet (G.):

L'Egypte Arabe (Hist. de la Nation  
Egyptienne) IV.

William of Tyre:

A Hist. of Deeds Done Beyond the  
sea. (Trans. Babcock, Krey) 2 vols  
(Columbia 1943)

Vasiliev (A.A.):

The Foundation of Empire of Trebizond  
(speculum journal of Medieval studies  
vol XI  
(Camb. 1945)

Hist. of the Byzantine Empire. 2 vols  
(Madison 1952)